الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

رسالة دكتوراه في التاريخ

"دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت وإقامة دولة الموحدين في المغرب الإسلامي" "المغرب والأندلس"

٥١٠هـ - ٥٥٨هـ

أعدهـا
حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى

باشراف
الاستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه
في التاريخ من كلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

تشرين الثاني / ١٩٩٣م

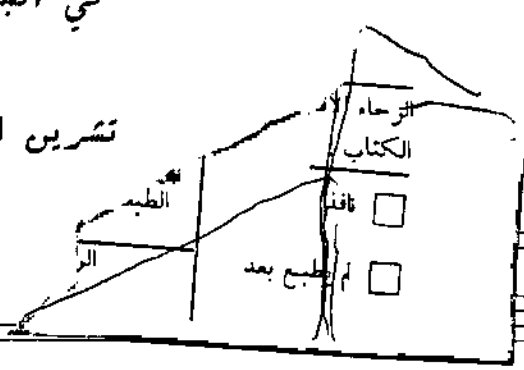

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: "وقل ربّ زدني علماً"

صدق الله العظيم ،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٣/١١/٣٠
وأجيزت من قبل أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. محمد عبده حتاملة (المشرف) / رئيساً

أ.د. عبدالعزيز الدوري / عضواً 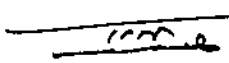

أ.د. عبدالكريم خليفة / عضواً

أ.د. عبدالكريم غرايبة / عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير وعرفان

أتقدم بالشكر والتقدير الى استاذي الفاضل الاستاذ الدكتور محمد عبده متاعله، الذي ما فتئ يحثني على الصبر والجلد خلال مواكبته لي منذ اختياري البحث حتى إنجازه، وأمدني بآرائه القيمة وتوجيهاته السديدة أثناء اعداده لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

قرار لجنة المناقشة ب
شكر وتقدير ج
فهرس المحتويات د
المخلص باللغة العربية و
المقدمة:- ١
- دراسة وتحليل لأهم المصادر والمراجع ٩
- المدخل "تمهيد" عن الحالة السياسية في المغرب والمشرق الاسلاميين قبيل رحلة ابن تومرت العلمية ودعوته ٥٠٠هـ/١١٠٦م ٢١

الفصل الاول:-
- عبد المؤمن بن علي الكومي (القيسي)
٥١٠ - ٥٥٨هـ ١١١٩م - ١١٦٢م ٣٧
- نسبه ٣٨
- نشأته ٤١
- اسرته ٧٠
- لقاؤه مع ابن تومرت ٤٣
- بيعته لابن تومرت بالخلافة ٥٥
- مكانة عبد المؤمن العلمية والتربوية والسياسية ٦٩
- الجهاز الاداري في عهده ٧١
- استعمال القوة المادية، وضم المغرب ٧٢
- الموقف السياسي في المغرب بعد سقوط الدولة المرابطية ٧٨

الفصل الثاني:ضم افريقية:- ٩٦
- الحالة السياسية في افريقية ٩٧
- سياسة عبد المؤمن واساليبه في تحرير افريقية ١٠٠
أ. حملة عبد المؤمن الاولى ٥٤٦ - ٥٤٨هـ/١١٥١ - ١١٥٣م ١٠٠
ب. ظهور المعارضة السياسية بعد عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م ١٠٤
ج. حملة عبد المؤمن الثانية ٥٥٣-٥٥٥هـ ١١٥٣م - ١١٦٠م وتحرير المهدية من الصليبيين الصقليين وما تبعها من نكبة وزيره ابن عطيه وعبد السلام الكومي ١٠٧

الفصل الثالث:الاندلس:- ١٢٠
- الحالة السياسية بعد انهيار الدولة المرابطية ١٢١
- خطوات عبد المؤمن لضم الأندلس ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تحرير المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م من الصليبيين ١٣٥
- الصراع بين الموحدين وابن مردنيش في شرقي الأندلس ١٣٦
- استعدادات الخليفة للجهاد في الأندلس ١٤٧
- وفاته عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م ١٥٠
- علاقة الموحدين ببني غانية ١٥٣

الفصل الرابع: أنظمة المجتمع:- ١٦٥
- التنظيم السياسي والاداري ١٦٦
نظام الحكم (الخلافة - الوزارة - ديوان الدولة - القضاء - الولايات). ١٦٦
- التنظيم الحربي ١٨٦
أ. القوات البرية - الصناعات العسكرية - أساليب القتال، سير الجيش للقتال. ١٨٦
ب. القوات البحرية - إنشاء الأسطول - مدح الشعراء للأسطول ١٩٤
ج. الشرطة الموحدية ١٩٨
- التنظيم الاقتصادي:- ١٩٨
النقد - العوائق الاقتصادية - النشاط الزراعي - النشاط التجاري - دور العرب (القبائل) في الحياة الاقتصادية ١٩٨

الفصل الخامس: التنظيم الفكري والثقافي:- ٢٣٨
(المنهج الفكري - الأفكار السياسية - السياسة التعليمية والحياة الثقافية، العلوم العقلية). ٢٣٩
- علاقة الموحدين بالمشرق الإسلامي ٢٤٢
- العلاقات الثقافية والفكرية ٢٤٢
- التجارة ٢٤٣
- دور المغاربة في جهاد الصليبيين ٢٤٤

الخاتمة ٢٤٥
الملاحق ٢٥٠
المصادر والمراجع ٣٠١
الملخص باللغة الانجليزية ٣٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

"دور عبدالمؤمن بن علي الكومي في نشر دعوة ابن تومرت واقامة دولة الموحدين في المغرب الاسلامي"

المغرب والاندلس

اعداد الطالب: حسين عبدالرحيم سليمان مصطفى

اشراف الدكتور: محمد عبده حتامله

تتناول هذه الدراسة دور عبد المؤمن بن علي في نشر دعوة ابن تومرت وإقامة دولة الموحدين في المغرب الإسلامي. وقد بدأت هذه الدعوة في أواخر عهد الدولة المرابطية التي ضعفت وتفككت بعد موت أميرها يوسف بن تاشفين وتولي ابنه علي الحكم عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م، حيث عاود ملوك النصارى أطماعهم بالأندلس، وبدأوا يفتكون بأطرافها. وفي الوقت نفسه احتدم الصراع بين العباسيين والفاطميين في المشرق الإسلامي، فاستغل البابا أوربان الثاني الوضع، وحرّض النصارى على القيام بحملات صليبية ضد المسلمين، تمكنت من احتلال بيت المقدس، وإقامة عدد من الإمارات الصليبية.

وفي هذه الاثناء كانت دعوة ابن تومرت الى التوحيد، وتغيير أنظمة الحكم عن طريق العمل السياسي والفكري المستند الى القرآن الكريم والسنة النبوية قد ترسخت في المغرب، وسعت الى جمع المسلمين في ظل دولة قوية قادرة على التصدي للأخطار الصليبية ضدهم في مشرقهم ومغربهم.

وقد حمل لواء الدعوة الموحدية بعد ابن تومرت تلميذها البار عبد المؤمن الذي رسخ أركانها في المغرب الأقصى بعد إزالة الدولة المرابطية عام ٥٤١هـ/١١٥٦م، ووحد المغرب، وحرر الثغور الافريقية من النفوذ النورماندي الصليبي الصقلي، ثم هزم القبائل العربية المعارضة كبني هلال وزغبة والأثبج وبني سليم. وعندما استقر له الأمر في المغرب توجه الى الأندلس تلبية لطلب وفودها التي استنجدت به للقضاء على خلافات الأمراء هناك، ولتحرير الثغور الأندلسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الاحتلال الصليبي الأوروبي، وقد تمكن من ضم الأندلس عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م. ونشر هو وأتباعه مبادىء الدعوة الموحدية فيها.

وبعدئذ بدأ عبد المؤمن بتغيير نظام المجتمع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعسكري؛ فقضى على العوائق الاقتصادية كالمكوس والمغارم والقبالات، وشجع الزراعة والصناعة والتجارة، وطبق نظام الخراج، ونظّم جمع الزكاة والاعشار والغنائم والفيء.

وأعاد تنظيم المجتمع فجعله من ثلاث طبقات حسب الأسبقية في تلبية الدعوة الموحدية، وتبنّي عقيدة التوحيد.

ونظم الدولة إدارياً، وقسمها الى ولايات عين أبناءه عليها، وبذلك حصر الحكم في أسرته، وأوجد منصب الوزارة، والقضاء، والديوان، والبريد الذين كان ينقل الرسائل والتعليمات بين أطراف الدولة. كما شدد على تطبيق الأحكام الشرعية.

وأعد جيشاً برياً محترفاً، وأسطولاً تجارياً وحربياً مكنه من حماية سواحل الدولة، والسيطرة على البحر المتوسط. وقد قطع هذا الأسطول الموحدي الطريق على امدادات الصليبيين في المشرق الإسلامي مما اسهم في انتصار الأيوبيين عليهم.

ووضع منهجاً فكريا يقوم على عقيدة التوحيد المستندة إلى مصدري التشريع: القرآن والسنة كبنية تحتية لانطلاقة فكرية وثقافية ربى عليها الأفراد. وطبق إلزامية التعليم للذكور والإناث، وأسس المدارس والمعاهد لتخريج الكوادر الفنية والدعاة. وقدم القروض والمنح للطلبة، وأقام المجالس العلمية برئاسته، وكافأ العلماء والأدباء، فتقدمت في عهده العلوم والآداب.

لقد حمل عبد المؤمن بن علي راية الجهاد في مختلف المجالات، وظل كذلك حتى توفي عام ٥٥٨هـ/١١٦٢م وهو يستعد للتوجه إلى الأندلس مرة أخرى، تاركاً خلفه أثراق لن تمحوه الأيام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:-

أسس الأمويون في الأندلس دولة إسلامية قوية متماسكة، ظلت كذلك حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حيث بدأت تشتد فيها الفتن والاضطرابات والحروب الأهلية، وتتمزق إلى أشلاء، وتتحول إلى دويلات هزيلة متنافسة تتربص ببعضها بعضاً، وتغري بها أعداءها النصارى الذين أخذوا ينقضون عليها، ويزيدون بالدس والوقيعة ما بين ملوكها من تفرق وجفاء وعداوات.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي استطاع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين أن يقضي على ملوك الطوائف، وأن يعيد إلى الأندلس وحدتها وسيادتها. إلا أن دولة المرابطين - بعد موت أميرها يوسف - أخذت تضعف وتتفكك، وعاود ملوك النصارى أطماعهم فيها، وبدأوا يفتكون بأطرافها.

وفي هذه الأثناء كانت دعوة محمد بن تومرت إلى التوحيد قد ترسخت في المغرب، وقد تبنت هذه الدعوة تغيير نظام الحكم عن طريق العمل السياسي والفكري المستند إلى مصدري التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسعت إلى جمع المسلمين في ظل دولة اسلامية قوية لتتصدى لهجمة الصليبيين الأوروبيين الشرسة على العالم الإسلامي، تلك الهجمة التي ازداد خطرها، واتضحت مراميها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

وقد حمل لواء الدعوة تلميذها البار عبد المؤمن بن علي الكومي (القيسي)[١] الذي رسخ أركانها في المغرب الأقصى بعد إزالة الدولة المرابطية عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، ثم نشرها في المغرب الأوسط، وإفريقية حتى برقة بعد أن ضمها الى دولة الخلافة الموحدية، وحرر الثغور الافريقية: (طرابلس، وبونة، والمهدية، وبنزرت) من الاحتلال الصليبي الصقلي، وأغلق البحر المتوسط بين المهدية وصقلية

---

١ - نسبة إلى قيس عيلان بن مضر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امام السفن الأوروبية القادمة من: البندقية، وجنوه، وفرنسا، وانجلترا التي تحمل الامدادات الى الامارات الصليبية في المشرق الاسلامي: (الرها، وأنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس)، وبوابة مضيق جبل طارق. لذلك أصبح عبد المؤمن المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية، وقد أعلن الخلافة وبويع بها، وأصبح يشار إليه بالبنان في تلك الفترة العصيبة من حياة المسلمين، وأصبح المسلمون في بلاد الشام وفي الثغور الإفريقية وفي بعض مدن الأندلس يطلبون نصرته، ويتطلعون اليه لتحريرهم من الصليبيين واعادة الوحدة الى العالم الاسلامي.

وقد كان عبد المؤمن أول من اوجد الوحدة المغاربية، فقد تمكن من توحيد المغرب من برقة على حدود مصر حتى لمطة في المغرب الأقصى على الساحل الأطلسي، ومن تخوم الصحراء حتى الثغور الاسلامية الأندلسية مع الممالك النصرانية. وأصبحت هذه المنطقة تتمتع بالأمن والاستقرار حتى أن الظعينة أصبحت تسير من برقة حتى لمطة دون أن يعترضها أحد(١).

ويعود الفضل إلى عبد المؤمن في تعريب المغرب، حيث اعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة ولغة العلم والمعرفة، كما نقل عدداً من القبائل العربية مثل بني هلال، وسليم، ورياح ... وغيرها ووزعها في أنحاء المغرب، وخاصة في المناطق المأهولة بالعناصر البربرية، مما أدى الى الدمج الاجتماعي بين العرب والبربر، فانتشرت اللغة العربية، وتركز الإسلام. وقد وضع عبد المؤمن سياسة تعليمية تقوم على إعداد الطلبة فكرياً بدراسة القرآن الكريم، والتفسير، والحديث النبوي الشريف ثم المنطق.

وجعل عبد المؤمن الدولة كلها تحت لواء الاسلام، ولم يسمح بوجود ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية، لتعاون معتنقيهما مع الصليبيين الأوروبيين، وبذلك يكون أول من اعطى للمغرب طابعه العربي الإسلامي واستقل به نهائياً عن الخلافة في المشرق، وحمل على عاتقه عبء الجهاد، وانتشر في عهده الاسلام على المذهب السني في كل أرجاء المغرب، وغزا مناطق الزنادقة والمنحرفين المغاربة

---

١ - ابن زرع، القرطاس، ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البربر في جبال برغواطه (تامسنا) وجبال غماره في منطقة الريف، ونظم افريقية والمغربين الأقصى والأوسط ادارياً تنظيماً دقيقاً، وتمتعت البلاد في عهده بنظام اقتصادي متين حيث قضى على العوائق التي تقف أمامه.

وأوجد أسطولاً تولى الزعامة البحرية في غرب المتوسط، حتى أن الأوروبيين، وخاصة في جنوة والبندقية خطبوا وده، كما أنه فرض اجبارية التعليم على الرجال والنساء وقدم لهم القروض والمنح وأوجد العمل لطلبة العلم، وأكثر من فتح المدارس.

وقد كان الكشف عن هذه الأمور وقلة الأبحاث عن الموحدين بشكل عام من أهم الدوافع لهذه الدراسة التي تقع في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وملاحق.

التمهيد:-

أما التمهيد فقد وضح المنعطف التاريخي في المغرب والمشرق الاسلاميين في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، حيث تمكن يوسف بن تاشفين من توحيد المغرب الأقصى والأندلس في دولة المرابطين، وما حل بها بعد وفاته من ضعف وتفكك أغرى الممالك النصرانية بالمدن الإسلامية في الأندلس، فاستأنفت هجمتها لاحتلال تلك المدن.

كما وضح كيف ضعفت دولة الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي مما أدى إلى تعرضها للحملات الصليبية التي أسفرت عن إقامة اربع امارات، واحتلال بيت المقدس، في الوقت الذي لم تكن فيه الدولة الفاطمية في مصر أحسن حالاً، حيث كانت في صراع مع الخلافة العباسية، مما دفع البابا أوربان الثاني الى عقد مؤتمر كليرمون في وسط فرنسا عام ٤٨٩هـ/ ٢٦ تشرين الثاني ١٠٩٥م، لحث النصارى الصليبيين الاوروبيين على القيام بالحملات على جناحي العالم الاسلامي، وفي هذا الجو كانت رحلة ابن تومرت العلمية الى المشرق ودعوته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول:-

وتناول الفصل الأول نشأة عبد المؤمن وتكوينه الفكري ولقاءه مع ابن تومرت في ملاله، الواقعة بالقرب من بجاية، حيث تمكن من ثنيه عن مواصلة رحلته العلمية الى المشرق والانضمام اليه، وأصبح من طلبته وصحابته المقربين، ولازمه، وأخذ عنه، وحضر معه جميع مراحل الدعوة، وتحمل في سبيلها العناء، وبايع ابن تومرت على الامامة وعلى أنه المهدي المعصوم، ثم تناول مبايعة عبد المؤمن بعده بالخلافة، واستعماله للقوة المادية في نشر الدعوة في المغرب الأقصى، وتقويض دعائم الدولة المرابطية عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، والقضاء على المعارضة السياسية والفكرية، واعلان قيام دولة الخلافة الموحدية.

كما تناول أيضاً سياسته الادارية الحازمة التي تظهر من خلال رسائله الموجهة الى الطلبة والحفاظ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوجه التربوي الذي تبناه، للعامة والخاصة.

الفصل الثاني:-

افريقية:-

يوضح هذا الفصل الحالة السياسية في افريقية والغزو الصليبي الصقلي لها، واحتلال ثغورها، والسيطرة على خيراتها، وعلى الممر الاستراتيجي بين المهدية وصقلية لما له من مزايا: عسكرية، واقتصادية، وسياسية، لاشرافه على حركة المرور بين شرقي المتوسط وغربيه.

ويتناول سياسة عبد المؤمن وأساليبه في تحرير افريقية، وثغورها، واعداده لحملتين: الأولى خلال الفترة عام ٥٤٦هـ - ٥٤٨هـ/ ١١٥١م - ١١٥٣م، وقد مكنته هذه الحملة من ضم المغرب الأوسط، وإزالة العقبة التي كانت تقف أمام زحفه الى افريقية، وهي مملكة بني حماد في بجاية. وخلال هذه الحملة ظهرت معارضة سياسية له في المغرب، فتمكن من القضاء عليها، واستتب الأمن. والحملة الثانية كانت في الفترة من عام ٥٤٩هـ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٤م - ١١٦٠م حيث أعد خطة لحملة برية وبحرية لتحرير المهدية، والثغور الافريقية، ولضم افريقية بصورة نهائية الى دولة الخلافة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نجحت هذه الحملة في ضم جميع المدن حتى برقة، والقضاء على مقاومة القبائل العربية من بني هلال وسليم ورياح، وتحرير المهدية عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م، ومن ثم تنظيمها إدارياً، وكان من نتائجها القضاء على الفوضى الاقتصادية بالقضاء على المكس(١) والقبالة(٢) والمغارم، فسادها الأمن والاستقرار.

الفصل الثالث: الأندلس:-

بين هذا الفصل الحالة السياسية في الأندلس بعد انهيار الدولة المرابطية، وظهور امارات الطوائف والتنافس بينها، واستئناف الممالك النصرانية (ارغون وقشتاله) لعدوانها ضد البلاد الأندلسية، ثم مجيء الوفود الأندلسية الى عبد المؤمن تدعوه الى ضم الاندلس، وتطهيرها من المتعاونين مع الممالك النصرانية، والخطوات التي اتبعها الخليفة في نشر الدعوة في الأندلس وتركيز دعائمها ثم ضمها، ومواجهة الغزو الصليبي للممالك التي باركها البابا "اوربان الثاني" وباركتها اوربا، ومتابعة قتال ابن مردنيش الذي خان بني جلدته، وقدم كل عون للنصارى.

كما تناول تحرير المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م التي سقطت بيد التحالف الصليبي الاوروبي الاسباني عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وكانت ذات مكانة استراتيجية مطلة على ملتقى البحرين، وجزر البليار، وساحل المغرب. واتخاذ قرطبة مقراً لادارة الأندلس بدلاً من اشبيلية لما يتمتع به موقعها من مزايا، واستعداد عبد المؤمن للجهاد في الأندلس، واصطحابه لبعض القبائل العربية، وانشائه لمدينة الفتح في جبل طارق كنقطة ارتكاز للعبور. وأعطي في هذا الفصل اهتمام خاص بعلاقة الموحدين ببني غانية في جزر البليار آخر معاقل المرابطين، وذلك لأن طبيعة البحث اقتضت تتبع هذه العلاقة حتى ضمت الجزر للدولة الموحدية عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، ثم نهاية آل مردنيش وانضمامهم لدولة الخلافة عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

---

١ - المكس: دراهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق، انظر، الونشريسي، المعيار، ٤٩٢/٢.

٢ - القبالة: الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع، انظر قلعجي وقنيبة، معجم الفقهاء، ٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع:-

تناول هذا الفصل تنظيم الحكم (السياسي والاداري) والتنظيم الحربي، والاقتصادي.

تنظيم الحكم:-

بينُت فيه الخلافة الموحدية، وامامة ابن تومرت الذي انتشرت أفكاره التي قام عليها نظام الحكم في المغرب والمشرق الإسلاميين، والنسب القرشي لابن تومرت، والعربي لعبد المؤمن الذي بويع بالخلافة، وطار ذكره في البلاد الاسلامية، حتى أن المسلمين في المشرق ترقبوا قدومه، وأشاد الشعراء بذكر خلافته خاصة، والخلافة الموحدية بشكل عام، وأشاروا إلى ضمه مصر والحجاز والعراق وخراسان.

ووضحت كيف وضع ابن تومرت أسس تنظيم المجتمع، والتطورات التي دفعت عبد المؤمن الى تطوير التنظيم الاداري، واحداثه لولاية العهد، وحصر الحكم في أسرته، واتخاذه الوزارة والقضاء، والديوان لاصدار المراسيم والأوامر الى الطلبة والحفاظ على ولايات الدولة المترامية الأطراف.

وفي مجال التنظيم الحربي: بينت كيف شعر الخليفة بأهمية الجيش في البر والبحر، فنظم القوات البرية والبحرية، وأنشأ دوراً لصناعة الأسلحة، وقطعاً للأسطول في كل من المعمورة وسبته وطنجه، ووهران وبلاد الأندلس، حتى أصبح عزيز الجانب في فرض الأمن وتركيز دعائم الدولة وتولى الجهاد في الخارج، وتولى بذلك زعامة البحر دون منازع، وسيطر على بوابة جبل طارق والممر الاستراتيجي بين المهدية وصقلية، وتعقب السفن الاوروبية حتى اليونان، وحال دون وصول الامدادات والتجهيزات الى الغزاة الصليبيين في المشرق الاسلامي، مما كان له أثر كبير في انتصارات نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي هناك.

التنظيم الاقتصادي:-

وفي هذا المجال اوجد النقد على أساس الذهب والفضة، لبناء اقتصاد متين غير خاضع لتقلبات العرض والطلب. وقضى على العوائق التي تقف أمام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نموه، ومنع الاتجار مع العدو، وشجع الزراعة، وأعاد الأراضي المصادرة الى أصحابها، وقام باستصلاح الاراضي، واستحدث أساليب الري واقامة السدود والقنوات، ونوّع المزروعات حسب تنوع المناخ، وقدم العون والمساعدة للمزارعين خلال العوارض الطبيعية. ونظم واردات الدولة، والخراج، وأمر بمسح الاراضي. واعتنى بالصناعة القائمة على المواد الخام المعدنية والزراعية المتوافرة، ودعمها في مختلف المدن، وشجع التجارة الداخلية والخارجية، البرية منها والبحرية مع المشرق الاسلامي مما أدى الى الرفاه وزيادة دخل الدولة والأفراد، وتقدم الصناعة في جميع المجالات.

الفصل الخامس:-

التنظيم الفكري والثقافي:-

تناول هذا الفصل كيف وضع ابن تومرت المنهج الفكري والسياسي وتبناه خليفته عبد المؤمن وسار عليه، وكيف وضع سياسة تعليمية وتربوية ومنهجية لتخريج الأطر الفكرية والفنية والادارية والعسكرية والطلبة والحفاظ لحمل الدعوة ونشرها، وتولى الاشراف على المدارس التي انشأها في مراكش والرباط وغيرها من المدن.

كما تناول كيفية نمو الحركة الثقافية والادارية، وظهور عدد من الشعراء، وتشجيعه للعلم وعقده للمجالس ومناقشاته فيها.

وانهيت الفصل بعلاقة الموحدين مع المشرق الاسلامي موضحاً ذلك في النواحي الفكرية والثقافية، والتجارية، ودور المغاربة في جهاد الصليبيين في المشرق الاسلامي.

الخاتمة:-

أشرت فيها الى أمور تتعلق بدعوة ابن تومرت ودور عبد المؤمن في المجال السياسي، والفكري والعسكري والاداري، وإلى أهمية ظهور عبد المؤمن في هذه الفترة، ودوره المشع في تركيز الحضارة الاسلامية. وقد ينجلي الأمر أكثر حين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر مخطوطات او كتب كانت مفقودة تتعلق بهذه الفترة الحرجة من دعوة ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن.

الملاحق:-

تبين تأثر ابن تومرت ببعض الفرق الاسلامية والمذاهب (كالمعتزلة، والشيعة، والاشعرية)، وتوضح رسائل ابن تومرت وعبد المؤمن سياساتهما الداخلية والخارجية، والتشديد على الحزب الموحدي والانتظام فيه، وسياسة التنظيم الاداري للمجتمع.

وهناك ملحق خاص يبين تطور انتشار المذاهب الاسلامية في المغرب والأندلس حتى ظهور الدعوة الموحدية، وقيام الخلافة الموحدية والخلفاء حتى نهاية الدولة، وبيان ظهور الدولة الحفصية الموحدية على أنقاضها في تونس.

ولابد من الاشارة هنا الى أن الابحاث عن الموحدين ما زالت تفتقر إلى كثير من المعلومات التي قد تكون متوافرة في المخطوطات، او الكتب المفقودة، وخاصة ما يتعلق بسيرة ابن تومرت، وحياته ونظام مراتب المجتمع، وما أدخله الخليفة عبد المؤمن على التنظيم الاداري والاقتصادي، والحربي، الأمر الذي قد يزيل الغشاوة عن حضارة إسلامية عريقة بناها الموحدون، وثبتوا أركانها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسة لأهم المصادر والمراجع

اعتمد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع التي يشكل بعضها العمود الفقري له، ونظراً لأن هذه المصادر تلقي الضوء على أهمية البحث، وتبرز قيمته كمصدر غني بالحقائق، وبالأفكار الأساسية التي ترفد الفترة التاريخية مجال الدراسة وتغنيها، فإننا سنقوم بدراستها وتحليلها باختصار فيما يلي:-

كتاب أعز ما يطلب/ تأليف محمد بن عبد الله بن تومرت، جمعه الخليفة ابو محمد عبد المؤمن بن علي، ويبدو انه كان يتصرف احياناً في روايته له او للكتب الاخرى وفي مناظرته للفقهاء في عهد المرابطين وذلك في عدة مواضع من الكتاب. حققه المستشرق جولد سيهر في الجزائر عام ١٩٠٣، وأعد الدكتور عمار الطالبي طبعة منه مزيدة ومنقحة من المخطوطات الاخرى وذلك في الجزائر عام ١٩٨٥.

وهذا الكتاب عبارة عن كتب ورسائل في الأصول والفقه، والتوحيد، والحديث والاحكام والسياسة والجهاد، وقد عرف بأول عبارة وردت فيه "أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية الى كل خير". ويشمل التعاليق التي ذكرها ابن تومرت، وأملاها بعده تلميذه عبد المؤمن، وتحدث فيه عن الصلاة والطهارة، والعبادات، والكلام في العموم والخصوص، والقواعد التي بنيت عليها علوم الدين والدنيا ووجوب اعتقاد الامامة، ويشتمل على باب في العلم وفضله، وباب في الخمر داء وليس فيه شفاء، ومعرفة أصحاب الفتن وأصول الفتن، ورسالة أمير المؤمنين الى جزوله حول الدعوة والتوحيد.

٤٣٢٢٧١

وكتاب الترغيب في الجهاد، وقد تضمن ما يفعل من أعطى شيئاً في سبيل الله، والأمر بالتقوية على العدو، ورباط الخيل، والاستعداد بالسلاح للجهاد، وفي الخروج الى الجهاد، والصبر عليه، واجتناب النساء في الغزو، والنهي عن قتل النساء والولدان، والنهي عن التمثيل، والغنيمة وتقسيمها، والخمر، والغلول، وفي السلب الوفاء بالامانة، وفي الجزية، وفي الشهيد، وغزو النساء، وجهاد اهل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدع، وجهاد من خرج على جماعة المسلمين، وجهاد من منع فريضة من الفرائض، والجهاد باللسان ... الخ.

وكتاب الزكاة، والمرشدة في التوحيد، وما ذكر في غربة الاسلام في أول الزمان وآخره وتسبيح الباري. واعتبر دستوراً للموحدين لما تضمنه من منهج في الدنيا والآخرة، ووضعت له عدة شروح كما أوردها الطالبي في مقدمة تحقيقه للكتاب، وقد اعتمد عليه هذا البحث، كمصدر أولي.

ورسائل، نشرها ليفي بروفنسال عام ١٩٢٨ في مقدمة كتابه أخبار المهدي ابن تومرت، والرسالة المنظمة وتتضمن أدعية وخطباً، وقد حدد في هذه الرسائل دعوة التوحيد والموقف السياسي من الدولة التي لا تحكم بالاسلام، وميز بين حزب الله وحزب الشيطان، وبين تكتل حزب التوحيد الفكري، وبعضا من الاحكام في الغنيمة، والخمر، والغلول، وبين فيها مفهوم المجسمين الذين لا يحكمون بالاسلام ولا يأخذون بالتأويل، وحض على جهادهم ومن يقتل فهو في سبيل الله.

ومجموعة رسائل صادرة عن الديوان المؤمني في عهد عبد المؤمن وخلفه، وجاءت في سبع وثلاثين رسالة منها ثلاث وعشرون صادرة عن الخليفة عبد المؤمن موجهة الى الطلبة، والحفاظ والشيوخ، والاعيان في ولايات الدولة المختلفة، وقد نشرها ليفي بروفنسال عام ١٩٤١م.

وقد بين في الرسائل الدعوة الاسلامية التي جاء بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم من سار على دربه وحملها الخلفاء الراشدون، ثم يثني على الامام المهدي ودعوته التي جاءت بعد ظهور الفتن وغياب العلماء وانتشار الظلم، ويشير الى المسؤولية الملقاة على عاتق الموحدين في اعادة الاسلام الى نصابه، ويحدد فيها سياسته الادارية والعسكرية، ويحث على دعوة الناس الى التوحيد والتمسك بحزب الموحدين، ويوجه الرسائل الى الطلبة ويحضهم على تطبيق الأحكام الشرعية، ويبشرهم بضم بقية افريقية وتحرير الثغور فيها وفي الاندلس والقضاء على الفتن في المغرب والقبائل العربية في افريقية، والتهديد باستعمال القوة لضرب من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعملون للفساد الاجتماعي والاقتصادي، وأعلن الحرب على المكوس، والقبالة والمغارم، وألا تجمع الا الزكاة المفروضة، وبين الحاجة الى اعادة تنظيم المجتمع عما كان عليه ايام المهدي، ليعرف الناس مراتبهم. كما وضح فيها مبايعة الولايات، ورسم فيها سياسة الدولة، وطلب الى الطلبة والحفاظ والشيوخ والأعيان تطبيقها، وأن يحتكوا بالعامة ويعرفوا مشاكلهم ويبعدوا الوسطاء، وأن يجروا التغيرات في سعاة البريد لما له من أهمية في نقل الأخبار، وضبط الامور الاقتصادية والاجتماعية، وأن يكونوا على يقظة تامة للجهاد ضد أعداء الله.

كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين:

ألفه ابو بكر الصهناجي المعروف "بالبيذق"، وقد تم تحقيقه بعدة طبعات، نشره ليفي بروفنسال عام ١٩٢٨م ثم حققه وعلق عليه ونشره بالجزائر، عبد الحميد حاجيات، ثم صدر عن دار منصور للطباعة في الرباط عام ١٩٧١م، ويدل ذلك على أهمية الكتاب وعلى أن مؤلفه كان من صحابة المهدي المقربين، ومعاصراً له ولخليفته عبد المؤمن، لذلك سجل الاحداث التاريخية كشاهد عصر، الا أن رواياته يظهر فيها كثير من المبالغة والتهويل لما قام به ابن تومرت وعبد المؤمن، وانفرد بذكر كثير من الأحداث نقل المؤرخون عنه بعضها وسكتوا عن بعضها الآخر، وكان هذا مؤشراً إلى ضرورة التروي في نقل الأخبار الواردة فيه، مع أنه من المصادر الأساسية. وقد صاحب مؤلفه ابن تومرت في رحلة العودة من تونس حتى مسقط رأسه في ايجليز بمنطقة السوس، كما وضح غزوات ابن تومرت التسع، وأمدنا بصورة واضحة عن غزوة عبد المؤمن من جنوب المغرب الى شماله وشرقه من ٥٣٤هـ - ٥٣٩هـ/١١٣٩م-١١٤٤م حتى ضم الجزائر، وفاس، ومكناس، وإنهاء وجود الدولة المرابطية عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م واقامة الخلافة ومبايعته وضم افريقية وتحرير المهدية، والأندلس. ولم تعرف سنة ولادته او وفاته، واستمرت حياته بعد وفاة عبد المؤمن عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م.

كتاب/ المن بالامامة/ لابن صاحب الصلاة:

واسم الكتاب تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الامام المهدي بالموحدين على الملثمين، وفي مساق ذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلافة الامام الخليفة أمير المؤمنين، وأخيراً بعض الخلفاء الراشدين.

والمؤلف: عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي، والكتاب في ثلاثة أجزاء، لم يعثر الا على الجزء الثاني منها الذي يبدأ باحداث ٥٥٤هـ حتى نهاية ٥٦٨هـ، ١١٥٩ - ١٢٠١م، ومعنى ذلك ان الجزء الأول يعالج سيرة ابن تومرت، وعبد المؤمن، والجزء الثالث يبدأ بأحداث ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وربما حتى نهاية القرن السادس للهجرة.

وقد اشتمل الجزء الثاني الذي اعتمدنا عليه، وحققه عبد الهادي التازي على جزء من حملة عبد المؤمن على افريقية، وتحرير المهدية، وضمنها زيارته الى مدينة الفتح في جبل طارق، وسجل احداث هذا الاجتماع العام كحدث تاريخي جمع العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، ورسائل عبد المؤمن الى ابنه يعقوب يبشره بتحرير المهدية والقضاء على معارضة القبائل العربية، وأنهم سينضمون للجهاد في الأندلس، وبين انشاء الاسطول ودور الصناعة والمراسي ثم الجهاد في الأندلس.

إلا أن المؤلف كان يكثر من مدح الخلفاء، ويقلل من دور المرابطين السياسي والاداري، ولم تعرف سنة ولادته ووفاته، واستمرت حياته بعد عبد المؤمن.

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:

المؤلف: المؤرخ محي الدين ابو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي. ولد بمراكش عاصمة الموحدين عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م في خلافة يعقوب المنصور، ودرس في مدينة فاس وحفظ القرآن، ودرس الأدب والتاريخ، ثم انتقل الى الأندلس واتصل بعلمائها، ورحل الى المشرق حوالي سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، مروراً بمصر الى بغداد، واتصل بالخليفة الناصر لدين الله ابي العباس أحمد بن المستضئ الذي كلفه بتأليف المعجب، وقد توفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عالج في الكتاب حدود الاندلس، وفتح المسلمين لها، وسير الخلفاء من بني أمية، ثم ظهور ملوك الطوائف، وضعف الحكم الاسلامي في الأندلس، ومحاولة الممالك النصرانية أرغون وقشتاله الاستيلاء على مدنها. وظهور الدولة المرابطية، ودور يوسف بن تاشفين في ضم الأندلس، واعلان تبعية دولته للخلافة العباسية في بغداد وتسميته بأمير المسلمين. ووقوفه أمام الممالك النصرانية وجهادهم وانتصاره في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، ثم ظهور دعوة ابن تومرت وخلافة عبد المؤمن وابنائه حتى عام ٦٢١هـ/ ١١٢٤م وأشار المؤلف الى بعض الأمور الأدبية والجغرافية، والثروة المعدنية والحياة الاجتماعية لقبائل مصموده.

وانتهج أسلوب سرد الاحداث دون التقيد بالسنين، ويذكر المراكشي في مقدمة كتابه انه أملاه من الذاكرة، وهذا ما يجعل تأريخه لبعض الأحداث مناقضاً لما أجمع عليه المؤرخون، كضم بجايه الذي ذكر أنه تم عام ٥٤٠هـ في حين تم ذلك في حملته الاولى عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، وذكر أن عبد المؤمن كان قائد حملة البحيرة، في حين كان قائدها محمد الونشرشي المعروف بالبشير.

كتاب الحلة السيراء/ لابن الآبار:

ولد ابن الابار في بلنسية عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م وتوفي بتونس عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م ويتضمن كتابه عدداً من تراجم رجال العلم والثقافة في المغرب والاندلس ابتداء من القرن الأول للهجرة حتى اوائل المائة السابعة، ويعرض كثيراً للأحداث التاريخية والمعارك الحربية.

وأسلوبه أدبي وعلمي، ومنهجه لا يتقيد بالسنوات، وله عدة كتب اخرى، ككتاب "التكملة" الذي وضعه تكملة لكتاب الصلة الذي وضعه ابن بشكوال ٥٨٧هـ/ ١١٩١م ليكمل به تاريخ العلماء لابن الفرضي، وانتهى ابن بشكوال به الى سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م وأكمله ابن الابار حتى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م.

كتاب نظم الجمان/ لابن القطان:

واسم الكتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان". والمؤلف "ابو علي حسين بن القطان".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتبر الكتاب شاملاً لتاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى قبيل سقوط الدولة الموحدية عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، وكان موحديا فقيهاً فاضلاً، ولم يعثر من هذا الكتاب الا على السفر الثالث عشر الذي حققه ونشره الاستاذ الدكتور محمود مكي / جامعة محمد الخامس الرباط وتحدث فيه المؤلف عن رحلة المهدي الى المشرق ودعوته، والى عبد المؤمن، وأشار إلى رسالة وجهها ابن تومرت الى صديقه القاضي على بن الحسن الجذامي عام ٥١١هـ/ ١١١٧م ثم رسالة عبد المؤمن الى الموحدين في الاندلس عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م وأشار الى الكتب التي اخذ عنها، وما زالت مجهولة، وهذه الكتب هي: فضائل المهدي لأبي القاسم المؤمن المصري، كتاب ابن الراعي، وكتاب المغرب في محاسن أهل المغرب لابن اليسع، وكتاب المقياس في أخبار المغرب والأندلس وفاس لعبد الملك الوراق، وكتاب النبذ المختارة من اخبار صنهاجه لأبي الحسن الصنهاجي.

والكتب المطبوعة: لمؤلفها البيذق، وابن صاحب الصلاة، وابن عذارى، والحلل الموشية.

وكان شديد التعصب للموحدين، ويحمل على المرابطين ويصفهم بالمجسمين.

كتب مؤرخي المشرق:-

كتاب الكامل في التاريخ، لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):-

من كتب التاريخ العام، ومؤلفه من المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ المغرب الاسلامي (المغرب والأندلس)، وقد طبع عدة طبعات في دور مختلفة وفي أجزاء متفاوتة من ٩ - ١٣ جزءاً بين القاهرة وبيروت، وسجل الاحداث حسب السنوات رابطاً بين ما يحدث في المشرق الاسلامي والمغرب الاسلامي، وقد أفاد البحث في الوقوف على احداث الدولة الموحدية والمرابطية وافريقية، والحروب الصليبية على كلا جناحي العالم الاسلامي، وصلتها بدعوة البابا اوربان الثاني بعد مؤتمر كليرمون الى القيام بالحملات الصليبية عليها.

كتاب ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي، ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م:-

رغم أنه كان يسجل احداث تاريخ دمشق وما يرتبط بها، فقد أرخ لاحداث المغرب عن ابن تومرت، وعبد المؤمن بروايات اخذها شفوياً من طلبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم، والحجاج المغاربة الذين كانوا يفدون الى دمشق، واتبع طريقة الحوليات في كتاباته.

الكتب الأدبية:-

كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتري (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م):-

حققه الدكتور احسان عباس، وقد عاصر دعوة ابن تومرت، وخليفته عبد المؤمن حتى وفاته، وأرخ فيه لحياة كثير من الفقهاء، والعلماء والشعراء والأدباء، وتخلل ذلك مادة تاريخية جديرة بالاهتمام في فترات معينة امتدت حتى وفاته.

كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):-

وتضمنت كتاباته مادة تاريخية عن الحياة العلمية والسياسية، وهو يذكر السنة، والمكان، ثم القضاة والحكام، والوزراء والأعيان، وقد افدت منه في بعض الأحداث التاريخية.

مؤرخون في القرن الثامن الهجري وما بعد:-

كتاب القرطاس لابن أبي زرع:-

واسم الكتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس".

وقد حققه المستشرقون ونشروه ثم حققه ونشره محمد الهاشمي الفلالي/ الطبعة الوطنية، الرباط.

ومؤلفه هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن ابي زرع، ألفه في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان الذي تولى حكم المغرب عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ووصل فيه حتى عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

وقد سجل الأحداث التاريخية دون التقيد بالسنوات، وان كان يذكرها أحياناً، وخاصة حين أرخ للمرابطين والموحدين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بدأ تاريخه بدولة الادارسه من عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م حتى ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، وبناء مدينة فاس عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، وجامع القرويين عام ٢٤٥هـ/٨٥٩مم وجامع الاندلسيين بها، ثم استيلاء العبيدين (الفاطميين) على المغرب من ٣٢٣ هـ/٣٤٩هـ/٩٣٤هـ-٩٦٤م والصراع بينهم وبين الأمويين في الأندلس، وذكر دولة المغراوين وخلفاء زبرى ابن عطيه، والدولة المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين وظهور الدولة الموحدية وسيرة ابن تومرت، والخليفة عبد المؤمن واقامته للخلافة الموحدية في المغرب الأقصى بعد أن قضى على الدولة المرابطية. وضم المغرب الأوسط وافريقية، والأندلس، وقضاء عبد المؤمن على المعارضة السياسية، وعنايته بالجيش، وانشاء الأسطول.

وتحدث عن سيرة خلفاء الموحدين حتى انتقال الحكم الى الدولة المرينية، ويشير المؤلف الى المصادر التي أخذ عنها بقوله "ألفت هذا المجموع المقتضب وانتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها، والرجوع اليها، وما رويته عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب وقيدته عن الرواة الثقاة ... الخ.

ولم تعرف سنة ولادته، وقد كانت وفاته في الدولة المرينية ولم يحدد تاريخها أيضاً.

كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول:-

يبدو أن مؤلفه كان من اهل القرن الثامن للهجرة كما هو واضح من نهاية تأريخه الكتاب.

وقد ابتدأ بذكر تاريخ مدينة مراكش، واختيار موقعها، وبداية تسويرها، والدافع وراء اتخاذها مقراً للسلطان.

وبين نهجه بأنه اقتصر على القليل من الأحداث، وانه انتقاها من عدة مصادر، ومن دواوين العلماء، وأن هذا المختصر يفي بأخبار الخلفاء، وقد ضمنه قطعاً من الاشعار، والرسائل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث عن الدولة المرابطية، ثم ظهور المهدي ودعوته، وعبد المؤمن وخلفائه واقامة الخلافة الموحدية على أنقاض الدولة المرابطية، وكيف وحد المغربيين وحرر افريقية، وضم الأندلس، كما تحدث عن ظهور الدولة المرينية التي انهت الخلافة الموحدية عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م وحتى نهاية حكم السلطان أبي سعيد عثمان المريني عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م وذكر أنه ألف الكتاب عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م.

وأنهى الكتاب بتلخيص لحكام المرابطين والموحدين وبني عبد الحق من بني مرين.

كتاب نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب:-

ألفه: أحمد بن محمد المقرى ت ١٠٤١هـ ١٦٣١م، وتناول فيه الأحداث التي ترتبط بالمغرب في المجالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والعلمية، والاقتصادية.

ولم يتقيد المقري في تأريخه للاحداث بطريقة واحدة، بل كان يذكر الحادثة وينتقل الى أخرى حسب ما تقتضي المناسبة، ويشير الى مصادره بوضوح.

كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، للناصرى السلاوى:-

يعتبر السلاوي من المؤرخين المتأخرين، وقد أخذ عن مشاهير العلماء والمؤرخين كابن زرع، والمراكشي، وابن خلدون، وابن عذارى، وابن الخطيب، وابن الاثير، وابن خلكان، وصاحب الحلل الموشية.

وكان المؤلف يبدي رأيه بكثير من المسائل، ولا سيما الدينية، وحمل على الدولة الموحدية، وتمسك بمذهب السلف، ودافع عن موقف القاضي عياض من الموحدين حين تقلب في ولائه للخليفة عبد المؤمن.

وقد سار في منهجه على تعدد الروايات، وتقيد أحياناً بأحداث السنوات، ونشر ابناؤه كتاب الاستقصا. وما يهمنا منه الجزء الثاني الذي تحدث عن الدولة المرابطية والموحدية. وله عدة كتب أدبية وفقهية، وقد توفي عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الكتب الجديرة بالذكر:-

كتاب البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب:-

المؤلف: ابن عذارى المراكشي ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م حققه ليفي بروفنسال وزميله ج.س كولان باسم "البيان المغرب في أخبار المغرب" والقسم الموحدي منه وهو الجزء الثالث نشره امبروسي هويسي ميرندا، ومحمد بن تاويت ١٩٦٠م.

وهو من المصادر المهمة في التاريخ الاسلامي، ويوضح السياسة التي اتبعها الموحدون للاستعانة بالقبائل العربية للجهاد في الأندلس.

وتحدث عن الدولة المرابطية وصراعها مع الموحدين.

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار:-

لمؤلف مجهول عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حققه ونشره سعد زغلول.

وقد قسم الكتاب الى ثلاثة أقسام مختلفة، (١) الأماكن المقدسة ومصر، (٢) بلاد المغرب، (٣) المغرب والسودان.

وقد سجل المؤلف دور العرب الحضاري في مجال الثروة الزراعية والمعدنية، وسجل أحداثاً تاريخية للموحدين نقلها عن الوثائق التاريخية المعاصرة، وأخبار كثير من المدن ومواقعها، وافدت منه من الناحية التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية.

كتاب الروض المعطار:-

للحميرى محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م، حققه الدكتور احسان عباس مرتباً على حروف المعجم، وقد حدد المؤلف المكان الذي يقع فيه الحدث، ويتضمن مادة تاريخية وجغرافية لما يذكره عن الأحداث التي تقع في المكان الذي يصفه جغرافيا، ثم يذكر الاخبار والوقائع المتصلة به.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا، وقد تم الاطلاع على عدة كتب جغرافية أخرى للإفادة منها في البحث: "معجم البلدان، لياقوت الحموي"، و "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكرى" و "كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للادريسي (ت ٥٥٦/ ١١٦٠م) والقطع المأخوذة منه وتم نشرها "صفة المغرب والأندلس"، و "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس".

المراجع:-

كانت المراجع قسمين: العربية، والأجنبية.

أما العربية:-

فقد اطلعت على عدد من المراجع التي تناولت بالبحث الموحدين والمرابطين، وقد استفدت منها بالتعرف على المصادر التي تم الرجوع اليها، والأسلوب الذي كتبت وعرضت فيه الأحداث.

المراجع الأجنبية:-

وكانت قسمين: الأول المترجم الى اللغة العربية، والثاني باللغة الانجليزية، وكلا القسمين اعتمد على المصادر التي تم الرجوع اليها، وبعض الكتب التي ألفت في الفترة نفسها بالاسبانية، أو الوثائق الاقتصادية والعلاقات السياسية وتتميز هذه المراجع بتحليل الأحداث أحياناً، ومحاولة الوصول الى الحقائق التي تكمن وراءها، الا أنها لا تخفي التميز بين العرب والبربر متجاهلة وحدة العقيدة التي تجمعهم، وتقلل من أثر العرب. وبعض مؤلفيها يعزو تأخر المغرب لدخول القبائل العربية اليه، وقليل منهم يفي العرب حقهم من الحضارة ودورهم في نقلها وأثرهم في المغرب، وفي ضوء ذلك لابد من الحذر والدقة في الرجوع إلى هذه المراجع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"تمهيد"

موجز عن

الحالة السياسية في المغرب والمشرق الاسلاميين

قبيل رحلة ابن تومرت العلمية ودعوته

ودور عبد المؤمن بحمل الدعوة ونشرها

٥٠٠هـ / ١١٠٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

شكل آخر القرن الخامس الهجري منعطفاً تاريخياً في الغرب والشرق الاسلاميين، ففي المغرب الاسلامي تمكن يوسف بن تاشفين بعد أن تولى امرة المرابطين عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م من إعادة تركيز سلطة الدولة على مكناس وفاس، وتتبع قبائل زناتة، وقضى على مقاومتهم، وضم وهران والجزائر عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م. ومد سلطانه حتى بجاية، وأكمل ضم بلاد الريف: سبته وطنجه عام ٤٧١هـ/ ١٠٧١م، وبايعه امراء المغرب، وزناته، وغمارة، والمصامده، وسائر القبائل بين عامي ٤٦٤هـ - ٤٧٤هـ/، ١٠٧١م - ١٠٨١م، وبذلك يكون قد وحد المغربين الأوسط والأقصى حتى نهر السنغال جنوباً(١)، وأرسى قواعد ظهور الدولة المرابطية، وبنى مدينة مراكش، واتخذها عاصمة لدولته(٢) عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م.

وأما الأندلس فكانت تمزقها الصراعات السياسية بين ملوك الطوائف الذين بلغوا ثلاثة وعشرين أميراً وملكاً، كالمعتمد بن عباد في اشبيلية، والأمير عبد الله

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٧١/٨.

؛ابن عذارى، البيان، ٢٤/٤، ٢٦، ٢٩.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٤١.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٤/٦، ١٨٥، ١٨٦.

؛المؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٢٨.

؛ابن الخطيب، رقم الحلل، ١٤، ٢٠.

؛ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢٢٦/٢.

؛الناصري، الاستقصا، ٢٧/٢، ٢٨، ٣١، ٣٢.

؛شعيره، المرابطون في تاريخهم السياسي، ٩٥.

٢ - المراكشي، المعجب، ٩٥ وما بعدها.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٤/٦.

؛مجهول، الحلل الموشية، ٢٥، ٢٨.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٨.

؛الناصري، الاستقصا، ٢٤/٢.

؛عباس بن ابراهيم، الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، ٦٣/١ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن بلكين في غرناطة، وابن الأفطس في بطليوس، وابن رشيق في مرسيه، وأحمد ابن يوسف المستعين في سرقسطة، والمعتصم بن صمادح في المرية، والقادر بن ذى النون في بلنسية ... الخ" الأمر الذي ادى الى ضعفها فهددها ملوك النصارى: الفونس السادس ملك قشتالة وابن رذمير ملك أرغون. وكانت الممالك النصرانية تطمع بالسيطرة عليها مع أنها كانت تدفع لتلك الممالك ضرائب مالية(١).

ومن الجدير بالذكر أن دفع الضرائب أدى إلى ضعف ملوك الطوائف، وتردت احوال دويلاتهم، وخاصة أن ممالك النصارى كانت تفرض عليهم ضرائب جديدة بين فترة وأخرى. وقد ساعدت هذه الضرائب على تقوية الأعداء وخاصة مملكة قشتالة في حربها ضد المسلمين.

لقد تمكن الفونس السادس (Alfonse VI) (الادفونش) ملك قشتاله من التوغل في أراضي الدويلات الاسلامية في الأندلس جنوباً حتى بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. حيث استولى على طليطله (Toledo) "المنطقة المتوسطة"(٢) عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م(٣) من أميرها القادر بالله المأمون يحي بن ذى

---

١ - الصهناجي، التبيان، ١٠١، ١٢٥، ابن عذارى، البيان، ٢٢٩/٣ - ٢٣٩، ابن الأثير، الكامل، ١٤٢/١٠، ١٥١، النويرى، نهاية الارب، ٤١١/٢٣، الذهبي، العبر، ٢٨٩/٣، ابن بسام ق ١م١، ١٦٦، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢٤٤، وطليطله مدينة حصينة على نهر التاج الكبير ولها قنطرة عجيبة البنيان على قوس واحد، انظر السيد عنترة الاسبان "الاندلس في عهد ملوك الطوائف وقدوم المرابطين".

٢ - ابن صاعد، طبقات الامم ٦٣، الادريسي، صفحة ١٧٣، المراكشي، المعجب ٢٩، شيخ الربوه، ٢٤٤، الحميرى، ١٣٠، المقري، نفح الطيب ١٦١/١.

٣ - ابن بسام، الذخيرة، ق ٢م١/ ١٣٠ - ١٣٢؛ ابن الكر دبوس، تاريخ الخلفاء، ٨٤، ٨٧، ابن الاثير، الكامل، ١٣٨/٨؛ المراكشي، المعجب ١٢٦، ابن خلكان، وفيات ١٨/٤؛ مؤلف مجهول في عهد الطوائف، ٣، ٣٠٤؛ النويرى، نهاية الارب، ٢٣/ ٤٤٢؛ الذهبي العبر، ٢٨٩/٣؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٤١، ٤٢، ٤٣، ابن ابي زرع، القرطاس ١٣٤، ابن الوردي تتمة، ١/ ٥٧٥؛ ابن الخطيب، اعمال ٢٤٢؛ الحميرى، صفحة ١٣٥؛ القلقشندى، صبح الاعشا ٥٢/٥؛ المقري، نفح الطيب، ٢١/ ٢٠٦، ٤/ ٤٤٧ ابن ابي دينار، ١٠١؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٣٢ - ٣٣؛ اشباخ، تاريخ الاندلس ١٨١.

Chapman, A History of Spain, p. 72؛

S.P.Scott,History of the Morrish Empire,Vol.11,p.265.؛

Pref. A. Genza'lez Palencia, Hostoria de la Espana ؛

Muslmana Barcelona 49 Edicien 1945, p. 81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النـون بعد حصار دام سبع سنوات، وذلك بعد ان ظلت في أيدي المسلمين زهـاء ثلاثة قرون ونصف.

وكـان لـذلك اثر وخيم على الأندلـس والمسلمين، فقد أفـل نجمهـا كقاعدة اسلامية وتفرق مسلموها الى المناطق الأخرى، وقد عادت طليطلـة عاصمة لمملكة قشتاله(١)، كما كـانت أيام حكـم القوط الغربيين، وقـدم اليها النصارى للاستيطـان، وأصبحـت معادية للمسلمين ومكـاناً متقدماً لمحاربتهـم، وحصناً منيعاً لحماية النصـارى، بعد أن كانت بوابة لمـواجهة الممـالك النصـرانية، وفكـر الفـونس السـادس بالاستيلاء على منـاطق الأندلـس الأخرى، فشعـر ملوك الطوائف وفقهاؤها وعلماؤها بخطورة المـوقف، واتفقوا على دعوة يوسف بن تاشفين أمير الدولة المرابطية لنصرتهم، وارسلوا اليـه وفداً برئاسة المعتمد بن عبـاد الـذي التقـى به في مـدينـة سبتـة، وأطلعـه على احوال المسلمين، ومعـاناتهم مـن الضعف، وما فعله عدوهم من أسر وقتل، فاستجاب لمطلبهم.

وقـد أعلن يوسف بن تاشفين الجهـاد فوافاه الجند من انحـاء المغرب الاقصى، ومن سكان الصحراء وهم قبائل الملثمين الذين استجابوا لحمل راية الجهاد ضد الملك الفونسو السـادس، وعندما هم الامير باجتيـاز بحر الزقاق الى الاندلـس رفع يديه الى السماء ومن حوله قادة جيشه قائلاً."اللهم ان كنت تعلم أن في جوازنا هذا صلاحاً للمسلمين، فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره"، وقـد تجمعت قواته في الجـزيرة الخضـراء عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، حيـث تلقـاه ابن عبـاد، وأمـراء الأندلس(٢).

---

١ - النويرى، نهاية الارب،٢٣/٤٤٢؛انظر البشتاوى، ٥٠ ذكر اتخذها عاصمته عـام ٤٨٠هـ؛ ابن بسام ق١م١، ١٦٧.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٨/١٤١/١٤٢.

؛المراكشي، المعجب، ١٣٦.

؛مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٣٣، ٣٤، ٤٣، ٥٤.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٤٤، النويرى ٢٣/٤٥٣.

؛ابن خلدون، العبر، ٦/١٨٥.

؛ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ٢/ ٢٤٥، ٢٣٩.

؛ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/١٠٠.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/٣٤، ٣٥، ٣٩.

؛لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ١٩٥ ترجمة على الجارم، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الفونسو السادس في تلك الأثناء يحاصر مدينة سرقسطه، وقد بدأ ذلك عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وحين وصلته الانباء بقدوم المرابطين الى الاندلس، رجع الى طليطله، ودعا قادة الامارات والممالك النصرانية لمساعدته، وهم: شانجه رامبرز ملك البرتغال، والقائد البارهابنس وامراء ما وراء البرت، وقادة جليقية واشتوريش ونبرة، وكان أغلبية الجنود من سكان برشلونه في مقاطعة قطلونية والارغونيين. واتخذ قراراً بمواجهة المرابطين، فاستنفر الممالك النصرانية، وتوجه بقواته نحو الامير يوسف، وكتب اليه رسالة أغلظ له القول فيها(١)، فرد عليه الامير يوسف على ظهر كتابه "جوابك ما تراه دون ما تسمعه، ان شاء الله" فارتاع للجواب، وعلم أنه يلتقي برجل داهية(٢).

---

١ - ومما جاء في الرسالة

من امير الملثمين اذفنش بن شانجه بن فرانده الى الامير يوسف بن تاشفين.

اما بعد،

فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المسلمين بل الملة المسلمة، كما أنا امير الملة النصرانية، وما يخفى عليك ما عليه رؤساؤكم بالاندلس من التخاذل، والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الراحة، وأنا اسومهم الخسف، فأخرب الديار وأهتك الاستار، وأقتل الشبان، وأسر الولدان، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم، وأنتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى، فرض على كل واحد منكم قتال عشرة منا، وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، ونحن نعتقد ان الله اظفرنا بكم وأعاننا عليكم، ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعا، وبلغنا عنك أنك في الاحتفال على نية الاقبال، فلا أدري إن كان الجبن يبطئ بك، أم التكذيب بما أنزل اليك، فان كنت لا تستطيع الجواز، فابعث الي ما عندك من المراكب لأجوز اليك، وأنا اقاتلك في احب البقاع اليك، فان غلبتني فتلك غنيمة قد جلبت اليك، ونعمة مثلت بين يديك، وان غلبتك كانت لي اليد العليا، واستكملت الامارة، والله يتم الارادة.

- مجهول، الحلل الموشية، ٤٢، ٤٣.

؛ابن الخطيب/ اعمال الاعلام، قسم المغرب، ٢٣٩.

؛وانظر القرطاس ص ١٤٦، ١٤٧، الناصرى، الاستقصا، ٤١.

؛عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،٣٢١،٣٢٢، ؛وانظر سيمون حبابك، السيد"عنترة الاسبان" ١٤٠.

٢ - المصادر السابقة نفسها، وذكر في الحلل الموشية وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبي:

ولا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتقى الطرفان في سهل الزلاقة[١] (Sacralias) Zalaca بالقرب من بطليوس، في شهر رجب من عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، ودارت رحى موقعة ضارية بينهما انتصر فيها المسلمون، وقتلت اعداد كبيرة من جند الفونسو الذي جرح في المعركة ولجأ الى مدينة طليطلة التي اصبحت مركزاً استراتيجيا للقوات النصرانية ونقطة ارتكاز للحرب ضد المسلمين، الذين رفع الانتصار من معنوياتهم.

وعاد الامير يوسف وابن عباد الى اشبيلية (Sevilla) ومنها غادر الامير يوسف الى المغرب[٢].

وجدد الفونسو السادس نشاطه العسكري التوسعي نحو الدويلات الاسلامية متخذاً من حصن لييط نقطة انطلاق لمهاجمة مملكة اشبيلية ومناطق أخرى وذلك عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، مما أدى الى عودة القوات المرابطة بقيادة الامير يوسف الى الأندلس للمرة الثانية عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م، ولكن بعضاً من أمراء دويلات الطوائف لم يتعاون معه مما أدى الى عدم حسم الصراع مع القوات القشتالية[٣].

---

1 - Palencia, A. Gena'lez, Historia de Espana Musulmana 4 edicion, Barcelona, 1945, p. 84.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ١٠/٥٣.

؛المراكشي، المعجب، ١٣٣.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ٢/٩٦.

؛مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٤٠، ٥٤.

؛ابن عذارى، البيان، ٤/١٢٠، النويرى، ٢٣/٤٥٣.

؛ابن الخطيب، رقم الحلل، ٥٢ - ٥٣.

؛النباهي، للرقبة العليا، ٩٧، ابن خلدون، العبر، ٦/١٨٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٤٧ - ٤٩، عاشور، الحركة الصليبية، ١/٧١.

٣ - المراكشي، المعجب، ١٩٢.

؛مجهول، الحلل الموشية، ٦٩.

؛ابن الخطيب، رقم الحلل، ٥٤ - ٥٧.

؛ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/ ٨٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/٥١ - ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكرر المشهد السابق عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، مما دفع الامير يوسف الى الاطاحة بحكام دويلات الطوائف مثل: ابن عباد في اشبيلية وعبد الله بن بلكين في غرناطة وعمر بن الافطس في بطليوس ... الخ، والقضاء على صراعاتهم حتى يتمكن من الوقوف امام مملكة برشلونه النصرانية(١)، التي استولت على طركونه في الثغر الأعلى في العام نفسه بمباركة من البابا اوربان الثاني(٢).

وقد حقق ابن تاشفين مخططه القاضي بضم الامارات الاسلامية الأندلسية الى الدولة المرابطية عام ٤٩٣هـ/(٣) ١١٠٠م، مستنداً على فتاوى علماء المغرب والاندلس، ومستجيباً لآرائهم بمبايعة الخليفة العباسي المستظهر بالله ابو العباس احمد في بغداد، لاضفاء الصفة الشرعية على حكمه وذلك عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م(٤).

---

١ - ابن عذارى، البيان، ٦٦/٤.

؛ابن الابار، الحلة السيراء، ١٩٢/٢.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٧/٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٥٨/٢.

؛اشياخ، تاريخ الاندلس، ٩٣.

٢ - ابن الابار، الحلة السيراء، ١٩٢/٢.

؛ابن عذارى، البيان، ٦٦/٤.

؛الناصرى، الاستقصا، ٥٨/٢.

؛مؤنس، الثغر الاعلى، ١١٢.

؛عنان، عصر المرابطين والموحدين، ١١٦.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ١٥٤/٨.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٤.

؛مجهول، الحلل الموشية، ٧٢.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٨/٦.

؛المقرى، نفح الطيب، ١٠٤/٦، ١٠٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٥٤/٢ - ٥٦.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ٢٣٦/٨.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٨/٦.

؛السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٣٩٣.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من أن الأمير يوسف بن تاشفين كان يملك قوة عسكرية تمكن بها من التصدي للزحف النصراني وايقافه، الا أن الوضع تغير في عهد خليفته علي بن يوسف، الذي تسلم زمام الحكم عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، رغم أنه حقق بعض الانجازات العسكرية واستطاع المحافظة على المناطق الاسلامية الأندلسية(١)، كما تمكن من بسط سلطة الدولة المرابطية على جزر البليار عام ٥٠٩هـ/ ١١١٥م وتحريرها من سيطرة جنوه والبندقية(٢).

وقد بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة المرابطية في الأندلس منذ بداية العقد الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حتى ان الفونسو الاول، ملك ارغون استولى على سرقسطه عاصمة الثغر الأعلى عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م بمساعدة جاستون دى بيارن، وأخيه سانتوشانجه اللذين سبق لهما أن اشتركا في الحملة الصليبية الأولى على الشرق الاسلامي عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٨م، وتواصل زحفهم واستولوا على قلعة أيوب عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م، واجزاء من شرق الأندلس(٣).

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٢٣٦/٨.

؛المراكشي، المعجب، ١٦٣.

؛ابن القطان، نظم الجمان، ٧، ٨.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٦.

؛مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٧٨، ٨٣.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٨/٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٦٠-٦١، ٦٣.

؛S.P.,Scott,Hostory of the Moorish Empire,Vol.11,p.248.

؛اشباخ، تاريخ الأندلس، ١١٦ وما بعدها.

٢ - ابن الكردبوس، الاكتفا، ١١٨، ١٢١.

؛مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٥.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ٨٥، ١١٣، ١٦١.

؛ابن خلدون، العبر، ١٨٨/٦.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٦٥، ٦٦.

؛وانظر، مكي، وثائق مرابطية، ١٨٥.

؛سيسالم، الجزر المنسيه، ٢١٨.

٣ - المصادر السابقة، وانظر عذارى، البيان، ٥٣/٤، الناصرى، الاستقصا ٦٦/٢، اشباخ، تاريخ الاندلس، ١٤٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أظهر احتلال اجزاء من الأندلس ضعف القوات المرابطية وعدم مناصرة أهل الأندلس للمرابطين في عام ٥١٤هـ/[١] ١١٢٠م، وقد كان من أهم أسباب ضعف القوات المرابطية اتصالهم بمدينة الأندلس وحضارتها حيث بدأت الرفاهية تنخر في صلابتهم الدينية وقوتهم العسكرية، كما ظهر الفساد الاجتماعي ممثلاً في الانصراف الى اللهو والترف. وهكذا توالت في الأندلس الهزائم بعد الانتصارات، وثارت قرطبة ضد المرابطين عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م.

وقد أشار المراكشي[٢] الى الأوضاع الداخلية بقوله: "واختلت حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسماية، فظهرت في بلاده مناكير كثيرة، وذلك لاستيلاء اكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، وانتهوا الى ذلك بالتصريح، وصار كل واحد منهم يصرخ أنه خير من علي أمير المسلمين، وأحق بالأمر منه" وفي ذلك اشارة الى ضعف حال امير المسلمين علي بن تاشفين، وانتشار الفساد حيث استغل المتنفذون في السلطة الأوضاع واخذوا يعلنون انهم أحق بالحكم منه، واخذ الناس على فقهاء المالكية ميلهم الى الدنيا وكثرة اموالهم واتساع مكاسبهم حتى قال شاعر الأندلس ابن النبي معرّضا بقاضي قرطبة ابي عبد الله بن حمدين:

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٩١.

؛المؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٦ - ٨٧.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٦٤.

؛الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٧٥ - ٧٦.

Tout, The Empire and the Papacy, p. 470.

٢ - المراكشي، المعجب، ١٧٧.

؛وانظر ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٥.

؛مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٠ - ١٠١.

؛ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٤ - ١٧٥.

؛ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس، ٢٤١ وما بعدها.

؛اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل الرياء لبستموا ناموسكم كالذئب أولج في القلام العائم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الاموال بابن بالقاسم(١)

كما أن اولئك المتنفذين هاجموا علم الكلام، واعتبروه بدعة، وأحرقوا كتاب احياء علوم الدين للغزالي(٢).

ومما زاد من ظهور المعارضة في الأندلس ضد الدولة المرابطية، ظلم الحكام والامراء وجمع المكوس واضطراب الحياة الاجتماعية والسياسية(٣)، مما أدى إلى تفكك الوحدة، وطمع الممالك النصرانية بالاستيلاء عليها(٤).

وأما في المشرق الإسلامي فقد بويع الخليفة المستظهر بالله أبو العباس أحمد بالخلافة العباسية عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، واستمر حكمه حتى عام ٥١٢هـ/ ١١٨٤م(٥)، وفي عهده تولى السلطة التنفيذية السلطان السلجوقي بركياروق بن ملك شاه عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م الذي خاض صراعاً على السلطة مع أخويه محمد وتتش ابني أرسلان مما أدى الى انقسام الولاء بين الولايات، وضعف الخلافة في الداخل، وازدياد المواجهة في الخارج.

---

١ - المراكشي، المعجب، ١١١.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٤، ابن عذارى، البيان، ٤/ ٥٦،

؛مجهول، الحلل الموشية، ١٠٥، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٧٤ - ٧٥.

٣ - المراكشي، المعجب، ١٨١.

؛ابن الاثير، الكامل، ٢٩٥/٨.

؛ليفي بروفنسال الاسلام في المغرب والاندلس، ٢٤١ وما بعدها.

؛S.P,Scott,History of the Moorish Empire,Vol.11,P.245.

٤ - أشباخ، تاريخ الاندلس، ٤٨١.

؛S.P,Scott,History of the Moorish Empire,Vol.11,p.261.

٥ - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٨٤.

؛ ابن طباطبا القمرى، ٢١٨ - ٢٢٠.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٧٧، ٢٨٨.

؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/ ٢٤٢.

؛ ابن كثير، البداية، ١٢/ ١٨٢.

؛ ابن خلدون، العبر، ٥/ ٤٥.

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهره، ٥/ ١٦٦ - ١٦٧، ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوقفت نار الفتنة بوفاة بركياروق ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وتولي محمد السلطة[١]، الا ان ظهور الحركة الباطنية عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م[٢] في العراق، وفارس، وخراسان، واحتلال أتباعها قلعة أصبهان، واتخاذها نقطة انطلاق لدعوتهم، أدى الى تدهور الأوضاع الداخلية. وقد امتد نشاط الباطنية الى بلاد الشام عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، حيث احتلوا قلعتي شيزر، وأفاميه، وقتلوا أمير حمص[٣].

وحكمت مصر في هذه الفترة الخلافة الفاطمية وسيرت شؤونها وفق المذهب الشيعي الاسماعيلي.

وتولى الحكم الخليفة المستعلي بالله بن محمد بن أبي الحسن الظاهر من عام ٤٨٧هـ - ٤٩٥هـ/ ١٠٩٤م - ١١٠١م، وتنفذ في عهده الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذي اذكى الخلاف بين الخليفة وأخيه نزار. ويبدو أن الوزير كان يريد التخلص من نزار الذي عمل على اقصائه عن الوزارة. وقد أدت الخلافات الى قتل الأفضل على يدى الباطنية عام ٥٢٢هـ[٣]/ ١١٢٨م.

١-٢، ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٠٠، ابن العبرى، مختصر الدول، ١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٩/١٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٣٩٥ واتفق ابن الاثير، وابن طباطبا في الرأي حول الباطنية، وكان هؤلاء الباطنية قد ظهروا في العراق، وفارس، وخراسان، وهم القرامطة والدعوة بعينها دعوتهم، إلا انهم سموا بالباطنية والاسماعيلية والملاحده، والفداويه، والباطنية لأنهم يبطنون دعوتهم، والاسماعيلية لانتساب دعوتهم الى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق.

٣ - ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ٧٧.

؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٤٩.

٤ - ابن القطان، نظم الجمان، ٢٤.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٠٥، ٣٠٣.

؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ٥٦١، ٥٦٦.

؛ ابن جبير، الرحلة، ٢٦، ٢٧.

؛ ابن كثير، البداية، ٢/ ١٤٨.

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥/ ٢١٣٢، ١٤٢، ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي البلاد التي عرفت بافريقية حكم المعز بن باديس آل زيري من عام ٤٠٦هـ- ٤٨٣هـ/ ١٠١٥م - ١٠٦٢م، وكان متقلباً في الولاء بين الخلافتين: الفاطمية والعباسية(١). مما دفع الخلافة الفاطمية الى اتخاذ اجراءات انتقامية ضده، فدفعت بالقبائل العربية من بني سليم، وهلال، ورياح الى بلاده(٢)، مما أدى الى اضطرابات سياسية، واجتماعية، واقتصادية فيها(٣).

ووطد خلفاؤه العلاقة مع الدولة المرابطية التي قدمت له المساعدة بايقاف الزحف النورماندي الصقلي على السواحل الافريقية عام ٥٠٩هـ/ ١١٠٧م(٤)، وغزو جزيرة صقلية عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م.

وقد اعتبر روجار الثاني حاكم صقلية أن غزو الاسطول المرابطي لجزيرة صقلية كان بتدبير من الحسن بن علي آل زيرى(٥)، ولذلك وجه قائده

جرجي الأنطاكي على رأس الأسطول الصقلي فهاجم الموانئ والثغور الافريقية

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ١٢/٦، ٣٩.

؛ ابن عذارى، البيان، ١/ ٣٩٩.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٢٥.

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ١٣٨/٤، ١٧٢.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٥٥.

؛ العبادى، في التاريخ العباسي والفاطمي، ٣٢٤.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٢٣٥.

؛ وانظر، ابن عذارى، البيان، ١/ ٤١٧.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٩١، ١٠٤، ٢١٩.

؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٩/٦، ١٦٠.

٥ - ابن الاثير، الكامل، ٣١٢/٨.

؛ ابن عذارى، البيان، ٣٠٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودخل جزيرة قوصره[١]، إلا ان هذا القائد هزم في جزيرة الأحاسي[٢] عام ٥١٧هـ/ ١١٢٣م قبل وصوله الى المهدية، وأبيدت قواته في قصر الديماس، وفر من بقي منها عائداً الى صقلية.

وقد قال الشاعر الصقلي ابن حمديس في ذلك:

اتوا بأساطيل تمر كأنها ... جراد مطل ضاق من عرضه البحر

وخيل حشوا منها السعين ولم يكن ... لها في مجال الحرب كر ولا فر

وقد ركبت فرسانهم صهواتها ... فأرجلهم عنها التذلل والذعر

فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم ... فهم بالمواضي في جزيرتهم جزر

وهذه الحالة السياسية السائدة في المغرب والمشرق الاسلاميين شجعت البابا اوربان الثاني على الاستجابة لدعوة الامبراطور البيزنطي الكسيوس لمساعدته بحملة اوروبية ضد المسلمين في المشرق بعد الانتصارات التي حققها المسلمون السلاجقة

---

١ - قوصره/ جزيرة في بحر الروم (البحر المتوسط) بين المهدية، وجزيرة صقلية، فتحها المسلمون ايام معاوية بن ابي سفيان.

الحموى، معجم البلدان، ٤/ ٤١٣.

الحميرى، الروض المعطار، ٤٨٥.

؛ الادريسي، المشتاق، ١٩.

؛ البكرى، المغرب، ٢٢٦.

٢ - الاحاسي/ جزيرة تقع على نحو عشرة أميال من المهدية بافريقية، هزم فيها اسطول روجار طاغية صقلية في عهد صاحب المهدية الحسن بن علي، الحميرى، الروض المعطار، ١٤.

ابن الاثير، الكامل، ٣١٢/٨.

؛ التيجاني، الرحلة، ٣٣٧، وذكر رسالة للحسن الى بلاد المسلمين يبشرهم بالنصر..

؛ ابن عذارى، البيان، ٣٠٩/١.

؛ ابن خلدون، العبر ٣٣٠/٦، وانظر ديوان ابن حمديس الصقلي تحقيق احسان عباس.

؛ امارى، المكتبة الصقلية، ٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في معركة ماتزكرت عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م[١]، وفتحهم لآسيا الصغرى.

وعقد البابا اوربان الثاني مؤتمراً في كليرمون في وسط فرنسا عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥[٢]، وخطب في الجموع المحتشدة محمساً إياهم لإنقاذ القبر المقدس من المسلمين[٣]، ثم نظمهم وعقد اللواء للاشراف، والامراء: ريموند كونت تولوز، وهيوكونت فرماندوا، وبروبرت دكونت فلاندر وجود فرى دوق اللورين وأخويه: بوستاس، وبلدوين، وبوهمند بن جويكارد ليتولوا القيادة، وقد تبعت هؤلاء عدة حملات صليبية، اشترك فيها ملوك أوروبا: فردريك بربروسا، وريتشارد قلب الاسد، وفيليب اغسطس، وفردريك الثاني تحت ضغط الباباوية والحاحها وتهديدها بالطرد

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٨/١٠٨، ١٨٥، ابن خلدون، العبر، ٥/١٨٣، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٣٩٣، ابن العبرى، مختصر تاريخ الدول، ١٨٥، ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥/ ٦٦.

وذكر ابن خلدون ان حملتهم على المشرق كانت بتحريض من العبيدين بمصر، وذلك لما استفحل أمر السلاجقة، وانتزعوا منهم بلاد الشام.

٢ - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٣٣ - ١٣٥، التواني عبد الكريم، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ٦٠٠ - ٦٠٣، المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢٣٠، الخضرى، تاريخ الأمم الاسلامية ٤٤٢، دار المعرفة، بيروت، د. سعيد عاشور، الحركة الصليبية ١/ ١٢٨ - ١٣١، اوروبا في العصور الوسطى، ٢/ ٤٩، حسن حبشي، الحرب الصليبية الاولى ٦٥.

٣ - اكد البابا في خطبته أن "العالم المسيحي في الشرق التمس منه المساعدة، لأن الترك مضوا في زحفهم جوف البلاد المسيحية، وأخذوا يسيئون معاملة السكان، ويدمرون مشاهدهم وأضرحتهم"، ثم أكد ما للبيت المقدس من قداسة خاصة، ووصف ما يعانيه الحجاج اثناء سفرهم من العذاب والمتاعب، ووجه نداءه الى المسيحيين في الغرب لنجدة الشرق قائلاً: "ينبغي أن يسير الاغنياء والفقراء سواء ويكفوا عن قتل أحدهم الآخر، وأن يباشروا عوضاً عن ذلك القتال الحق، فيودون ما أمر الله به أن يعمل، وسوف يكون هادياً ومرشداً لهم، ومن يلق مصرعه في المعركة يتحلل من ذنوبه وغفر الله اخطاءه، فالحياة أضحت نعمة، كثيرة السرور بعد أن أضنى الناس انفسهم في تدمير اجسادهم وارواحهم، استبد بهم هنا الفقر والبؤس، وسوف ينعمون هناك بالسعادة والرخاء، ويكونون اصدقاء اوفياء لله، فلا ينبغي التمهل والارجاء، فليستعدوا للمسير عند حلول الصيف وليكن الله هاديهم".

ستيفن/ نسيمان/ نقله الى العربية السيد الباز العريني، ص ١٧١ - ١٧٢، تاريخ الحروب الصليبية/ دار الثقافة بيروت/ لبنان ط ١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من رحمة الكنيسة. وفي الوقت نفسه كان ملوك الممالك النصرانية في الأندلس يخوضون حرباً صليبية ضد المسلمين هناك، بمباركة البابا اوربان الثاني أيضاً. هذا، وقد اندفعت الجموع الى القسطنطينية، واستقبلهم الامبراطور البيزنطي الكسيوس، والتقوا مع السلاجقة في عدة معارك، انتصروا فيها وأهمها: (نيقيه ٤٩٠هـ-١٠٩٧م اوربليوم (ارضروم)، وتمكنت الدولة البيزنطية من الاستيلاء على الاناضول عام ٤٩٠هـ-١٠٩٧م، ثم توزعت هذه القوات بعدة اتجاهات شرقاً، واحتلت مدينة الرها عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٨م، وأقامت فيها امارة تولاها بلدوين، وجنوباً احتلوا انطاكية عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وأسسوا فيها امارة تولاها بوهمند ثم تنكرد، وبيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وأقاموا فيها امارة نصبوا عليها جود فرى ثم بلدوين(١)، فأثار الاحتلال النصراني فزعاً وألماً في النفوس، وفر الناس من الشام الى العراق مستغيثين على الفرنج، منهم: قاضي دمشق ابو سعد الهروى، الذي نظم خطبة قرئت في ديوان بغداد وعلى المنابر يستحث فيها الخليفة العباسي المستظهر بالله أبا العباس والمسلمين ليهبوا لانقاذ بيت المقدس(٢) عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م.

---

١ - انظر مجريات الحملة الصليبية/

؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٣٥.

؛ ابن الاثير، الكامل، ١٨٦/٨ وما بعدها.

؛ المؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٩.

؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ١٥٥ - ١٥٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٨٤.

؛ ابن العبرى، مختصر تاريخ الدول، ٩٦.

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥/ ١٩٨.

٢ - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٢٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨.

؛ ابن الاثير، تاريخ الدولة الاتابكية، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٨ - ١٩٤-٢٣١، الكامل، ٢٢٤/١١.

؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١/ ٤٠، ٥٧، ٦٧ - ٧٩.

؛ ابن خلدون، العبر، ٥/ ٢٢٧، ٢٤٠.

؛ ابن كثير، البداية، ١٢/ ١٥٧ وما بعدها.

؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤١٧، ٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقدم الصليبيون، واحتلوا طرابلس عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م وأسسوا امارة برئاسة ريموند(١).

ولم تلق نداءات المسلمين واستغاثتهم استجابة من دار الخلافة في بغداد او أي من المسلمين لاشتغالهم بالصراعات الداخلية، بين السلطان بركئاروق بن ملكشاه واخيه محمد بين عامي ٤٩٢هـ - ٤٩٧هـ/ ١٠٩٨م - ١١٠٣م، والتنافس على السلطة، وبدأ الغزاة بترسيخ اقدامهم في المشرق بالاندماج في حياتهم، وحاكوا العرب في كثير من عاداتهم(٢).

وقد كانت رحلة ابن تومرت العلمية الى الأندلس والمشرق الاسلامي في ظل هذه الاوضاع السياسية في الفترة من عام ٥٠١هـ - ٥١٠هـ/ ١١٠٧م - ١١١١م، ثم دعوته من ٥١٠هـ - ٥٢٤هـ، وصادف ذلك ظهور حركة وعي اسلامي في المشرق الاسلامي، قادها عماد الدين عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، وولده نور الدين زنكي عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، وكانا معاصرين لعبد المؤمن بن علي في المغرب. وتمكن نور الدين وعماد الدين من توحيد بعض اجزاء بلاد الشام والجزيرة الفراتية (حلب، وحمص، ودمشق، والكرك، والموصل) بين عامي ٥٢١ - ٥٦٨هـ/ ١١٢٧م - ١١٧٢م ثم تسلم الراية صلاح الدين الذي تمكن من الغاء الخلافة الفاطمية في مصر عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، ووحدها مع الخلافة العباسية في بغداد، وخطب للخليفة المستضيء بالله، وبذلك تشكلت النواة الاولى لتحرير بلاد الشام، وتمكن صلاح الدين من فتح بيت المقدس، عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م(٣).

---

١ - ابن كثير، البداية، ١٢/ ١٥٦.

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥/ ١٤٦ - ١٥٢.

٢ - أسامة ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ١٣٢ وما بعدها.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٥ - ٢٣٨.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ٧٧ وما بعدها.

٣ - ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ١٩٤، ٢٣١.

؛ ابن الاثير، تاريخ الدولة الاتابكية، ١٥٧ وما بعدها.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ١١١، ٩/ ١٨٢، ١١/ ٥١ وما بعدها.

؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٦/ ١٨٧ وما بعدها.

؛ ابن خلدون، العبر، ٥/ ٢٨٥، ٣٠٩.

؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤١٠، ٤١١، ٤١٧، ٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح أن ميدان الهجمة الصليبية قد شملت المغرب والمشرق الاسلاميين في آن واحد حتى أن بعض المؤرخين الاوروبيين اشاروا الى ذلك الترابط في التوجه(١).

ومما يسترعي النظر أن بعض المؤرخين(٢) المسلمين أشاروا أيضاً الى ذلك الترابط، وقد اتضح ذلك عند ابن الأثير خلال تسجيله لأحداث الحملة الصليبية، والاستيلاء على انطاكية عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م حيث بدأ تسجيل الروايات المتعلقة بالنصارى في الأندلس وصقلية مما يوضح الربط في الحرب بين المغرب والمشرق الاسلاميين، متخذاً من الحرب بالأندلس مدخلاً لها في الشام(٣).

---

١ - انظر:

King the Knight, Hospitllers in the Holy Land, p.135, Tout, the Empire of the Papacy, p. 471.

؛ النواتي عبد الكريم، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ٥٩٩ - ٦٠١.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٥/ ١٨٣.

؛ السيوطي، الخلفاء، ٣٩٣.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
عبد المؤمن بن علي الكومي "القيسي"

- نسبه
- نشأته وتكوينه الفكري
- لقاؤه مع ابن تومرت
- بيعته لابن تومرت وبيعته بالخلافة
- أعماله الداخلية
- القضاء على الدولة المرابطية
- اقامة الدولة الموحدية بالمغرب الاسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

يعتبر عبد المؤمن بن علي المؤسس[١] الفعلي للدولة الموحدية، التي امتدت من برقة الواقعة إلى الغرب من حدود مصر حتى لمطه في المغرب الاقصى على المحيط الاطلسي، فقد ضم الأندلس، وقضى على المحاولات النصرانية الصليبية الاستقرار فيها، وأوجد معاهد للعلم، ودوراً للصناعة على طول السواحل من المهدية الى طنجه، وعقد المعاهدات التجارية مع المدن الايطالية (جنوه والبندقية وبيزا) وقضى على القرصنة في البحر المتوسط حتى اصبح مكاناً للمجاهدين. ونقل القبائل العربية: رياح، والاثبج، ومعقل، وبني هلال، وذبابه ...[٢] وأسكنها في مناطق مختلفة من المغرب فشاركوا بالجهاد في الاندلس. واعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة، وأقام نظاماً ادارياً محكماً، وساد في عهده الأمن والاستقرار في ارجاء البلاد، ومسح أراضي الدولة ووضع عليها الخراج، ونهضت الدولة في المجال الاقتصادي، والفكري، والثقافي، والعسكري، وتعززت علاقاتها مع الشرق الاسلامي.

نسبه:-

عبد المؤمن بن علي بن علوى ... بن قيس عيلان بن مضر[٣]، نزل

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٦ وما بعدها.

؛ لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٥٤ - ١٥٦.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٩، ١٤٤.

؛ اندرى جوليان، تاريخ افريقية الشللية، ٢/ ١٤٤، وما بعدها.

S.P.Scott,History of the Moorish Empire,Vol.2,P.259.; 260-296.2

٢ - انظر الاماكن التي استقروا فيها في هذا البحث في الفصل الرابع، دور الغرب في الحياة الاقتصادية.

٣ - البيذق، أخبار المهدى، ٢١ - ٢٤؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٥؛ المراكشي، المعجب، ٧٠، ٧٢، ١٩٢؛ الهرغي، المقتبس من الانساب، ٢١ - ٢٤؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، قسم الأندلس ٢٢٦؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٣٩٧؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ١٨٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٤٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٢٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٢٤٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٢٧؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجداده بتلمسان، وجاوروا زناته فنسب عبد المؤمن اليهم بالجوار والحلف.

وأمه هي تعلو بنت عطيه بنت ادريس ... ابن الحسن بن علي بن أبي طالب. ولم يذكر نسبها الى علي بن ابي طالب الا الهرغي وهو مؤرخ موحدي، ولذا يشك في روايته، ومن المرجح أن أمه بربرية، فقد كان عبد المؤمن يقول عن البربر: (الأخوال). وقد اختلف في سنة ولادته، فقيل عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م بتاجرا[١]، من أعمال تلمسان، أو ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م أو ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، واتفق المؤرخون على أن وفاته كانت عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، عن ثلاث أو أربع وستين سنة[٢].

وكان يقول اذا ذكرت كومية في نسبه: لست منهم، وانما نحن لقيس عيلان بن مضر، ولكومية علينا حق الولادة بينهم، والمنشأ فيهم وهم الأخوال. وقد حرص مؤرخو العصر وشعراؤه على اثبات أصله العربي في كتاباتهم، وأطلقوا عليه القيسي بدل الكومي، والبعض خلط النسب[٤] العربي والبربري. وتعرض ابن خلدون لنسبه فقال: "ويذكر بعضهم أن في خط (الخليفة الموحدى) عبد الواحد المخلوع يوسف بن عبد المؤمن ما يدل على أنه مصنوع، اذ هذه الاسماء ليست من أسماء البربر، كما نرى عربية والقوم من البربر" (وفي ذلك اشارة الى أن نسبه العربي منتحل، ونقلها ابن خلدون ولم يعلق عليها).

ولعب نسبه العربي دوراً بارزاً في دفع القبائل العربية إلى الالتفاف حوله

---

١ - بتاجرا: حصن في الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٧.

٢ - المصادر السابقة.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٥، المراكشي، المعجب، ٧٠ - ٧٢.

؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٤٢، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٣.

؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٣٧.

؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٣٩٧.

؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٢٤٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٧.

٤ - انظر المصادر رقم (٣) من الحاشية السابقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجهاد في الأندلس الى جانب الموحدين، وسماهم بأبناء العمومة، وكانت تجمعه معهم صلة القربى بقيس عيلان. وانتشرت القبائل العربية في اجزاء الغرب، وساهمت في التعريب، واضفاء الصبغة العربية الاسلامية عليه، وكانت الهجرة في فترات متفاوتة في بداية الفتح الاسلامي وفي عهد المعز بن باديس بين عامي ٤٠٦ - ٤٥٤هـ/ ١٠١٥م - ١٠٦٢م، ثم في عهد عبد المؤمن عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. وقد جاء في رسالة عبد المؤمن إليهم يحثهم على الجهاد:

اقيموا الى العلياء هوج الرواحل وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الاعداء شدة صائل
بني العم من عليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة وللمدلج السارى صفاء المناهل(١)

ويظهر مما عرضه المؤرخون أن نسبه ينتهي الى قيس عيلان بن مضر، وأن جده هاجر الى ساحل كوميه في منتصف القرن الخامس للهجرة حيث قبيله زناته، ونشأ فيها، وكان له حق الجار والمنشأ فيهم، وهم الخؤولة. ويظن أصله العربي أيضاً مما أورده الشعراء، ومن توافد القبائل العربية الى المغرب والمشاركة معه بالجهاد في الاندلس من عام ٥٤٨هـ - الى قبيل وفاته عام ٥٥٨هـ/ ١١٥٨م - ١١٦٢م، واعتماده اللغة العربية لغة رسمية للدولة.

ودعوته العرب بأبناء العمومة يرجح أصله العربي، ويدل على أنه كان عربي الأب، بربري الأم، ويؤيد ذلك أن منطقة افريقية والجزائر قد كثرت فيها القبائل العربية (بنو هلال، وسليم، ومعقل، الاثبج، ورعد، ورياح، وعدى) وقد هاجر جده من الاندلس ونزل في الجزائر في منتصف القرن الخامس للهجرة أثناء الصراع بين أمراء الطوائف حتى أن المؤرخين الذين ردوا نسبه الى قبائل زناته لم يجزموا على ذلك، وأشاروا في نسبه الى قيس عيلان بن مضر، كابن زرع، وابن خلدون، والناصرى وكلا الصنفين من المؤرخين لم يذكروا مصادرهم.

---

١ - المراكشي، المعجب، ٢٩٤ وما بعدها.

؛ ماهر، الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقية، ٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يذكر أن القبائل العربية التي هاجرت الى المغرب وافريقية في الاعوام ٤٠٦/٤٥٤هـ ١٠١٥/١٠٦٢م و ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، احتكت مع البربر وتصاهرت معهم، وأجادت استعمال اللغة البربرية، وكذلك العكس، وهذه الظاهرة موجودة في المغرب حتى وقتنا الحاضر.

نشأة عبد المؤمن وتكوينه الفكري:-

كان والده علي من أشراف قومه، وذا دراية بالأدب، وقد تولى القضاء في بلدة تاجرا في أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كما عمل بصناعة الفخار والأواني وبيعها. وقد اعتنى بابنه عبد المؤمن منذ الصغر(١).

وهكذا نشأ عبدالمؤمن في أسرة علمية، وقد لازم المساجد، وأخذ عن الفقهاء والعلماء، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وألم بالسيرة النبوية(٢)، وكان كثير الفهم، متفوقاً على الطلبة في ذكائه وفهمه(٣). وانتقل من بلدة تاجرا الى تلمسان في نهاية عام ٥٠٩هـ/ ١١١٥م والتحق بالفقيه ابن صاحب الصلاة عبد السلام التونسي(٤) بعد أن تعلم الحفظ والقراءة والكتابة والقرآن في بلدة تاجرا.

اخوته:-

كان لعبد المؤمن اثنان من الاخوة: يوسف، ومحمد، وأخت من امه تعلو، التي تزوجت من والد أبي محمد بن عبد السلام الكومي(٥) بعد وفاة والد عبد المؤمن ولم يحدد الهرغي -الذي انفرد بذكر الخبر - في أي عام.

---

١ - الهرغي، الانساب، ٢٧، من اخبار المهذى، البيذق، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٧.
؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٣، ابن خلدون، العبر، ٢٢٧/٦.

٢ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٨، ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٦، ؛ البيذق، اخبار المهدى، ٥٥.
؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٥.
؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١٠٦.

٣ - البيذق، اخبار المهدى، ٥٥، انفرد بذكر الخبر.

٤ - ابن القطان، نظم الجنان، ٢٢.

٥ - الهرغي، المقتبس من الانساب، ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرابته:-

وهم بنو كنونه ولهم سبعة أفخاذ(١) وقد انفرد الهرغي بذكر نسب عبد المؤمن وتفاصيله، والتقى مع المؤرخين(٢) في نسبه العربي، وأضاف بأنه يلتقي وابن تومرت مع الرسول عليه الصلاة والسلام في عدنان، ومن واقع دراسة حياة(٣) الهرغي، تبين أنه عاش في أواخر الدولة الموحدية من عام ٦٦٧ - ٧١٤هـ/ ١٢٦٨ - ١٣١٤م، وأوائل الدولة المرينية. ويبدو أنه كان موحدياً، لذلك اضفى على النسب صفة القدسية والتقدير بالتقائهما مع الرسول عليه السلام في عدنان ليبين مكانة ابن تومرت وعبد المؤمن والخلفاء الموحدين والدعوة الموحدية وليستدر التأييد لهم.

لقاؤه بابن تومرت(٤):-

خرج عبد المؤمن مع عمه يعلو حاجا عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وطالبا للعلم بعد أن تفقه بتلمسان على الفقيه عمر التونسي، ونزلا في بجاية عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وكان قد انتشر أمر الفقيه السوسي (ابن تومرت) فسأل عبد المؤمن عنه، فقيل له عالم المشرق والمغرب، وطلب الى عمه السير اليه ليستفسر منه عن

---

١ - افخاذ كنونه، بنو عبد المؤمن، بنو ابي يعقوب، بنو ابي علوى، بنو حسن، بنو حسين، بنو عيسى، بنو موسى، الهرغي، المقتبس من الانساب، ٢٤، من كتاب أخبار المهدى، نشره ليفي بروفنسال وانفرد بتفاصيل النسب.

٢ - انظر المؤرخين الذين أرخوا نسبه في بداية الفصل (ص ٢).

٣ - انظر الهرغي، المقتبس من الانساب، ٢٤ - ٢٧، ٤٩، وهو ابراهيم بن موسى بن محمد الهرغي.

٤ - محمد بن تومرت:هو محمد بن عبد الله الهرغي عرف بابن تومرت، ولد في ايجليز في الاطلس الصغير بمنطقة السوس عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م، وتلقى العلم في مسجد القرية، قراءة القرآن والعربية، وكان من اسرة متدينة، وهجر قريته عام ٥٠١هـ/١١٠٧م الى المدن المغربية مارا بمراكش وفاس، فدرس علوم الدين والفقه والعربية ثم رحل الى الاندلس ودخل مدينة قرطبة احد المراكز العلمية الاسلامية، واتصل بقاضي الجماعة فيها ابن حمدين، واطلع على المذهب الظاهري، وانتقل الى افريقية (المهدية، والقيروان) وكانتا انذاك من المراكز الاسلامية المهمة واتصل بالامام المازري، وارتحل الى مصر والتحق بالامام الطرطوشي، ثم ذهب الى مكة المكرمة ومنها الى الشام وبغداد، وقد التقى بخيرة العلماء والمحدثين كالغزالي، والكياهراسي وأبو بكر الشاشي، وحضر دروسهم بالمدرسة النظامية ببغداد، حتى لمع=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= في الفقه والاصول، والعربية، واطلع على التيارات الفكرية كالمعتزلة، والاشعرية، والشيعة الامامية، وتأثر بها واخذ عنها، وعاصر الاحداث السياسية التي كانت تعصف بالمشرق الاسلامي، وسقوط بلاد الشام وبيت المقدس بيد الصليبيين من ٤٩٠هـ - ٥٠٢هـ/ ١٠٩٨م - ١١٠٨م.

وقد كان لهذه الرحلة العلمية اثر على شخصيته الفكرية والسياسية، حتى عاد كما وصفه ابن خلدون بحراً متفجراً من العلم (العبر ٦/١٧٦، ٢٢٥) وشهابا واريا من الدين، ووضع منهجاً سياسياً وفكرياً أراد ان يدعو اليه ويغير اسلوب الحياة العقلية على أساس من الاصول، والتأويل العقلي على طريقة الأشعرية تارة وعلى طريقة المعتزلة تارة أخرى. واستعمل الامامة في المجال السياسي والاجتماعي، ونادى بطاعة الامام وعصمته، وهاجم طريقة الفقهاء المغاربة هجوماً عنيفاً ووصفهم بأنهم يجسمون لأخذهم النصوص على ظاهرها دون تأويل، وجمودهم على الفروع الفقهية دون ربطها بالاصول، وأنهم تركوا الكتاب والسنة، ومزقوا الشرع. وذهبوا به طرائق اعتماداً على الرأي الذي لاسند له من الشرع، وبذلك ساد الجهل وانقلبت الحقائق، وطمع بالبلاد الاسلامية اعداؤها.

وأراد ابن تومرت توحيد عقيدة الأمة ثم مظاهر حياتها السياسية، لذلك وضع منهجاً متكاملاً ومتميزاً لدعوته، ومستقلاً عن الآراء الفكرية التي اطلع عليها، وبرزت دعوته في كتابه أعز ما يطلب، ورسائله الموجهة للموحدين، وتركزت على التوحيد، وصفات الله، والقضاء والقدر، والايمان، والامامة، والمعجزات والاحكام الشرعية بمسائل الحياة المختلفة (الاخذ بالاصول، وعدم الاقتصار على الفروع، والاجماع، والقياس، والامر والنهي في الاحكام، وأحكام العبادات).

وقد مرت دعوته بثلاث مراحل: ١. التنظيم والتثقيف، والاعداد الفكري.

٢. الصدوع بالأمر، وعقد المناظرات الفكرية.

٣. اللجوء الى استعمال القوة المادية.

وأقام مركزاً للدعوة في مسقط رأسه قرية ايجليز ثم هاجر الى تنملل واتخذها قاعدة لتنظيم المجتمع الموحدي، واعداد الدعاة، وبداية مقارعته للمرابطين عسكرياً حتى توفي عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م

انظر المصادر:

ابن تومرت، اعز ما يطلب (١-٤٣٠)، اخبار المهدى ٣٣، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ٢٨٤، ابن القطان ، نظم الجمان، ٣٨، ابن الاثير، الكامل ٨/٢٩٤ المراكشي، المعجب ١٧٨، ابن عذارى، البيان المغرب، ١/ ٣٠٣، مجهول، الحلل الموشية ٨٥، الزركشي، تاريخ الدولتين ٢٤، الروض المعطار ٥٣٧، ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٠هـ، ابن كثير البداية والنهاية، ١٢/١٧٧، الشهرستاني، الملل والنحل، ١ - ٨ - ٤٩، ٩٤، النويرى، تاريخ المغرب الاسلامي، ٣٥٦، ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٤، جان وطاروا، ازهار الرياض ١٨٠، الخل جنثالث، تاريخ الفكر الاسلامي، ١١٣، ٢١٥، ٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصول، وانضم الى الطلبة الذين يفدون على المسجد الذي يقيم فيه[١]، في رباط ملاله. وقد كشف اللقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن عن مخطط أحكمت حلقاته بدقة لاستقطاب الرجال الاكفياء لدعوته. وهذا المخطط انفرد البيذق[٢] (أبو بكر الصهناجي) الذي كان مصاحباً لابن تومرت، وكان خادمه وكاتبه الخاص، بذكر تفاصيله.

ونقل المؤرخون[٣] اللقاء دون التطرق الى أحداثه، ومن استقراء مجرياته يتبين أن تسجيل أحداثه قد تم في عهد الخليفة عبد المؤمن، ومما يدل على ذلك أن لقب المهدي المعصوم الوارد في الاحداث لم يلقب به ابن تومرت الا بعد عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م حين بويع بالامامة[٤]، وتحدث عن ظهور المهدي، في مسقط رأسه ايجليز.

وقد تضمن اللقاء احداثاً غيبية لا يمكن تصديقها الا من قبل العامة بعد أن لقب ابن تومرت بالمهدي، والمعصوم، اسمين ملازمين له، وانتشرا في منطقة

---

١ - انظر اللقاء في المصادر

البيذق، اخبار المهدى، ٣٨ - ٤٢؛ ابن القطان، نظم الجنان، ٢٢، ٢٣؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٩٤/٨، ٢٩٥، المراكشي، المعجب، ٧٢، ١٨٢؛ ابن عذارى، البيان القسم الخاص بالموحدين، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٦، ١٠٧؛ ابن أبي زرع، القرطاس ١٨٤؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٥٩، ٤٦٧؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٢٣؛ الناصرى، الاستقصا، ٨٥/٢.

٢ - البيذق، اخبار المهدى، ٤٠ - ٤١ وما بعدها.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٢٩٤/٨، ٢٩٥.

؛ المراكشي، المعجب، ٧٢، ١٨٢.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٢، ٢٣.

؛ ابن عذارى، القسم الخاص بالموحدين،

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٤

؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٧،

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٥٩، ٤٦٧، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٨٠.

٣ - انظر الفصل الاول من البحث بيعة ابن تومرت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السوس بين العامة، كأفكار كان يقولها الشيعة البجلية[١] عن المهدي، المنتظر ظهوره، فاتخذها وسيلة لنشر دعوته من الناحية السياسية والدينية ليئد أفكار من يريد مناقشته لأنه معصوم عن الخطأ.

ومن الأمور الغيبية "أنه سأل عبد المؤمن ما اسمك فأجابه، فقال له: وأبوك علي، ولما سأله من أين إقبالك، قال من تلمسان، أضاف من تاجرا[٢]".

ورأى ابن تومرت في عبد المؤمن منذ هذا اللقاء الذكاء والنباهة، وأنه ضالته التي ينشدها لضمه الى صفوف رجال دعوته لاعداده سياسياً وفكرياً للأمور التي يخطط لها، فطلب أن يبيت عنده،وانفرد به في جوف الليل، وأطلعه على كتاب الجفر[٣] الذي احضره

---

١ - ابن حوقل، صورة الارض، ٩٩.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٤٠، ٤١.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ٤٠ - ٤١؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٧.

كتاب الجفر: اشار ابن خلدون إلى أصله وقال أن هارون بن سعيد العجلي رأس الزيديه يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لآل البيت، ولبعض الاشخاص ولجعفر ونظرائه من رجالاتهم عن طريق الكرامة، وهو مكتوب عن جعفر الصادق في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه، فصار الاسم علماً لهذا الكتاب عندهم، وفيه تفسير القرآن، وما فيه من غرائب المعاني، مرويه عن جعفر الصادق.

وذكر ابن قتيبة، وقال: وأعجب من هذا التفسير تفسير الرواقص للقرآن الكريم ما يدعونه علم الباطن بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره العجلي ثم قال:

الم تر ان الرافضين ترفقوا فكلهم قال في جعفر منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجيب لم اقصه جلد ثور برئت للرحمان مما تجفرا
وادعوا فيه انه كتب لهم فيه كل ما يحتاجونه يوم القيامة.

وأضاف ابن خلدون، لم تتصل رواية كتاب الجفر الى جعفر الصادق، ولا أعرف عنه ويظهر منه شواذ الكلمات، ولو صح السند لكان فيه نعم المسند فهم أهل كرامات، وذكر الناصرى، هذا تزييف لكتاب الجفر من ابن قتيبة، وخالف هذا المذهب ابو العلاء المعرى، اذ يقول:

لقد عجبوا لأهل البيت لما اتاهم علمهم في مسك جفر

(ابن خلدون، المقدمة، ٢٦٥، وانظر الناصرى ٢/ ٩٧ - ٩٨، ابن خلكان، وفيات الاعيان ٤٨/٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معه، وقال له: "لا يقوم هذا الدين الا بعبد المؤمن سراج الموحدين"[١]، ليكون ذلك حافزاً ودافعاً له للالتزام بالدعوة.

وكان عبد المؤمن اذا أراد النوم قال له ابن تومرت: "كيف ينام من تنتظره الدنيا، الحكم والسلطان"[٢] وأشار في عدة أماكن أن أحداثاً تنتظره تبين مكانته وقدره بين اصحاب ابن تومرت، فنجح في اقناعه بالعدول عن التوجه الى المشرق حيث كان يرغب طلباً للعلم، ولازم عبد المؤمن أستاذه، وشاركه في الدعوة الى التوحيد، وقاسمه الحرمان والمطاردة، ونال ترشيحه لقيادة الموحدين فيما بعد، وأنشده قائلاً:

تكاملت فيك اوصاف خصصت بها ... فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة، والكف مانحة ... والنفس واسعة والوجه منبسط

ودفع ذلك ابن الخطيب لأن يقول فيه شعراً:

وخلف الامر لعبد المؤمن ... فانقادت له الدنيا في رسن

حباه بين قومه بالامارة ... اذا وضحت فيه الامارة (٤)

وفي ذلك دلالة على اطلاع ابن تومرت على المواصفات التي وجدت في كتاب الجفر للشيعة عن الرجال القياديين الذين يستعان بهم لتحقيق أغراض سياسية ودينية، وقد ذكر بعض المؤرخين،[٤] رؤيا لوالدة عبد المؤمن، وهي حامل

---

١ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدى، ٤١، مؤلف مجهول، الحلل الموشية ٨٧.

٢ - البيذق، اخبار المهدى، ٣٨ - ٤٢.

٣ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي ٤٢ - ٤٤، المراكشي، المعجب، ٧٢، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٦، ١٠٧، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٣٨، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٦٥ - ٤٧٥، الناصرى، الاستقصا، ١/ ١٠٠، ذكر ان بيتي الشعر ذكرهما المهدى الى الشيعي الخزاعي، وقال لاصحابه صاحبكم غلاب الدول.

٤ - انظر البيذق، اخبار المهدي، ٤٠.

؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به، وأحداثاً له في صغره توضح أن أمراً هاماً ينتظره، ويظهر أنها نسجت خلال وصوله للحكم لتضفي عليه صفة القيادة، وأنه اختص بمميزات خاصة ليقنع العامة والخاصة بمكانته منذ نعومة اظافره.

ودفع ذلك أحد المؤرخين المحدثين(١) هو ليفي بروفنسال الى القول إن ابن تومرت اتخذه ولداً حينما بلغ الشيخوخة ولم يتزوج. والواقع من دراسة سيرة ابن تومرت انه كان حصوراً لا يأتي النساء، وقد شغلت الدعوة حياته، وأن الحكم في الاسلام ليس وراثياً، ولو كان كذلك لأوصى لاخوته، فعادة التبني في الاسلام غير واردة "ادعوهم لآبائهم ذلك اقسط عند الله".

وعاهد ابن تومرت عبد المؤمن واصحابه (العشرة) مثل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه على الكتاب، وسماه امير المؤمنين(٢)، وحضر معه المناظرات الفكرية مع الفقهاء ورجال الحكم(٣) في فاس ومراكش، وتحمل معه الاعباء، وتعلم على يديه التوحيد والتأويل، والعمل على اعتبار أن القرآن والسنة هما مصدرا التشريع.

---

١ - انظر ليفي بروفنسال، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٣، تاريخ الاسلام في المغرب والاندلس.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٣، ٦٤.

٣ - والواقع بدأت المناظرات الفكرية والسياسية التي حضرها عبد المؤمن مع استاذه ابن تومرت منذ دخولهم الى أراضي الدولة المرابطية في تلمسان قادمين من افريقية، وكان أول اللقاءات في تلمسان وفاس حيث غير أسلوبه وطريقته في المواجهة اذ اعتبر نفسه وجهاً لوجه أمام النظام الذي يعمل للإطاحة به، وبالمذهب المالكي، المذهب الرسمي للدولة الذي يشرف على تنفيذه الفقهاء، حيث بين أن انحسار المذهب الفكري سببه فقهاء المذهب نفسه لانشغالهم بالفروع دون الأصول، وانتشار ظاهرة التقليد دون الاجتهاد، واتهمهم بالتسجيم، واشتد انكاره للنظام في فاس والفساد الاجتماعي والاقتصادي حتى شكوه الى قاضي المدينة ابن معيشه، لما احدثه من اضطراب فكري، وشاركه عبد المؤمن بكسر آلات الطرب ودنان الخمر، والتجول في اسواقها يحض الناس على ترك المنكرات ويأمرهم بالمعروف، فأيده قاضي المدينة،الاأن تحزب الفقهاء ضده دفع والي المدينة الى طرده منها، ودخل عبد المؤمن بصبحة استاذه ابن تومرت مراكش عام ٥١١هـ مقر أمير المسلمين علي بن يوسف، واركان الدولة من الوزراء=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= والفقهاء، وفيها أعلن مبادئ الدعوة السياسية في تغيير النظام وخلع أمير المسلمين، وأعلن الدعوة الى التوحيد، وتأويل المتشابه، وأنكر عليهم معالجة شؤون الحياة بالرجوع الى القرآن والسنة.

وكان الفقهاء يرفضون علم الكلام والتأويل والخوض في التوحيد والمتشابه ويقتدون بقبول النصوص كما جاءت، واعتبر ذلك تجسيماً، فسفه النظام والافكار، وتجولا في الاسواق، وعقد حلقات التدريس في المساجد التي اعتبرت منبراً اعلامياً لنشر افكار الدعوة، فأحدث صراعات فكرية بين الناس، فوشى به الفقهاء الى امير المسلمين علي بن يوسف الذي استدعاه، وعقد له مناظرة فقهية حضرها من الفقهاء مالك بن وهيب، ومحمد بن الاسود، ومن رجال الدولة يبنتان بن عمر وسير بن وربيل، ودارت المناظرة حول العلم، فتمكن ابن تومرت من التفوق عليهم بقوة الحجة والمنطق، وأفحمهم فعجزوا عن مناقشته، فاتهم بأنه خارجي يفسد عقول الناس، فطلب اليه الامير علي مغادرة مراكش، ورغم ذلك فقد التف حوله الطلبة، وتلقى في ذلك المضايقة، حتى امر الأمير بسجنه، ثم تدخل رجالات الدولة ابن عمر وابن وربيل، قائلين: ماذا يقال عنك يا أمير المسلمين اتسجن رجلاً يعرف الله وهو اعرف أهل الأرض بالله تعالى، فغادرها عبد المؤمن بصحبة استاذه الى اغمات حيث عقدت مناظرة فقهية أخرى مع الفقهاء حضرها عبد المؤمن مع استاذه، فتفوق عليهم، وأثبت قصر فهمهم وبصيرتهم بقوة الحجة والمنطق والتأويل.

- انظر البيذق، اخبار المهدي، ٤٧ - ٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٨، ٢٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٥؛ المراكشي، المعجب، ٥٣، ١٨٤؛ مجهول، الحلل الموشية، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢١، ١٧٤؛مجهول، الاستبصار، ٢٠٨؛ الزركشي، تاريخ الدولتين ٥، العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ٥٠/٥؛ وذكر البيذق ان ينبتان بن عمر قال يا أمير المسلمين كيف تكون أمير المسلمين وتظلم رجلاً من علماء المسلمين، فقال الامير لقد قال الفقهاء ان خراب دولتنا على يديه، فقال يا أمير المسلمين، ان كان خراب دولتنا على يديه فقد خربت قبل رؤيتنا اياه.

انظر ابن تومرت، اعز ما يطلب ٣١، ٣٢، الذي جمعه وكتبه عبد المؤمن.

جان وطارو، أزهار البساتين، ١٠٣، ١٠٤.

N. Barbour, Noroocco, p. 66.

B. The Moorish Empire, p. 77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي فاس، اشترك عبد المؤمن وأصحابه مع ابن تومرت بكسر آلات الطرب، واراقة دنان الخمر، وقام في مراكش بالعمل نفسه(١).

وذكر المؤرخ ليفي بروفنسال "أن قوة غامضة كانت تستثيره، ويحس باعتماده على مريديه من الأتقياء أن يعيد الى حظيرة الاسلام جميع الأغنام الضالة في المغرب الذي تزداد فيه الزندقة، وعدم الاكتراث الديني"(٢).

وكان المؤرخ ليفي بروفنسال مصيباً حين قال أن اللقاء كان بمحض الصدفة، إلا أنه اخطأ بتشبيه أهل المغرب بالأغنام الضالة، ولعله اقتبس ذلك من الانجيل الذي بين أن عيسى عليه السلام قد أرسل الى خراف(٣) بني اسرائيل الضالة.

بيعته لابن تومرت:-

خطب ابن تومرت في اصحابه واتباعه عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م في ايجليز مسقط رأسه وقبيلته هرغه بعد أن كثر الناس حوله، وانتشرت دعوته، وذكرهم بمجيء المهدي الذي سيملأ الارض عدلاً كما ملئت جورا. وبين لهم أن المهدي يعرف بستة اشياء: الحسب، والنسب، والزمان، والمكان، القول والفعل، اما حسبه فهو

---

١ - انظر بشأن خصوصيات عبد المؤمن:

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٤٥ وما بعدها.

؛ المراكشي، المعجب، ١٨٤.

٢ ؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٥.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ٨٧.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢١.

؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٤.

؛ ابن خلدون، العبر، ٤٦٨/٦.

٢ - ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والأندلس، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٣.

٣ - انظر انجيل متي حيث وجه سيدنا عيسى تلامذته لدعوة وهداية خراف بني اسرائيل، ط الكاثوليكية/ بيروت ١٩٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموحدية، والنسب ذرية فاطمة، والزمان آخر الزمان، والمكان الذي قام منه، والقول: أنا المهدي وهو صادق).

فقال له عبد المؤمن: هذه الصفات فيك، وبايعه أصحابه تحت شجرة خروب على الإمامة وأنه المهدي المعصوم، وكان أول من بايعه، ثم تتابع الموحدون والقبائل، ثم أيد هجرته الى تنملل، وتنظيم المجتمع فيها(١).

ولما تمت البيعة لابن تومرت، اعلن عبد المؤمن واصحاب ابن تومرت خلع بيعة أمير المسلمين علي بن يوسف من أعناقهم(٢)، وفي ذلك إشارة إلى انفصالهم عن الدولة المرابطية وتكوين كيان سياسي مستقل، ثم شن ابن تومرت وعبد المؤمن وأصحابه حملة على المرابطين، فاتهموهم بالتجسيم والكفر لعدم أخذهم بتحكيم القرآن والسنة، وأنهم مصدر الفساد في أقوالهم وافعالهم، وأنهم الحفاة العراة رعاة الشاة، وفي ذلك اشارة الى آخر الزمان وظهور المهدي، وانهم خرجوا من الصحراء، وملكوا زمام الأمور، واسرفوا في البنيان وكثرت لديهم الجواري، والجهل بأحكام الاسلام وأنهم الحكام الظلمة، وملوك آخر الزمان(٣).

والتصق عبد المؤمن وأصحابه بابن تومرت، وتكتلوا جميعاً حول الدعوة حتى اصبحوا كالجسد الواحد(٤).

ويستشف من البيعة أن عبد المؤمنين كان أول من بايعه، وتتباع أصحابه العشرة، ثم القبائل على أنه المهدي المعصوم، والتف الناس حوله، وأيد

---

١ - انظر بشأن البيعة: البيذق، اخبار المهدي، ٦٤، ابن القطان، نظم الجمان، ٢٣، مجهول، الحلل الموشية، ٨٧، ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٦، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٤، ابن خلدون، العبر ٦/ ٤٦٩، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٨٥، بروفنسال، تاريخ الاسلام في المغرب والاندلس، ١٣١.

٢ - انظر ابن القطان، انظم الجمان، ٢٨، ٢٩، النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٩٨.

٣ - ابن تومرت، اعز ما يطلب، ٢٦٢، ابن كثير، نهاية البداية، ٥٢/١.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ٢٩٥/٨، وما بعدها، وانظر النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٩٨ - ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد المؤمن استاذه ابن تومرت بالهجرة الى تنملل[١]، لاتخاذها مقراً للدعوة الموحدية لما تمتاز به من موقع حصين.

الهجرة الى تنملل عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م:-

وافق عبد المؤمن شيخه ابن تومرت على الهجرة الى تنملل الأكثر أمناً ومنعة من ايجليز المهددة من الدولة المرابطية لإعلان أهلها البيعة والطاعة والنصرة لابن تومرت، فقد أغرت مزاياها الجغرافية والاستراتيجية عبد المؤمن وأصحابه بالهجرة مع شيخهم اليها، واعتبرها داراً للهجرة وأهلها الأنصار، وفيها أرسيت قواعد البنية التحتية للمجتمع الموحدي حيث تمت المؤاخاة بين المهاجرين من أصحاب ابن تومرت والأنصار أهل تنملل، وبدأ فيها ارساء قواعد البنية التحتية للدولة وتنظيم المجتمع وفق عقيدة التوحيد، ووضع قواعد التربية والسلوك تأسيساً على أحكام القرآن الكريم، ومن أهم هذه القواعد: اقامة الصلاة واتباع الحلال، والابتعاد عن الحرام وارجاع المظالم الى أصحابها، والصلح بين الناس، وعدم التبذير والاسراف، والثبات على الايمان، والصبر عند لقاء العدو، والالتزام بحكم الغنيمة كما وردت في القرآن الكريم والسنة، واجتناب الخمر، ووضع عقوبات زاجرة للخارجين على هذه التعاليم[٢]. ووضع أسساً للإعداد الفكري والتعليم لذوي العجمة تمثلت في الكتب والرسائل التي تتضمن افكار الدعوة، وتحدد المسار السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي[٣]، وليضمن اللحمة للمجتمع حتى

---

١ - تنملل: مدينة حصينة ومنيعة على جبل درن (أطلس).

انظر/ مجهول، الاستبصار، ٢٠٨، الادريسي، صفة المغرب، ٦٤، وانظر بشأن الهجرة اليها، ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٦، المراكشي، المعجب، ٥٥ - ٥٦، مجهول، الحلل الموشية، ١١٣، النويرى، الغرب الاسلامي، ٣٩٩، ابن خلدون، ٦/٢٢٨.

٢ - انظر البيذق، اخبار المهدي، رسالة المهدي، ٤ - ٥، ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٣، المراكشي، المعجب، ٥٥ - ٥٦، ابن القطان، نظم الجمان، ٢٦، ٢٩، ٦٨، مجهول، الحلل الموشية، ١١٠، ١١٨، ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٤، النويرى، الغرب الاسلامي، ٣٩٩، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٠، ٩٦، ابن تومرت، اعز ما يطلب، ٢٢٦.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٤، ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩، ابن ابي زرع، القرطاس ١٧٦، ابن خلدون، العبر، ٨/ ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصبح كالبنيان، وضع نظاماً فريداً ودقيقاً للمجتمع، حل الناس فيه مراتب كل واحدة مستقلة في وظيفتها لا تتعداها الى غيرها(١).

وكان عبد المؤمن ساعد ابن تومرت الأيمن في النظام واقراره وتنفيذه، ويستشف من التنظيم الذي قام به انه كان دقيقاً في الضبط والربط لتحديد المسؤولية والعلاقات الاجتماعية، وليضمن الولاء والامن والاستقرار، ولعب عبد المؤمن دوراً بارزاً في التعليم والتثقيف والدعوة في تنملل وخارجها، حتى أصبحت لحمة المجتمع متكتلاً متماسكاً حتى لو أن أحدهم كلف بقتل ابيه أو أخيه لفعل دون ابطاء(٢). ويدل ذلك على مدى البناء العضوي والحركي في الدعوة.

وشارك عبد المؤمن شيخه غزواته التسع ضد المرابطين في السوس وما جاورها، وذلك منذ عام ٥١٩هـ حتى قرب وفاته عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، وقام بدور فاعل في مراكش، ودعا أمير المسلمين علي بن يوسف الى الدخول في دعوة التوحيد.

وقد بدأت الغزوات بعد عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م حتى عام ٥٢٣هـ/ ١١٣١م بالهجرة الى تنملل وإرساء قواعد المجتمع، وكانت منطقة السوس - مسرح هذه الغزوات - الثغر الاقتصادي والبوابة التجارية الى المناطق الجنوبية، والسنغال ومالي والنيجر، وغانة ...، وقد تولى فيها عبد المؤمن القيادة الى جانب ابن تومرت، واتبع فيها أسلوب الكر والفر بانزال الضربات الخاطفة ثم الانسحاب الى الجبل مما أدى الى شل حركة القوات الرابطية، وفي الغزوة الأخيرة (أسدرم آن الغزى) أطلق المرابطون على الموحدين لقب الخوارج، فأمر ابن تومرت بتسميتهم

---

١ - انظر الهرغي، المقتبس من الانساب، ٢٦، المراكشي، المعجب، ٥٨ - ٦١، ابن القطان، نظم الجمان، ٢٨، ٢٩، ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٦٧، مجهول، الحلل الموشية، ١٠٩، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٧، النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٠٣.

جوليان، افريقيا الشمالية، ١٢٨-١٣٢.

٢ - المراكشي، المعجب، ٥٨ - ٦١، ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٦٧، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٧، النويرى، ٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمجسمين[١].

كما لقبهم بالزراجنة[٢]، والملثمين، مما يدل على ان حربا اعلامية بدأت بين الطرفين.

وأظهر عبد المؤمن مقدرة عسكرية فائقة في هذه الغزوات وحقق انتصارات على القوات المرابطية حتى وهنت عزيمتهم[٣] مما دفع أمير المسلمين علي بن يوسف الى اقامة الحصون والقلاع في مفاوز الجبل لمنع اغارة الموحدين على السهول[٤]، وبذلك تحولت الدولة المرابطية إلى الدفاع بدلاً من الهجوم، بينما تعززت قناعة الموحدين بدعوتهم وضرورة الالتفاف حولها والجهاد في سبيل الله وطلب النصر أو الشهادة.

موقعة البحيرة[٥] ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م:-

لجأ المرابطون الى اغلاق منافذ جبل درن (الأطلس) لمنع الموحدين من النزول الى السهول، وعندئذ اشتد الصراع العسكري بين الطرفين، فقد أرسل ابن تومرت رسالة شديدة اللهجة الى امير المرابطين علي بن يوسف دعاه فيها الى

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٥ - ٧٠، ابن القطان، نظم الجمان، ٨١ - ٨٤ - ٩٥، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٤ - ١٢٥، مجهول، الحلل الموشية، ١٩٠ ١١١/٥، الزركشي تاريخ الدولتين، ٤، ابن خلدون، العبر، ٤٧٠/٦، الناصرى والاستقصا، ٨٦/٢.

ابن القطان، نظم الجمان، ٨٥.

٢ - الزراجنه: طائر اسود البطن، ابيض الريش، لأن المرابطين بيض الثياب، سود القلوب، والمجسمين: لأنهم يجعلون لله صفات كصفات البشر، والحشم للثام كما تفعل النساء المحتشمات، نفس المصادر السابقة.

٣ - انظر، مجهول، الحلل الموشية، ١١٢.

٤ - البيذق، اخبار المهدي، ٩٠ - ٩٢، مجهول، الحلل الموشية، ١١٢، ابن القطان، نظم الجمان، ٨٥ - ٨٦.

٥ - انظر مجريات المعركة، البيذق، اخبار المهدي، ٧٢ - ٧٤؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٤، ابن القطان، نظم الجمان، ١١٦؛ مجهول، الحلل الموشية ١١٢ - ١١٦؛ النويرى، الغرب الاسلامي، ٤٠٣؛ ابن خلكان، وفيات، ٥/ ٥٤؛ الناصرى، الاستقصا ٢/ ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوحيد، وأردف ذلك بجيش عقد لواءه لعبد الله البشير وعبد المؤمن، وقد تمكن هذا الجيش من اجتياز المنافذ وفرض حصاراً على مراكش، ودارت رحى معركة ضارية قتل فيها البشير، وعدد كبير من الطرفين، وتولى قيادة[١] المعركة عبد المؤمن فازداد التلاحم في القتال حتى جرح عبد المؤمن فدفعه ذلك الى الانسحاب، والعودة الى تنملل في جبل درن[٢]. وفي تلك الأثناء لقب ابن تومرت عبد المؤمن بـ "بأمير المؤمنين"[٣]، ولربما جاءت التسمية من مؤرخي الموحدين كابن القطان ليظهروا احقيته في الخلافة. وأساس ذلك أن ابن تومرت عندما علم بنجاة عبد المؤمن من الموت، قال: بقي الأمير لدعوة التوحيد[٤].

ومرض ابن تومرت فوصى الموحدين باتباع عبد المؤمن، وتسليم الامرة له[٥]، وخطب فيهم مبيناً حال المسلمين قبل دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتزام أصحابه بفكره وطريقته وكيف انقطع تطبيق الشريعة، وعم الجهل حتى أرسل الله الموحدين لانقاذ الناس، وأنه قد استخلف عبد المؤمن بعد أن سبر غوره وعرف سيرته، ودعاهم الى بيعته، وحثهم على التآلف والتعاضد والوحدة. وحدد لهم الخطوط العريضة لسياسة الحكم بمزج الرأفة بالغلظة، وتوفي ابن تومرت وعمره احدى وخمسون سنة عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م[٦].

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٤.

٢ - ابن الاثير الكامل، ٨/٢٩٤؛ المراكشي، المعجب، ٦٥؛ النويرى، الغرب الاسلامي، ٤٠٤؛ ابن خلدون، ٦/٢٢٨، ٢٢٩.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٨٩؛ المراكشي، المعجب، ٥٢/٦٢ والنويرى، الغرب الاسلامي، ٤٠٤.

٤ - البيذق، اخبار الهدى، ٧٨ - ٨١، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٤، ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٨٩، مجهول، الحلل الموشية، ٨٤، ابن عذارى، البيان، ٤/ ٧٥ وما بعدها، ابن أبي زرع، القرطاس، ١١٦.

٥ - ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٨٩.

٦ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٥، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٤، ابن القطان، نظم الجمان، ٩٦، ابن الخطيب، رقم الحلل، ٥٧، ٥٨، المراكشي، المعجب ٥٢٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤/ ٥٤، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والواضح من تسلسل الأحداث أن ابن تومرت قد أعد عبد المؤمن فكرياً وسياسياً لتنفيذ منهجه وخطته في التغيير بعناية. وربما كان هذا الترتيب الدقيق والوصف المتميز قد خطه البيذق ومؤرخو الموحدين حينما أصبح عبد المؤمن الخليفة، وتولى أبناؤه السياسة والقيادة، ونقلت عنهم.

بيعة عبد المؤمن:-

ذكر المؤرخون(١) أن عبد المؤمن تولى القيادة وجمع الناس، وحل مشاكلهم، وصلى بهم خلال مرض ابن تومرت الذي خشي أصحابه من افتراق الكلمة، وسخط المصامدة من ولاية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم، فأرجأوا الأمر باعلان وفاته حتى تتمكن الدعوة من قلوبهم، فأخفوا موته ثلاث سنوات يموهون بمرضه، ويتفاوضون في شؤونهم، ويتولى عبد المؤمن تلقينهم ما اتفقوا عليه حتى تمكنت الدعوة في نفوسهم(١)، وبعد ذلك كشفوا الأمر فحصل تنافس على الخلافة بين الموحدين مع علمهم بأن ابن تومرت سماه بأمير المؤمنين وتمكن الجناح المؤيد لعبد المؤمن الذي كان يشكل الأغلبية من مبايعته(٢) على أن يتولى بعده الشيخ عمر بن حفص، وبادر عبد المؤمن الى قتال المرابطين، لنقل الموحدين الى جو جديد يبعدهم عن آثار البيعة.

---

١ - البيذق، اخبار الهدى، ٧٨ - ٨١، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٤، ابن خلدون، ٦/ ٤٧٢.

٢ - ابن ابي زرع، القرطاس، ٨٤.

؛ ابن خلدون، العبر ٦/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١٩.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٠.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٩٦.

؛ المراكشي، المعجب، ٦٧، ٢٦٣.

؛ مجهول، الحلل الموشية ٢١٩.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٤.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٢٩.

؛ محمد ماهر، وثائق سياسية وادارية، ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر المؤرخون(١) عدة روايات لبيعة عبد المؤمن بالخلافة، منها أن ابن تومرت خطب خلال مرضه بالموحدين مبيناً دور الخلفاء الراشدين في حمل الدعوة الاسلامية ونشرها ... ثم قال: "فانقرضت هذه العصابة نضر الله وجهها، وجزاها الله خيراً عن أمة نبيها، ثم وقع الناس في فتنة أصبح الحليم فيهم حيران، فلم ينتفع العلماء بعلمهم، وقصدوا الملوك، ومالوا الى الدنيا.

ثم من الله عليهم بتوحيده، وخصكم به، وأعزكم بعد الذلة، فاحذروا الفرقة واختلاف الكلمة، وشتات الرأي، وكونوا يداً واحدة على أعدائكم، وأعلم أنه لا يصلح أمر هذه الامة الا بما صلح أولها، وقد أخذنا رجلاً منكم، وجعلناه أميراً عليكم، واختبرنا سريرته، وعلانيته، والمشار اليه عبد المؤمن، فاسمعوا له وأطيعوا".

ومن دراسة رواية لابن أبي زرع في القرطاس، ذكر فيها: "أن عبد المؤمن أعد زرزوراً وأسداً حتى تكلم الطير النصر، والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين، وأن يربض الأسد بين يديه، ودعا الموحدين الى اجتماع عام، وخطب فيهم، واطلق السائس الأسد والطير، ونفذا ما دربا عليه، وقيل هذه كرامات لعبد المؤمن فتقدموا لبيعته"، وما أورده صاحب الحلل الموشية(٢)، والمقرى في نفح

---

١ - ابن الأثير، الكامل، ٨/ ٢٨٩.

؛ المراكشي، المعجب ٦٧.

؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٤٩.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٤ - ١٨٦.

؛ ابن خلدون، العبر ٦/ ٢٢٩.

؛ المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٧٢٩.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٢.

٢ - انظر ابن ابي زرع، القرطاس ١٨٤ - ١٨٦.

٣ - المجهول، الحلل الموشية ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطيب[١] وما ذكره المراكشي[٢] في المعجب، وابن الاثير[٣] في الكامل، وابن خلدون[٤] في العبر، بشأن البيعة، يظهر أن ابن أبي زرع قد جانب الصواب بروايته، وأنه كان من خصوم الموحدين، وهي موضوعة، لأن عبد المؤمن لم يكن بحاجة لمثل هذه الأساليب، وقد اعد اعداداً سياسياً وفكرياً لمثل هذا الموقف، فكان عبد المؤمن سائساً لأمرهم، مدبراً لملكهم، والتف حوله شيوخ الموحدين وتشاوروا معه في أمر حركة الجهاد لقتال المرابطين[٥].

واقتفى أثر ابن تومرت في تثبيت أركان الدولة، والنظام السياسي والاجتماعي الذي أقامه، ولم يجر عليه أي تغيير، الا حين اقتضت طبيعة المرحلة في الدعوة وفي وقت متأخر، حين أقبل الناس على الدعوة، واتسعت رقعة الدولة، وحتى يضع الناس في مكانهم.

مكانة عبد المؤمن العلمية والتربوية والسياسية:-

بادر عبد المؤمن الى الاعتناء بالأصول، وجمع مؤلفات[٦] المهدي، وأهمها

---

١ - المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٧٣٩.

٢ - المراكشي، المعجب، ٦٧.

٣ - ابن الاثير، الكامل ٨/٢٨٩.

٤ - ابن خلدون، العبر ٦/٢٢٩.

٥ - مجهول، الحلل الموشية، ١١٩، ١٤٣.

٦ - ترك ابن تومرت مؤلفات علمية، دستوراً للموحدين، ومناراً للتعلم والتعليم والحكم والعلاقات العامة والخاصة.

١ - أعز ما يطلب وهو كتاب الامامة وعرف بأول عبارة بدأها وهو عبارة عن مجموع كتب ورسائل في الأصول، والفقه، والتوحيد، والحديث والسياسة، والجهاد، واشتمل على كل تعاليق ابن تومرت، ثم املاها عبد المؤمن، وعالج فيه موضوع القياس، والطهارة والخمر، ومعرفة اصحاب الفتن، واصول الفقه، والجهاد، والغلول.

٢ - موطأ الامام المهدي، ويسمى "محاذى الموطأ" وهو عبارة عن موطأ الامام مالك اختصر فيه السند، واكتفى بالرواية لنص الحديث، وسنده متصنف من عبد المؤمن الذي املاه عام ٥١٥هـ/ ١١١٢م برباط =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب "أعز ما يطلب" الذي اعتبر دستور الموحدين، لتضمنه أسس الدعوة الموحدية، كما جمع عدداً من الرسائل الفقهية والسياسية المهمة.

وقام بتدريس المسائل الفقهية بنفسه، وعقد المجالس العلمية، وألزم العامة والخاصة بدراسة مؤلفات المهدي في العقيدة التي انتشرت في الغرب والشرق الاسلاميين والتي تبدأ بـ "إعلم أرشدنا الله" مما جعلها تعرف بالمرشدة.

وأمر الناس بحضور صلاة الجماعة، وتشدد في ذلك حتى أنه هدد من يتخلف بالقتل، وكان متقشفاً، يواسي الناس حسب توافر المال لديه(١).

= هرغه بالسوس، الى أن يصل السند الى ابي زكريا يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي عن الامام مالك بن أنس.

٣ - مختصر صحيح مسلم وابوابه ابواب الفقه (الطهارة، الصلاة، الجنائز، الزكاة، الصيام، الحج، النكاح، الطلاق، الرضاع، البيوع، الفرائض، الوصايا، واختصار مسلم الصغير في الطهارة.

٤ - الرسائل: أ. اربع رسائل في كتاب اخبار المهدي بن تومرت لابو بكر البيذق، والرسالة المنظمة، تتحدث جميعها عن السياسة والحكم والتعامل مع المجسمين والملثمين والتميز بين حزب الله وحزب الشيطان.

ب. رسائل تتحدث في الاحكام الشرعية بالنسبة للخمر، والغلول والصلاة والجهاد.

ج. رسالة في اصول الفقه (العموم، الخصوص، المطلق، المقيد، المجمل، المفسر، الناسخ، المنسوخ، والحقيقة والمجاز).

د. رسالة في غربة الاسلام وذكر الرسول آياته ومعجزاته.

هـ. رسائل في المواعظ، والتسبيح، وخطبه، والمنهج، والنظام.

٥ - رسالة المرشدة، تبحث في التوحيد والعقيدة.

(وردت في ابن القطان نظم الجمان ١٣٩ - ١٨١؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٣؛ المراكشي، المعجب، ٢٥٤ - ٢٥٢)؛ ابن الاثير، الكامل ٨/٢٩٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ٨٩.

(١) الرسائل المؤمنية ١٤٦؛ المراكشي، المعجب، ٤٢٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ١٧٥؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/ ٧١؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٩٥؛ ابن غلبون، التذكار، ٩٥؛ كنون، عقيدة المرشدة ١٠٩؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٣١، ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان محباً للعلم شجع العلماء وطالبي العلم، فصيحاً وفقيهاً، وعالماً بالجدل والأصول، حافظاً للحديث، مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية، اماماً في النحو واللغة.

واهتم بالحديث، واستنباط الاحكام الشرعية، ونقل المصحف العثماني من قرطبة، وجعل له محملاً وكسوة خاصة(١)، ومعه مصحف المهدي الذي كان متداولاً بالمغرب.

عنايته بالمدارس:-

حض على طلب العلم، واستدعى الطلبة من اشبيلية، وقرطبة، وفاس، وتلمسان ومراكش، وانتخب الطلاب النجباء من كل بلد، وأحسن اليهم، وقدم لهم كل ما يحتاجون، وأوكل لوزيره ابن عطية مهمة الاشراف عليهم واستضافتهم، ورافقهم نخبة من أساتذتهم.

وقد وضع منهاجاً خاصاً للتعليم يقوم على دراسة كتب التوحيد، وحفظها، والموطأ، وصحيح مسلم. ومكث الطلبة الوافدون من الأندلس على ذلك ستة أشهر، ثم أعادهم بصحبة ابنه يعقوب الى قرطبة وأشبيلية، ومعهم الوزير ابن عطية، بعد أن أصبحوا حفاظاً، ونالوا قسطاً وافراً من التعليم(٢). وإن دل ذلك على شيء فإنما يدلّ على اعتنائه بتخريج الدعاة، الذين يتبنون الفكر الموحدي بالدعوة الى التوحيد والرجوع الى اصول الأحكام الشرعية من القرآن والسنة.

تأديبه لابنائه:-

اعتنى عبد المؤمن بأبنائه(٣)، وعلمه أصول الدين والآداب، وعلمهم الرمي، والسباحة، وركوب الخيل والتدرب عليها.

---

١ - ابي ابي دينار، المؤنس، ١٠٦؛ ابي ابي زرع، القرطاس، ٢٠٣، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٤٤.

وانظر الملحق رقم ٩ الخاص بالمصحف العثماني في قرطبة.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٩، ١٤٠ وانفرد بروايته.

٣ - ابو حفص عمر، ابو سعيد عثمان، ابو محمد عبد الله؛ ابو الحسن علي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان قد انشأ مدرسة في مراكش تدرس العلوم الدينية والعسكرية والبحرية كافة، وقد ضمت ثلاثة آلاف طالب منهم أبناؤه، ووضع لهم خطة تقضي بتأدية الصلوات الخمس مع الجماعة، وقراءة حزب من القرآن بعد كل صلاة، والحضور مع المؤذنين في الأسحار، ومراقبة الفجر والمنازل.

ولما ولّى ابناءه الولايات، بعث معهم مستشارين من الفضلاء والعلماء، والكتبة، وأمرهم بالتزام تعليمات الفقهاء وملازمة الخير وقراءة القرآن، وعقائد الامام، وحفظ التوحيد باللسانين العربي والبربري، والعدل والاحسان، وامانة الباطل[1].

وقد مدحه ابن حبوس[2] بقصيدة قال فيها:-

بخليفة المهدي سيدنا اغتدى نهج العلوم معبدا ومذللا
وتفجرت عين النباهة بعدما (قد) كان خاطرها اكل واجبلا

وقال:

ورعى جحيم العلم في اوطانه من كان يبدي الضعف في يتنقلا
وافيت حضرته المقدس تربها فاذا الذي ابصرت لن يتحيلا
ووقعت وسط سمائه فوجدته سوقا تقام على المعارف والعلا

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٢.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥١.

S.P.Scott,History of the Moorish Empire,Vol.11,p.297.

والمستشارون، الشيخ ابو محمد بن وانودمن، الاصبغ بن عياش، ابو الحسن بن هردوس، ابو بكر بن حبيش ابو العباس بن مضا، وابو يعقوب يوسف بن جمان.

٢ - ابن حبوس: ابو عبد الله محمد بن حبوس ولد عام ٥٠٠هـ، وتوفي عام ٥٧٠هـ اول من هنأ عبد المؤمن بجبل الفتح، ونال عنده خطوة.

المراكشي، المعجب، ٢١٣، ابن الآبار، التكملة، ١٠٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبصرت بالطوسي[١] يفهق حوله وأبي المعالي[٢] مجملاً ومفصلا

ومنها:

والكل في علم الامام مقصر حسب المبرز منهم أن لبلا
فاترك عكاظاً[٣] والوفود بسوقها حذقا وسحبان الخطيب ودغفلا[٤]
والحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر - ويك - أن تتقولا
فيها كمال الدين، والدنيا معا وسعادة الارواح في ان تكملا

وكان يناقش جلساءه في المجالس العلمية التي عقدها حتى أحبوه[٥]، كما كان سخياً معهم كريماً مقرباً.

ومن الواضح أن عبد المؤمن قد سار على نهج استاذه ابن تومرت في تبني العلم والعلماء، وتشجيع الحركة العلمية، والتركيز على الأصول والتوحيد وايجاد المعاهد والمدارس لتخريج الحفاظ والطلبة، والإداريين وكبار القادة العسكريين والبحريين.

وقيل ان له شعراً حسناً، وقد صحبه وزيره أحمد بن عطية في بساتين مراكش ولاحظ خلال مروره بشوارعها جارية تنظر من شباك، فقال ارتجالا:

قد فؤادى من الشباك ان نظرت

---

١ - يقصد بالطوسي الامام ابي حامد الغزالي الذي درس عليه المهدي وتفقه.

٢ - ابو المعالي: الامام الجويني النيسابوري المعروف بامام الحرمين، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/ ٣٤٢.

؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٣/ ٢٤٩.

؛ المراكشي، المعجب، ١٨٨ وكان من اكبر أئمة الاشعرية.

٣ - عكاظ: احد اسواق العرب التجارية والادبية في العصر الجاهلي، حسن ابراهيم، التاريخ السياسي، ١/ ٦٧.

٤ - سحبان بن وائل الخطيب المشهور، ودغفل النساب بن حنظله، الميداني، مجمع الامثال، ط القاهرة، ١٩٥٢، ٢/ ٣٠٨.

؛ ابن حجر، الاصابة، ١/ ٤٦٤.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٥، ١٣٦.

٥ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٥.

؛ المراكشي، المعجب، ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال ابن عطيه:

حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن:

كأنما لحظها في قلب عاشقها

فقال ابن عطية:

سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

فطرب عبد المؤمن واستحسن إجازة وزيره ابن عطية، فخلع عليه مالا جزيلا(١).

ويدل قرض مثل هذا الشعر على سرعة بديهته، وذكائه.

وحينما شعر عبد المؤمن بتدني الحالة المادية(٢) لطلبة العلم، أمر بصرف المال لهم كاعانة، وتبناهم، ومن هؤلاء: القاضي ابو محمد المالقي.

كما شجع الحركة العلمية بتقديم القروض للطلبة الضعفاء من أموال الدولة، ليقوموا بالعمل التجاري وليكسبوا قوتهم وعلمهم، فأسلف كل واحد (١٠٠٠) دينار. وتعتبر هذه بادرة طيبة تدعم العلم وطلبته، وتدل على حرص عبد المؤمن على أن ينال الجميع مبتغاهم منه، وهذه السياسة العلمية تدفع الى اتجاهين: طلب العلم، ثم كسب المال وعدم الاتكال، وهي تظهر مدى سعة افقه، وتوحي بأن على الحاكم ايجاد العمل للرعية، والأخذ بأيديهم لزيادة الانتاج.

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٣، ٢٠٤.

؛ الناصرى، ٢/ ١٣٤.

وذكر ابن ابي زرع، رواية الشعر مفصلة ولم يذكرها كغيره من المصادر سوى الناصرى، بصورة مقتضبة.

٢ - المراكشي، المعجب، ٢٠٠؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ٥٧، ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٨، ١٧٨؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم عبد المؤمن بسماع الأحداث التاريخية، وانتصارات المسلمين على أعدائهم من الممالك النصرانية، وكان ذلك حافزاً للجهاد، وأخذ الدروس والعبر من أحداثها وسيرها، واستمع ممن تبقى من قادة لمتونة عن معركة قليش عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، حيث قتل ابن الفونس السادس الأمير شانجه، وكانت بين المرابطين ومملكة قشتاله، وقد انتصر فيها المرابطون، فسر لما سمعه عن أحداثها وأمر بصرف خمسمائة دينار لكل واحد ولمن حضر من الشيوخ(١)، ويذكر ابن القطان أن ذلك كان سبباً في نظرته الى جزيرة الأندلس وارسال الجيوش اليها(٢).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

تتبع عبد المؤمن المفاسد وقطع دابرها، وأحيا الحق، وأقام العدل، ونفذ الأحكام الشرعية، فاختفى الظلم واتسعت مقاصد الفضل ومذاهبه، وأصبحت كل حركة له أمراً بالمعروف او نهياً عن منكر(٣).

وبرز اهتمامه بالرعية والحفاظ عليها من خلال رسائله(٤) التي كان

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، يكاد يكون قد انفرد بذكر تفاصيلها، وحاشية رقم ٢ ص ٥، وحاشية رقم ٣ ص ١٣٨.

وبشأن قائد البحر محمد بن سليمان.

انظر، البيذق، اخبار الهدى، ٨٥، ١٠٨، ١١١، ١١٥.

؛ المراكشي، المعجب، ١٩٤.

؛ ابن عذارى، القسم الخاص بالموحدين، ٣٢.

مجموعة رسائل موحدية، صادر عن الديوان المؤمني، ١١ والرسالة موجهة الى طلبة سبتة.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٨، ١٣٩.

اقليش: معركة وقعت بين المرابطين والنصارى بقيادة الفونس السادس ملك قشتاله ومصرع ابنه شانجه، انظر مجلة تطوان ١١٥ - ١١٣٠ العدد الثاني لعام ١٩٨٧.

٣ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٤٩.

٤ - الرسائل الصادرة عن ديوان الدولة المؤمنية:

أ. رسالة موجهة الى الطلبة بسبته ١ - ٣، ٦١ - ٦٧.

ب. رسالة الى اصحاب المشيخة بقرطبة، ١٣ - ١٧.

ج. رسالة الفصل الى طلبة بجايه، ١٢٦ - ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوجهها الى طلبة الموحدين والحفاظ والشيوخ في الولايات، وتبين هذه الرسائل مقدار تقصيه للاحوال الادارية والاجتماعية والسياسية، وتتضمن توجيها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويبرز هذا النهج في رسالته[١] الموجهة الى طلبة الأندلس، والشيوخ والأعيان فيها، ففي هذه الرسالة: بين العدل والجور، وأن من يكسب اثماً فإنما يكسبه على نفسه، وأن الله أحل الرحمة والرفق بالناس ليحل الأمن والطمأنينة.

- بين أن هناك أناساً لا يتقون الله، ويأخذون أموال الناس بالباطل، ويستحلون الحرمات ويبتدعون ألواناً من الظلم تنوء الجمال بحملها.

- وحدد أن حكم هؤلاء هو العقاب الأليم، وتساءل: ألم يعلموا أن الله اطلع على نجواهم، وغرهم الشيطان، ولم يعلموا قول الرسول عليه السلام "من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً، جاء يوم القيامة، وله صراخ عند العرش يقول: يا رب سل هذا فيما قتلني عبثاً بغير منفعة"[٢].

وقول الرسول عليه السلام "المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم"[٣].

وذكرهم بقوله "غابت عنهم دعوة الهدى، باحقاق الحق بين أضعف المسلمين وأقواهم"[٤].

وكان هدفه من ذلك لفت نظر الطلبة والحفاظ والشيوخ الى انتشار الظلم والفواحش على يد نفر يعتدون على الناس في الظلام، مبيناً الأحكام التي يجب أن تنزل بهم، وذكرهم بأحاديث الرسول في هذا الصدد.

---

١ - انظر: ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠ - ١٦٧؛ محمد ماهر، وثائق ادارية، ٣٤٧ - ٣٥٦.

٢ - انظر ابن حنبل، الجامع الصغير، ٦/ ١٩٢ وما بعدها.

٣ - النسائي، السنن، ٨/ ١٩.

٤ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠/ ١٦٧.

؛ ماهر، وثائق ادارية، ٣١٧/ ٣٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذه الرسالة ايضاً:

- تساءل مستنكراً ومهدداً، أأمنوا مكر الله، وتجرأوا عليه، وأعمتهم الشهوات فأقسم قائلا "فمن تعين لنا فاعل ذلك وتشخص، لسارع اليه عقابنا بما يمحو رسمه محو القنا بما جنت يداه".
- وأشار الى مظالم الغارقين بالمنكرات، الذين يضربون الناس بالسياط لأخذ أموالهم مما لا يقبله مؤمن بالله، ثم بين الحكم الشرعي حسب الاثم المقترف، كالضرب، والحدود.

- بين وضع الضرائب والمكوس، والقبالات، وهي من أعظم الكبائر، وأن دين الله جاء ليقضي على الظلم ويظهر الحق، ويجرى العدل، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعاذ من المغارم "أعوذ بالله من المغرم والمأثم"(١) وبين حكمهم "لنعاقبهم بمحو آثارهم عقاباً يبقى عظة لمن اتعظ، وعظة لمن تنبه لزاجر الحق، واستيقظ".
- وحمل على اولئك الذين يتعرضون للتجار بأنواع الغرامات بحجة دفع أموال الدولة، فتدفع للتخلص من اذاهم، فقال في هذا المجال: "إنها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة"، ويحمل على طلبة الموحدين والشيوخ أين هم؟ وهذه المآسي تقترف؟ ما هي حجتكم؟ فيقول "ويا عجبا يا معشر الطلبة والشيوخ، وكافة الموحدين فإنكم لذلك مطلوبون ... وما حجتكم، وما انتم على حق (ويتساءل) كيف تتكيف هذه الكبائر"، وانتم هناك للأمور رصيد، وكيف تجرى هذه الظلمات؟) وبين أن الله وضع لترسيخ الحق أحكاماً وليعاقبن كل من جنى، وليظهرن ما قصد القاصد وعنى".

وبعد أن حدد لهم المفاسد والمظالم حثهم على تتبع أسبابها لاحقاق الحق والعدل مبيناً رأيه.

---

١ - نفس المصدر السابق.

انظر النسائي، السنن، ٣/ ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حذر من البعد عن مشاهدة القضايا ومعاينتها، والاعتماد على الوسطاء الذين يقومون بالتدليس والتلبيس مما يؤدي إلى الظلم.

وحثهم على مباشرة الأمور بأنفسهم، والتواضع لله، والابتعاد عن القيل والقال، والتثبت من الأحداث، وتقصيها، بقوله "ان لا تكلوا النظر فيها لسواكم، ولا يبعدكم الحجاب عن الخير، وباشروا الأحكام مباشرة المتعهد المتفقد، والتواضع لله والرحمة، والبعد عن القيل والقال، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم، عن ذلك".

- وحثهم على الاجتهاد في المسائل التي تواجههم، وألا يجتهدوا في شيء لا يجدون له حكماً، وأن يستشيروه فيما خفي عليهم.

- أمرهم بالبحث عن الخارجين على حكم الله، والتحقيق معهم، حتى يكف بعقابهم ظلم الظالمين، والقضاء على تلك الأفعال الواهية الذميمة، وألا يقيموا عليهم حدا بل يبعثوا اليه أمرهم حتى ينفذ فيهم حكم الشرع، وأن يسجنوا حتى تصدر الأحكام بحقهم.

- وبين لهم أن أقبح الفواحش أن تباح المرأة دون استبراء[1] وذلك خروجاً على الأصول من السنة والفروع.

وأمرهم بتعيين من يرضون دينهم لتتبع مثل تلك الأمور ليطبق حكم الله، ويظهر في هذا النوع من الزواج، اختلاط الأنساب، دون اكمال العدة، ويعتبر ذلك فاحشة، وفوضى اجتماعية، وهذا دلالة على مدى يقظته لمنع الفوضى الاجتماعية، واختلاط الأنساب، وبيان واجبات الالتزام بأحكام الشريعة من الواجبات والفروض.

---

١ - الاستبراء: الطهارة بنهاية العدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حثهم على البحث عن الخمور، وهي أصل الفساد، ورباط أهل الجريمة، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "الخمر جماع الاثم"(١). ومراقبة بيع الرب (عصير الخروب وما هو حلال وحرام "الحلال بين والحرام بين"(٢) وذكرهم بقول الرسول "ما أسكر قليله فكثيره حرام"(٣).

- وحذرهم من سعاة البريد بين دار الخلافة والولايات، ومن سوء استعمالهم لعملهم، وبين لهم أن يحسنوا الاختيار ممن عرفوا بدينهم ونقائهم، وتحديد وقت الانطلاق والوصول لهم. وبين أنهم مأجورون على عملهم،

وأخبرهم "أن مضمون هذا الكتاب قد عمم على جميع الولايات (في المغرب والاندلس). وهو نافذ المفعول بوصوله، وهدد من عارضه، وللأهمية وضع عليه علامة بخط يده، وطلب اليهم قراءته على المنابر، وفي وفود القبائل، والبوادي والحواضر، وأن ترسل نسخ منه الى كل قبيلة، ويتابع تطبيقه، ويستمع الى قول الناس فيه.

وعزز ذلك بأن الهدف هو الرحمة في المسلمين (إنما المؤمنون اخوة)، واحسان الظن بالناس، والتخلق بالخلق والقول الحسن لقوله صلى الله عليه وسلم "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا"(٤).

- وأمرهم بالتعاون والتآزر في مرضاة الله، وقال: "وعليكم بحفظ من استرعاه الله تعالى، فكل راع مسؤول عن رعيته" وشدد على رفع المظالم، وإعلان حكم الله كما ورد في الكتاب العزيز.

---

١ - ابن ماجه، السنن، ٢/ ٣٢٧.

٢ - البخارى، ١/ ٢٠؛ النسائي، السنن، ٧/ ٢٤٢.

٣ - ابن ماجه، السنن، ٢/ ٣٣٢؛ النسائي، السنن، ٨/ ٢٠٠.

٤ - ابن حجر، الفتح القدير، ٦/ ٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الرسالة واحدة من مجموعة رسائل[١] كلها تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتظهر مهام الخليفة كحاكم، وأن هذا المنصب رعاية للشؤون، وهو راع ومسؤول عن رعيته، وأنه يجب أن يتتبع ما يجري في ولايات الدولة المختلفة، ويحاسب الولاة والطلبة والحفاظ، والأعيان والشيوخ، كما هو محاسب أمام الله. وتدل على مدى صدقه بعدم حجب الحقيقة عن الرعية مهما صغرت أو كبرت، حينما طالب بأن تصل الى كل البوادي، والقبائل، حتى يساهم الجميع بدورهم البناء.

وتبين هذه الرسالة مسؤولية الحاكم، ومهامه، وضرورة اشراك الرعية في دراسة ما يصدر من أحكام ومعالجات للأمور، وهو مثال نستضيء به من ثنايا سطور التاريخ.

المحافظة على الأمن:-

كان عبد المؤمن شديد المحافظة على الأمن والاستقرار، والقضاء على قطاع الطرق، والمتسترين عليهم، والمحافظة على أموال الرعية، واعادة حقوقهم.

واذا خرجت قرية أو مدينة أخذ أهلها جميعاً بالعقوبة للحفاظ على الجماعة، كما فعل بأهل برغواطة لقوله تعالى: "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب".

ويقول: "هذه طريق شوك أريد أن أزيلها من طريق المسلمين"[٢].

---

١ - الرسائل الموحدية، الصادرة عن الديوان المؤمني، وعددها ٢٣ رسالة، من ١ - ١٣٨.

٢ - النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٢٨.

انظر ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٨ والاسلوب الذي اتبعه في تقويض دعائم الدولة المرابطية والقضاء على المعارضين لاستتباب الأمن.

؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ٢٠٢ - ٢٠٤.

؛ المراكشي، المعجب، ٧٨، ٧٩ - ٨١.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٠، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا دلالة على مسؤولية الخليفة في إيجاد الأمن ليجعـل الحياة خالية مما يكـدرها، ومقولته كقول عمر رضـي الله عنه: "لو تعثرت شـاة في جبـال العراق لكنـت مسئـولاً عنها، قيل له الشـاة ترعـى فما بال أمير المـؤمنين، قـال: لأنني لم أعبّد لها الطريق".

مكانة عبد المؤمن الدينية:-

كـان سديد الرأي حسن السياسة للأمور، عظم أمـر الدين، وألزم الناس بسائر الصلوات، وجمع الناس على مالك في الفروع ومـذهب الحسن الأشعري في الأصـول(١)، وغلـب على مجالسه أهل العلم والـدين، ورجع اليهـم في كثير مـن الأمور، واخذ برأيهم(٢)، وحسنت صلاته وكثر خشوعه فيها(٣)، واتصف بالحزم والسياسة في الحـروب، فتح المغـرب بأسـره، وفتح المشـرق الى برقـة والأندلـس، واسترجع كثيراً من بلاد المسلمين في افريقية والأندلس(٤).

ولم يداهـن بدولته، وأخذ الحـق ممن وجب عليه، واصبح جميـع الرعايا مسلمين ولم يبـق فيها مشرك، ولا كـافر، ولا كنيسة، فعـرض على الذميين الاسلام فـإن قبلـوا سلموا، وإلا فعليهـم الرحيل. ويتضح من ذلـك سـوء تصرف الذميين والمستـوطنين مـن نصـارى صقليـة الـذين وجدوا في الثغـور الافـريقية، وتقـديمهم المسـاعدة لحاكم صقلية روجار الثـاني واسطوله بذكر مكـامن الضعـف والقوة لغزو الثغـور، كما وقفوا ضد حملات عبد المؤمن لتحرير المهدية والمـوانئ الأخرى بين عـامي ٥٤٦هـ - ٥٥٥هـ/ ١١٥١هـ- ١١٦٠م، وتعـاونوا مع الأسطـول الصقلي، فـأدى ذلك الى خسائر بشرية ومادية، ومع ذلك عاملهم معاملة حسنة حينما عرضوا عليه الأمـان، وأمن لهم سفناً تنقلهم الى بلادهم (صقلية) ومـن أعلن اسلامه بقي وله الحقوق كافة. وكان دأبه تلاوة القرآن، ومدارسة الأحاديث.

---

١ - ابن الاثير، الكـامل، ٩/ ١٨٢؛ ابن كثير، البـداية، ١٢/ ٢٤٦، الفـرد بل، الفـرق الاسلاميـة، ١٢٤؛ رشيد، بوربيه، ابن تومرت، ٢.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٨٢؛ المراكشي، المعجب، ٧٩ - ٨١.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٤٦.

٤ - ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٤؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٢٩، ٢٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسرته:-

تزوج عدة نساء، من تنملل، وآزور، ومليليه، ولمطه، وفاس، والسوس وأمة أهداها له ابن وزير الأندلسي، وأم عمر ورشيد التي أقامت بقادس(١).

ومن استعراض البلاد التي تنتمي إليها هؤلاء الزوجات، يمكن الاستنتاج أن ذلك كان لأغراض سياسية واجتماعية ولتأليف القلوب حوله، وضمان الولاء والطاعة، ولربما اقتبس هذه السياسة من الرسول صلى الله عليه وسلم.

أبناؤه:-

أنجب ستة عشر ولداً من الذكور، واثنتين من الاناث، وقد اهتم بتربيتهم وكلهم خطاطون، وكملت صفاتهم التي رباهم عليها، وأدخلوا الى المعهد الفني الذي أسسه بمراكش لتخريج كبار رجال الدولة، وتخلقوا بالأخلاق الحميدة، وعينهم على الولايات، وعين لهم مستشارين وكتاباً من أبناء شيوخ الموحدين(٢).

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان، ٢٠٥؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٣٨، ١٣٩، وذكرا اسماءهن، زينب بنت موسى بن سليمان، عائشة بنت الفقيه القاضي بتنملل، أم زيد عبد الرحمن، وأم عبد الله من أزرو، بنت بن المعز من مليله، أم الامير علي فاسيه تسمى فاطمة، ام محمد وأخوه موسى من ايزوريا بالسوس، أم أبي يزيد اللمطيه، صفيه ابنة عمران أم يوسف عمر، وأمة أهداها اليه ابن وزير الاندلسي، ام رشيد في قادس.

٢ - ابن أبي زرع، القرطاس، ١٦٨؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٣٨ وما بعدها، ابن القطان، نظم الجمان، ١٧٢، مجهول، الحلل الموشية، ١٥١، ابن عذارى، القسم الموحدي، ٥٥، ٥٦؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٢٩، ٢٣٠، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٩، المراكشي، المعجب، ١٧٢، وأبناؤه: أبو يعقوب يوسف، السيد ابو حفص عمر، ابو عبد الله، محمد، ربيع سليمان، ابو زكريا، ابو ابراهيم اسحاق، اسماعيل، يعقوب، أبو العباس أحمد.

وذكر ابن ابي زرع، ٢٠٣، ومن أولاده النجباء السيد عمر، كان قد استخلفه أخوه يوسف على مراكش، وغاب ثلاثة أيام وكتب اليه القاضي حجاج بن يوسف:

يغيب البدر يوما ثم يبدو ... وانت تغيب عن عيني ثلاثا

لئن بلغت ثلاثا لم اراكم ... فلست بمدرك يوم الثلاثا

فأجابه عمر:

اتتنا منكم درر فحلت ... عجابي أوجبت منا انبعاثا

ولولا العذر من سبب قوى ... لسرنا نحكم حتما حثاثا

ولكني اسير بحال ود ... اليكم مصبحا يوم الثلاثا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجهاز الاداري:-

وضع نظاماً إدارياً محكماً حيث قسم الدولة الى ولايات وضع عليها ابناءه والحق بهم كتبة من الشيوخ والطلبة والأعيان. وساس بالبريد ولايات الدولة من برقة الى لمطه ثم الأندلس.

ولايات أبنائه:-

عين عبد المؤمن جميع أبنائه على الولايات المختلفة، وبذلك تكون أسرته قد استأثرت بحكم الدولة، وبايجاد الموالين للحكم، فولى ابا حفص عمر على تلمسان، ووجه معه الشيخ أبا محمد بن واتودين، والكاتب أبا الاصبغ بن عياش للتأديب والتعليم، وعين أبا سعيد على غرناطة، ومعه الشيخ عبد الله بن لسيمان، والكاتب ابو الحسن هردوس. وأبا محمد عبد الله على بجايه، ووجه معه الشيخ أبا سعيد يخلف بن الحسين والكاتب ابا بكر بن الحبيش.

وأبا الحسن علي على فاس، ومعه الشيخ ابو يعقوب يوسف بن سليمان، والكاتب ابو العباس بن مضا. كما تولى ابو الحسن علي على سبتة، وأبو الربيع السليمان، على تاولا، وأبو ابراهيم اسماعيل على اشبيلية. وأبو ابراهيم اسحاق على قرطبة لأخيه يوسف، وابو يوسف يعقوب على رسيه، وابو زيد عبد الرحمن على السوس موطن أمه، وابو موسى عيسى على القيروان لأخيه يوسف. وابو العباس أحمد على سجلماسه(١).

وزراؤه:-

عين عبد المؤمن عدداً من الوزراء ممن عرفوا بالقدرة على الكتابة، وسرعة البديهة والذكاء منهم: السيد أبو حفص ابنه، وأبو جعفر بن عطية، وأبو محمد عطيه شقيق أبو جعفر، وأبو محمد سليمان بن محمد الكومي، وأبو العلاء ادريس بن جامع وهم من كبار رجالات الموحدين(٢).

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩١ - ٤٩٢؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٧، لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٢٥ - ١٢٦، ١٥١؛ ابن الاثير، الكامل ٩/٥٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٧٢ - ١٧٣؛ البيذق، أخبار المهدي ١٣٨/ ١٣٩؛ ابن عذارى، القسم الموحدي، ٥٥، النويرى، الغرب الاسلامي، ٢٢٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٩؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٢.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٧٣، ١٧٤؛ المقرى، نفح الطيب، ٧/ ١١١، ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٤، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٩؛ ابن عذارى، القسم الموحدي، ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب:-

اعتمد عبد المؤمن على عدد من الكتاب الذين عرفوا بالعلم والأدب واللغة والانساب، وكانت لهم يد طولى في صياغة المراسيم الادارية والاوامر الدينية والدقة في اختيار المعاني والألفاظ، ومن أشهر هؤلاء الكتبة: أبو جعفر بن عطية وأبو القاسم أخبل بن ادريس الرندى، وأبو عقيل عطيه بن عطيه، وأبو القاسم القالمي، وأبو الحسن بن عياش(١).

وبرزت دقة التنظيم الاداري، وضبط امور الدولة، بالاوامر، والمراسيم والتنظيمات الادارية، والسياسية، والقضائية، والاجتماعية في الرسائل(٢) التي صدرت عن ديوان كتاب الدولة المؤمنية الى الطلبة، والحفظة والأعيان، والشيوخ، التي نقلت بواسطة سعاة البريد (الرقاص) الى جميع الولايات.

استعمال القوة، وضم المغرب:-

وطد عبد المؤمن البناء السياسي والاجتماعي الذي وضعه ابن تومرت في تنملل والذي كان اشبه بدولة الظل، وحصنها، وتابع الغزوات التي بدأت في عهد ابن تومرت، فأكسبته خبرة قتالية ومعرفة بأنواع الاسلحة التي كانت تستعمل كالرماح والقسيّ، كما أكسبته تصوراً فنياً للأساليب العسكرية في السهول والجبال، واعتماد الكر والفر في الهجوم، لانهاك الخصم، وتجلت قدرته في وضع الخطط العسكرية، واعتماد أسلوب المربعات في المواجهات.

---

١ - ابن عذارى، القسم الموحدي، ٥٦.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧١، المراكشي، المعجب، ٢٠٠.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٧٥ - ١٧٦.

؛ ابن الآبار، التملة رقم ١١٣٦، ١٧٢١، ٦٦.

؛ كتاب، الديوان المؤمني ١ - ١٣٨.

؛ المقرى، نفح الطيب، ٥/ ٣٣٣.

٣ - انظر، رسائل الدولة المؤمنية، ١ - ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واكتسب عبد المؤمن من المهدي مفهوم السياسة الحربية لمشاركته الفعلية في المعارك، وكان ابن تومرت يكلف البشير، وأبا حفص بمساعدته، وكان يكرر على الموحدين: "لا تهبطوا للوطأ واتركوهم يصعدوا[١] اليكم"، أي لا تنزلوا من الجبل الى السهول، ودعوا العدو يصعد اليكم، ففي هذا الأمر حكمة من حكم الحرب، وخدعة من خدعها. وتوضح المعارك التي خاضها عبد المؤمن بأنه اتبع هذه السياسة الحربية.

ورأى أن الكتب والرسائل لا تحل مشكلة، فلابد من استعمال السيف، وقد ذكر المراكشي[٢] أن ابنه أبا يعقوب، رأى على ظهر كتاب الحماسة بخط الخليفة عبد المؤمن هذين البيتين:

وحكم السيف لا تعبا بعاقبة ... وخلها سيرة تبقى على الحقب

فما تنال بغير السيف منزلة ... ولا ترد صدور الخيل بالكتب

ولما اشتد الصراع مع المرابطين، وجه اليهم رسالة[٣] دعاهم فيها الى العودة الى رشدهم، واتباع طريق الحق، والا فسيواجهون أجلاً محتوماً، وأنذرهم وتوعدهم وتهددهم. ومما جاء فيها:

"يا عضد الفجار، وعباد الفساق والفجار، فقد كاتبناكم بالبنان، وخاطبناكم بالبيان، حتى سار كالبدر، واستمر مرور الدهر، فلم تجيبوا، ولا أطعتم بل تثاقلتم عن الحق، وعصيتم، وان الله سينتقم منكم لأوليائه نقمة من كان قبلكم من الامم الجاحدة، والفرق المعاندة، سيف الدم ينهككم، وحجارة المدر تدفعكم، ثم لا يكون استرجاع، ولا يقبل منكم استشفاع، وهذه خيل الله قد أظلكم وابلها، وطمس عليكم مسيلها، فتأهبوا للموت، والسلام على من اتبع الهدى ولم يغلب عليه هواه".

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ط فاس، ١٢٥.

٢ - المراكشي، المعجب، ٢٢٧.

٣ - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا فقد تضمنت الرسالة إنذاراً من عبد المؤمن للمرابطين، وأظهرت نفاد صبره، وبدأ يعد الموحدين للحرب، وكان حريا بهم ان يغلبوا المصلحة العامة على اللجوء الى القوة في حسم الصراع، وحقن دماء المسلمين، والحفاظ على ثروتهم الاقتصادية.

ضم السوس ٥٢٥ - ٥٣٤هـ/ ١١٣٠م - ١١٣٩م[١]:-

وجه عبد المؤمن ضربات شديدة، وقاصمة إلى الشريان الحيوي للدولة المرابطية في منطقة السوس التي كانت ترفدها بوسائل الحياة، وتشكل خطراً على الموحدين في جنوب قاعدتهم تنمللل، فقام بغارات وغزوات متتابعة أربكت خصمه، ودمر البنية التحتية للحياة الاقتصادية، باستئصال محصول الذرة، والاستيلاء على طرق التجارة بين شمال المغرب وجنوبه، ومراكزها في بنيووين واجرفرجان، وتارادونت[٢].

واحتل الحصون التي أقامها المرابطون: تاسغيموت، وتاراجورت، وأوصليم، وهزرجه، وجشجال، وجلاجال[٣]، وهزم أمير المسلمين تاشفين، وقائده النصراني الربريتر، اللذين انسحبا الى مراكش[٤].

---

١ - انظر البيذق، اخبار المهدي، الملحق، ١٨٠ حاشية رقم (١)، ابن القطان، نظم الجمان، ١٩٣.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ٢٦٢؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ٩٤.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٧ - ٦٩.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٩٦.

؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ٩٤.

٤ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٩.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٩٥.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٦١؛ انظر رسالة رقم ١٢ من البيذق، اخبار المهدي، ص ٨٧، ٨٨؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأيقن أهل السوس أن لا طائلة من نصرة المرابطين، وتبعيتهم، فأعلنوا طاعتهم وولاءهم للموحدين، وأخذت القبائل تنضم إليهم الواحدة تلو الاخرى، كهسرجه، وهسكورة(١)، وكذلك فعلت قبائل زناته بعد هزيمتها في معركة جرانده(٢).

وغزا أمير المؤمنين تاولا شمال مراكش(٣)، وبذلك أصبحت العاصمة بين فكي كماشه، مما أبرز سرعة الحركة، وقدرة القوات الموحدية على ضرب خصمها في أي مكان تختاره، وقد أجبرت الدولة المرابطية على استدعاء المزيد من الجند، فارتفعت تكاليف الحرب، وحدثت فيها هزة سياسية وعسكرية، واقتصادية.

وأبرزت الضربات الخاطفة للخصم في عصبه الحيوي لانهاكه واستسلامه، أنها من الوسائل التي يستعملها القادة العسكريون لتدمير الخصم والاسراع في هزيمته، لكن، هل يحق لمسلم أن يلحق الضرر والتخريب بديار المسلمين، وأن يقوم بتجويع الأطفال والنساء، وقتل الأبرياء مهما كانت أهداف ذلك.

نتساءل ونحن نتذكر وصية أبي بكر الصديق لجيش اسامة في قتال الروم: لا تقتلوا شيخاً، وطفلاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة!!.

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٩٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٣.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٢، ٩٤، ١٠٨.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٢٩ - ٢٣١.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ص ١٢، ويسميه كرانده، الجبال المجاورة لفاس.

؛ ابن الآبار، معجم الصدفي، ٦.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ٤١٢ - ٤١٧.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٠.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ٩٢ - ٩٥.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ٨٦؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٤٢ - ٢٤٣، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٣؛ ابن عذارى، البيان، ٣/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أحدثت هذه الحرب ضرراً كبيراً في المغرب والأندلس، وأهدرت الكثير من الطاقات البشرية والمادية، وأنهكت الدولة المرابطية، في الوقت الذي كان المسلمون في الأندلس بحاجة ملحة لمن يأخذ بأيديهم للوقوف امام الممالك النصرانية المتربصة.

وعلى اثر الحرب والانتصارات، عاد عبد المؤمن الى تنملل، وذكر أصحابه والموحدين ببيعة المهدي، فأكدوا له البيعة(١)، فاستأنف الغزوات، وهزم المرابطين ومؤيديهم من القبائل وضمها(٢).

ولعل في ذلك اشارة الى وجود بعض المعارضة، وعدم الالتزام بالبيعة، فاراد ان يجدد الولاء، ويبعد من يشك في اخلاصهم، والتزامهم بدعوة التوحيد، والنظام السياسي القائم. وكان لهذه الانتصارات نصر اعلامي للموحدين، وابراز للقوة، ساعد في حسم الصراع في المناطق الاخرى من المغرب.

لقد أدرك عبد المؤمن سر نجاح المرابطين في حروبهم التي يخوضونها في السهول، فغير اسلوبه الحربي بأساليب جديدة غير مالوفة، بولوج الجبال الوعرة، وكان هذا التكتيك الحربي يناسب ظروف الموحدين العسكرية، في حين لم يغير المرابطون طريقتهم في الحرب حيث كانوا يخوضونها في السهول، وكان من أسباب انهزامهم، اقتصار نشاطهم على محاولات جر عدوهم الى حرب مكشوفة في السهول، يضاف الى ذلك افتقارهم الى الجرأة على مواجهة الموحدين في معركة فاصلة تسحق قواتهم، في حين كان عبد المؤمن قد عمل جاهداً على كسب الانصار، وادخالهم في الجيش، واستعمال أسلوب النفس الطويل في حرب عدوه لإنهاكه.

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ٨٤؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٢، لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١١٨؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٠٩، ٢١٠؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ٢٧٣؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٠، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٨٠.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٦٧ - ٨٩، ٨٥ وما بعدها، ابن القطان، نظم الجمان، ١٩٥ وما بعدها، لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ٨٣، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٣، ابن عذارى، البيان، ٣/١١، ٤/٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضم الريف: سبته، طنجه، تلمسان، وهران، فاس:-

نقل عبد المؤمن ميدان القتال بعد الانتصارات التي حققها على المرابطين وضم السوس الى المناطق الشمالية، والشمالية الشرقية من المغرب، متخذاً من الجبال وشعابها حصوناً ينقض منها على القوات المرابطية المتتبعة له في السهول المكشوفة(١)، معتمدة على سلاح الفرسان الذين لم تكن لديهم قدرة على الحركة في الجبال، وكانت القوات الموحدية قد وطنت نفسها على التكيف في الجبال وسرعة الحركة، والاستفادة من مزاياها بالحصول على الأخشاب، والاختفاء بين الصخور، واعتماد الكر، والفر، مما ألحق خسائر فادحة وهزائم متلاحقة بالقوات المرابطية، وتم ضم حصن داى، وقلعة ابن تواله، وآزرو، وقلعة فازار، وجبال غياثه(٢).

وأعلنت قبائل كثيرة انضمامها للموحدين منها: مديونه، وقسم من قبائل زناته، وقدمت لهم العون والمساعدة.

وأدت هذه الانتصارات الى انشقاق في القوات المرابطية، وانضمام قبائل صنهاجه وزناته، ومسوفه كبرى قبائل لمتونه الى الموحدين(١)، فأخل ذلك في ميزان القوى لصالح الموحدين.

---

١ - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٦، ١٠٧.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٨.

؛ النويرى، تاريخ العرب الاسلامي، ٤٠٤.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٣، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٥٣.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٩٣ - ٩٥؛ البكري، المغرب، ١٥٤، ١٤٦؛ لمؤلف مجهول، الاستبصار، ٧٥ - ٧٦؛ الادريسي، المشتاق، ٥١، ١٥١، ؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٩٩ - ٢٣١؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٢، لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٤؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣١.

٣ - انظر المصادر السابقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كانت هذه القبائل التي تعلن تبعيتها وطاعتها للموحدين، وتخلع طاعة المرابطين، تفعل ذلك عن قناعة. أم لأن الوضع يميل الى جانب الموحدين؟.

لقد استطاع الموحدون خلال سير العمليات القتالية أخذ كثير من النساء المسلمات سبايا(١)، وتم توزيعهن على المقاتلين، فهل هذا جائز شرعاً؟.

وقام عبد المؤمن بتطهير قواته(٢)، وكانت خطوته الأولى في هذا الاتجاه وضع القبائل والقادة الذين انشقوا عن المرابطين ودخلوا في دعوته على المحك، ليرى مدى إخلاصهم، ولهذه الغاية ايضاً ظل يراقبهم، وأبقى جيشه في حالة استنفار كامل.

وإضافة إلى ذلك أمر عبد المؤمن حرسه الخاص المؤلف من جند قبيلة كومية البالغ عددهم عشرين ألفاً، بالقضاء على مقاتلي قبيلة جزوله(٣) بعد كان قد أمنها بعد أن انضمت اليه قرب وهران، وكان حرى به ألا ينقض العهد والأمان، وأن يعلمهم التوحيد ويضمهم الى صفوف قواته، ولعله أخذ من القسوة وسيلة لإخماد النفوس وإخافة من تسول له نفسه الخروج عليه، وبيان مقدار سيطرته وهيمنته العسكرية، ووسيلة إعلامية لاثبات قدرته وقوته، ودعوة الى اعلان التوحيد والاستسلام.

ثم تقدم شرقاً وضم تلمسان(٤) وأصبح زمام المبادرة العسكرية بيديه، لما

---

١ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ٩٩، ١٣٨، ١٣٩، ابن القطان، نظم الجمان، ٢٠٥.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ٩٦، ١٠٠، وانظر ابن عذارى، البيان، ٤/ ١٠٠، ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٩٩.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ١٠٠ وما بعدها، ابن القطان، نظم الجمان، ٢٣٠ وما بعدها؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٤؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٠٤ - ٤٠٧، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٤، ٤٧٥، ١٤، ١٥، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٤.

٤ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ١٠٢ وما بعدها.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٤، ١٥.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمتع به من قوة، ولتنوع اساليبه العسكرية، ولجوء كثير من المرابطين اليه، من قادة وقبائل وجيش، حينما شعروا أن المناطق بدأت تنضم له الواحدة تلو الأخرى، وأخذوا يرحبون به قبل وصوله، بسبب الانتصارات التي حققها، والقسوة التي استعملها بوساطة عيونه الذين كان يبثهم قبل وصوله، لمعرفة أن خصمه قد أصابه الوهن بسبب ما أصاب قواته من الخسائر، لتدني مستوى الأساليب العسكرية التي لا تلائم طبيعة المعركة مع الموحدين.

لقد نزل عبد المؤمن من الجبال الى السهول بعد أن اكتسبت قواته القدرة القتالية، باتباع أسلوب الكر والفر، والمواجهات المحدودة، وتمكن - في لقاء محدود - من القضاء على القوة النصرانية التي كان يقودها الربرتير(١)، بعد هزيمتها، ومما زاد في ضعف هذه القوات، فرار القائد المرابطي ابن ميمون(٢) الى متيجه (بالقرب من بجايه) واعلانه التوحيد، حيث اصبح عوناً وقوة للموحدين، وبعث لعبد المؤمن بأخبار تلك البلاد وأنه سيقدم له كل عون.

وكان لدخول المغرب الأوسط ضمن دائرة الدولة الموحدية أثر في زيادة قوتها، كما أن وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف عام ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م، في وقت وصلت فيه حركة الموحدين الى أوج قوتها، ونشاطها الحربي، ساهمت في نجاحها على حساب قوات أمير المسلمين الجديد تاشفين بن علي الذي توزعت قواته في المغرب والأندلس.

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٠٤ وما بعدها، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٣؛ البكري، المغرب، ٧٧؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ٢٧٣؛ ابن الآبار، التكملة، ٢٥، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٥٢٤، حاشية ٢.

٢ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٤؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٤؛ ابن خلدون، العبر، ٤٧٦/٦؛ وانظر بشأن متيجه اخبار المهدي ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضم وهران، ومقتل تاشفين بن علي:-

تحركت قوات عبد المؤمن بعد مقتل الربرتير الى الصخرتين(١)، وقوات تاشفين في سطيفسف، فالتقت قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن مع القوات المرابطية المنسحبة في سهل وهران بصورة مفاجئة، وواجهت أسلوباً جديداً في القتال لم تعهده من قبل، مع الموحدين يقوم على نظام المربعات، فوقعت معركة غير متكافئة ادت الى انشقاق خطير في قوات أمير المسلمين تاشفين، وانسحاب فرق عسكرية الى داخل الصحراء(٢)، مما أدخل الرعب في ما تبقى من القوات المرابطية ولعل ذلك كان يوحي بأن اولئك القادة كانوا يريدون كسب ود عبد المؤمن أو أنهم كانوا يعملون معه سراً، وقاموا بالوقت المناسب لتمزيق القوات المرابطية، مما أدى الى هزيمة أمير المسلمين تاشفين، وتفتت قواته، ثم فر الى حصن بالقرب من وهران على شاطئ البحر أعده مسبقاً حتى يتمكن من اللجوء الى سفن في البحر ثم الانتقال الى الأندلس، الا انه تردى عن فرسه فمات عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، وحملت جثته الى تنملل بشرى للموحدين، وبه بدأ نجم الدولة المرابطية بالأفول.

إن هذا المشهد يستدعي القول: هل يحق التشهير بقتلى المسلمين بعد وفاتهم؟، وماذا سيحل بجثة تاشفين عند نقلها الى مسافة بعيدة من وهران الى تنملل في جنوب جبال أطلس؟.

---

١ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٣.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٠٤.

سطيفسف: وادي شمال تلمسان؛ البكري، المغرب، ٧٧ وروى البيذق، أن أسداً كان لتاشفين ففر الى الخليفة عبد المؤمن، فقدم له طعاماً فربض بين يديه، وقال للموحدين ابشروا بالنصر، جاء من محلة الاشقياء الى محلة الموحدين اعزهم الله.

وذكر قال الفقيه الاشير رحمه الله لما لاحظ ذلك الأمر،

فرح الشبل ابتهاجاً بالأسد ورأى شبه أبيه فقصد

؛ ابن الآبار، التكملة، ٢٥، ابن صاحب الصلاة، ٥٢٤، هامش ٢، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ٢٧٣.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ١٠٦، ١٠٧، ابن خلدون، العبر، ٤٧٤/٦، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٣، ١٨، مجهول، الحلل الموشية، ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذلك تقدمت القوات الموحدية، ودخلت وهران، وقضت على بقايا القوات المرابطية، وضمت للموحدين[1] عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م. وعلى أثر هذا التطور في القتال، وتمكن الموحدين من السيطرة على اجوائه، نزلوا من الجبال الى السهول، وأصبحت بيدهم المبادرة فغيروا خططهم في المواجهات العسكرية المكشوفة مع المرابطين.

وقد ذكر مؤلف الحلل الموشية وصفاً للتنظيم القتالي الذي صممه الموحدون، وفاجأوا به المرابطين، واتخذ صفة المربعات، وشحنت كل جهاته بفرق عسكرية ووسائل قتالية مختلفة، ويمكن وضع المخطط التالي لهذه الخطة العسكرية:

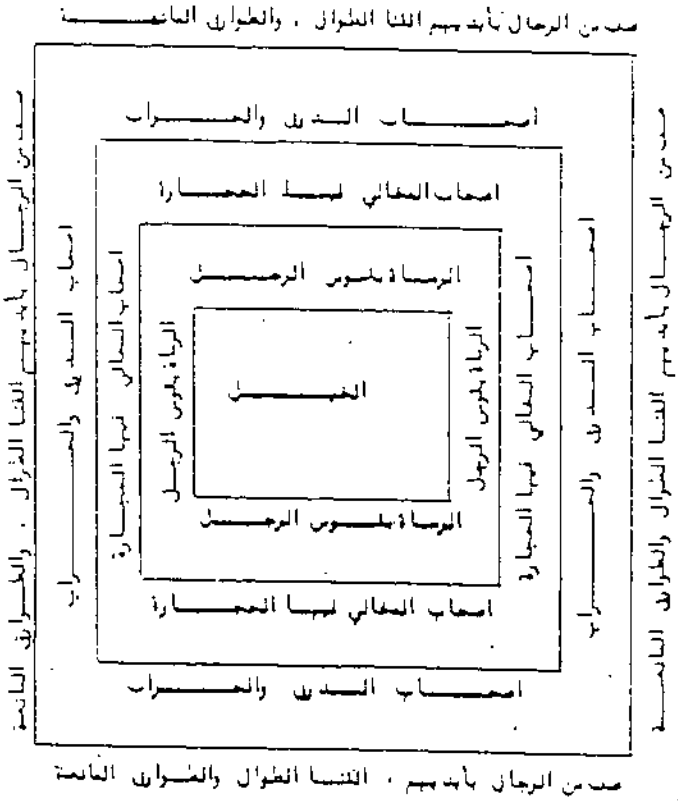

---

١ – انظر بشأن هذه الاحداث المتسارعة، البيذق، اخبار المهدي، ١٠٧، المراكشي، المعجب، ٢٠٢، وما بعدها، لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٠٩، ١١٠ وما بعدها، ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩، ٣٠٠، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٢، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٦، ١٧، ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ٤٨٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/ ٤٨٩، تاشفين وما بعدها، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٧، يحي بن خلدون، بغية الرواد، ١/ ٨٦، تحقيق ألفردبل، الجزائر ١٩٠٤، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٦.

وذكر ابن عذارى ان كثيراً من سكان وهران ماتوا عطشا، ومن بقي قتل بأمر عبد المؤمن لوقوفهم الى جانب المرابطين، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٢، ذكر أن ضم وهران كان عام ٥٤٠هـ، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٥، النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، المقرى، نفح الطيب، ٦/ ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبموجب هذه الخطة كانت خيل المرابطين المهاجمة تضطر إلى مواجهة الرماح الطوال، والحراب، والحجارة والسهام، وحينما تدبر تخرج خيل الموحدين من كمائن وفرج أعدوها، واذا كرت عليهم، دخلوا في غاب القنا، وبذلك فقد المرابطون من جيشهم مالا يحصى عدده، وظهر الموحدون، وكثر جمعهم، وكان اعظم نصر حققه عبد المؤمن قيام أهل الأندلس على المرابطين(١).

ورغم ما حققه عبد المؤمن من نصر مؤزر على المرابطين، والأساليب التي اتبعها في اخضاع القبائل، وما تركه ذلك من آثار سياسية وعسكرية واقتصادية، واجتماعية، الا ان معارضة الموحدين والولاء للمرابطين بقيت مستمرة حتى بعد مقتل أمير المسلمين تاشفين في منطقة تلمسان التي ضمها(٢). حتى أن أهل فاس(٣)، سموهم بالخوارج، ولم تكن وسيلة ضمها أحسن حظاً من غيرها، فقد دمرت أسوارها، وحصونها، وكان ذلك

---

١ - انظر، مجهول، الحلل الموشية، ١٣٢، وقد انفرد بذكر خطة الموحدين القتالية بين الجبل والسهل.٢ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٨، ١٩، ذكر أنه اقلع من تلمسان عام ٥٤٠هـ، ولم يتعرض البيذق المؤرخ المعاصر وهو موحدى لضم تلمسان، واختلفت روايات المؤرخين عن ذلك، فابن زرع يذكر واستولوا على تلمسان عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م الروض القرطاس، ١٣٢.

واضاف ابن عذارى (نفذ حكم الله في أهل تاجرارات ودخلها الموحدون ورتبوا اسوارها، وقسموا دورها، وولى عليها سليمان ابن وانودين ورحل الى فاس.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٧.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١١.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩، الزركشي، تاريخ الدولتين، ٥.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٦، ١٠٧.

؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ٤٠٨، ٤٠٩.

٣ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٩.

وبشأن عقبة النصر، انظر، البكري، المغرب، ١٤١.

انظر بشأن توجه قوات الموحدى الى فاس.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١١، ١١٢.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٣.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٠٠.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٩.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١١١، ١١٢.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وكذلك مدينة مكناس(١).

وأظهرت هذه الحملة العسكرية والأساليب القتالية التي اتبعها عبد المؤمن بنقل الحرب الى أماكن بعيدة عن ثقل الدولة المرابطة، وأسلوب القسوة، والتمييز لقواته بين فترة وأخرى، واستمالة قادة المرابطين وانضمامهم الى الموحدين، وكذلك القبائل، أظهرت قدرته على التخطيط والقيادة حتى أن المرابطين سحبوا قسماً من قواتهم في الأندلس، فادى ذلك الى ظهور الاضطراب والمعارضة لحكمهم فيها. فاصبحت الحالة السياسية العامة كلها لصالح الموحدين وأصبح الطريق ممهداً للتوجه الى العاصمة مراكش والقضاء على آخر معاقل المرابطين بعد حصارها(٢).

---

١ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٩.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١١٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٨.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٥، وذكر أن عبد المؤمن حاصرها اعواماً ولم يفتحها الا عام ٥٤٣هـ ولم يبق الا القصبة.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣٦.

انظر، بشأن دخول فاس.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٩، وذكر استولى عليها بعد سبعة اشهر من الحصار.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٨.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١١ وما بعدها.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠٠.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٣، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٧.

٢ - لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١١٢؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٥، ابن خلدون، العبر، ٦/٤٧٩؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٠، البيذق، اخبار المهدي، ١١٥؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٨، وذكر هؤلاء المؤرخين انه ضم سلا عام ٥٤٠هـ.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠٠.

جبل ايجليز، جبل مشرف على مدينة مراكش، ويذكر ابن عذارى أن حصاره لمراكش كان عام ٥٤١هـ. ابن عذارى، القسم الموحدي، ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ذلك عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[١]، فدخل بعضها سلماً والآخر حرباً، واستبيحت المدينة وقتلت اعداد كبيرة من سكانها، ولعبت الكمائن المستورة دوراً بارزاً في القتال اذ كانت تخرج من كمائنها خلال القتال، وتوقع الهزيمة بالمرابطين.

وأمر عبد المؤمن بمنع قتل الصناع، وأهل الاسواق للاستفادة منهم لتوفير المواد التي يحتاجها الناس، وهدم المسجد الذي بناه يوسف بن تاشفين، وبنى عبداً لمؤمن قصراً ومسجداً.

وقيل امتنع كثير من الموحدين من دخول مراكش بسبب تشريق مساجدها لأن التحريف والتشريق للأمم الأخرى كاليهود، فأمر الفقهاء بتطهيرها، ثم دخلوا وسكنوا فيها، وهدمت مساجدها لتشريقها، ومنهاجاً مع علي بن يوسف[٢]، في حين ذكر البيذق (لم تهدم كلها بل هدم بعضها)[٣]، ثم جمع عبد المؤمن السبي والغنائم الى المخزن[٤]، وقسمت مدينة مراكش بين قبائل: هرغه، وصنهاجه ومسوفه فتوافدت عليها القبائل والموحدون، وبذلك انتهت الدولة المرابطية التي دامت سبعين سنة، واقيمت على انقاضها الدولة الموحدية.

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠٠، ٣٠١.

ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٤.

البيذق، اخبار المهدي، ١١٦، ١١٧.

الزركشي، تاريخ الدولتين، ٨.

ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٩.

مجهول، الحلل الموشية، ١١٢، ١١٣.

المراكشي، المعجب، ٧٧ - ٨٠.

الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٨ وما بعدها.

S.P.Scott,History of the Moorish Empire,P.261.

عباس بن ابراهيم، الأعلام، ١/ ٦٣ وما بعدها.

٢ - الادريسي، المشتاق ٤٤، ذكر أن المسجد لم يهدم بل بقي مغلق الابواب ولا تقام فيه الصلاة.

ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠١، مجهول، الحلل الموشية، ١٣٨، النويري، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤١١.

٣ -٤ البيذق، اخبار المهدى، ١٢٠، انفرد بذكر الرواية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تحققت المرحلة الأولى من تكوين الدولة الموحدية[١]، التي امتدت من برقة في افريقية الى لمطة في المغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي، ثم الأندلس، بفضل الخطط العسكرية التي وضعها، وقيادته للجيش.

وعلق ابن الاثير[٢] على نهاية الدولة المرابطية بقوله:
"ولقد اساء يوسف بن تاشفين بفعلته بابن عباد، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح فعلة، فلا جرم، سلط الله عليه في عقابه من أربى في الأخذ عليه وزاد".

وفي هذا القول تحامل على يوسف بن تاشفين الذي أعاد وحدة المسلمين في الغرب الاسلامي بتبعيته للخلافة العباسية، وانقاذه للاندلس من براثن الصليبية الاسبانية النصرانية المتحفزة لضمها، وهزيمتهم في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، والقضاء على الامارات والممالك الاندلسية، كاشبيليه، وبطليوس، وقرطبة، ومرسيه، وغرناطة، وبلنسيه ... وضمها وتوحيدها مع الدولة المرابطية، وحمايتها من العدو المتربص بها.

وبدأ الخليفة عبد المؤمن بترسيخ أركان الدولة، وتنظيمها، بعد أن اعلن الخلافة الموحدية، واخذ يتطلع الى العالم الاسلامي، وبدأ يعمل على توطيد قواعد التوحيد، والعمل بمصدري التشريع: القرآن والسنة، وملاحقة المعارضين،

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٠، وفصل في فتح مراكش، وقد حضر احداثها.
وانظر، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٣، ٢٤ وما بعدها.
؛ لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١١٨، ١١٩.
؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٩.
؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٣.
؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠٠، ٣٠١.
؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٦.
؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٩.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠٠، ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضرب على أيديهم حتى يستتب الأمن. والنظر الى افريقية وتحريرها من النفوذ النورماندي الصقلي، والقضاء على الأمراء المتعاونين معهم. والعمل على ضم الاندلس التي أصبحت تعاني من الفراغ السياسي والاقتصادي، والاضطراب الاجتماعي، والثورات ضد بقايا الوجود المرابطي، وانقاذها من أطماع الامارات والممالك النصرانية، ودعم دعوة التوحيد فيها، والترحيب بالوفود التي جاءت الى المغرب تطلب اليه التدخل في الأندلس لحفظ الأمن وحمايتها وضمها الى الدولة الموحدية.

الحالة السياسية في المغرب بعد سقوط الدولة المرابطية، وقيام الدولة الموحدية:-

أعلنت نهاية الدولة المرابطية عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وقيام الدولة الموحدية بنظام ومؤسسات جديدة، واتخذت مراكش عاصمة لها، وغيرت معالمها الطبيعية، ومساجدها وفقاً للنظام الجديد، الا أن استعمال القوة لتغيير النظام، واخماد النفوس عن طريق الارهاب، والولاء المشحن بالجراح، ادى الى قيام حركة تمرد وعصيان وثورات شملت المغرب بأسره، ومثل هذا النوع من البناء لن يعمر طويلاً.

ومن هذه الثورات:-

ارتد محمد بن هود بن عبد الله السلاوي(١)، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، بعد أن اعلن التوحيد، والبيعة لعبد المؤمن، وحضر معه فتح مراكش ونهاية الدولة المرابطية، حيث أعلن خلع البيعة والطاعة في رباط(٢) ماسه في السوس، وتسمى بالهادي، وامتدت حركته الى انحاء المغرب، فانضم اليه اهل درعا، وسجلماسه، ورجراجه، وتامسنا، وهوارة، حتى لم يبق على الطاعة الا فاس ومراكش.

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢١، ويذكر اسم عمر بن خياط من جزولة، ويلقب ببو كندى.
؛ ابن عذارى، البيان المغرب، القسم الموحدي، ٢٦، ٢٧.
؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٢، ٦/ ٤٧٩.
؛ لمؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٢٠.
؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٣، ١٩٠.
؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٠.

٢ - انظر بشأن الرباط، البكرى؛ المغرب، في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ١٦١، الادريسي، وصف افريقية الشمالية (من كتاب المسالك والممالك) ٤٩، المشتاق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكاد هذا الانفصال أن يعصف بالدولة لولا موقف عبد المؤمن الحازم، والصارم. فقد قام بتحريك عدة حملات عسكرية لاخماد الفتنة وقادتها في السوس حتى تمكن الشيخ ابو حفص عمر الهنتاتي من احتلال رباط ماسه، وقتل ابن هود(١). فتشتت جمعه، وتعقبهم الى جبال أطلس، وتوغل في عملياته الحربية الى قبائل نفيسه وهيلانه وهسكورة وسجلماسه، وأثخن في المعارضين الجراح، وقتل اعداداً منهم، واعاد قسماً الى الطاعة والبيعة(٢)، وبعث برسالة الى امير المؤمنين عبد المؤمن يبشره بالنصر الذي حققه، مبيناً عقيدتهم، والقسوة التي عاملهم بها، ومما جاء فيها:

"وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم،

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في اثوابها القشب

كان اولئك المرتدون الضالون قد بطروا ... واقتطعوا الكفر معنى واسما ... استمال النفوس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمهولاته ... وكان يدعي أن المنية لا تصيبه، والنوائب لا تنوبه ... ويختلق على الله افكا وزوراً، فلما عاينوا هيئة اضطجاعه، وما خطته الأسنة في اضلاعه، ونفذ فيه امر الله ما لم يقدروا على استرجاعه، هزم من كان له من الأحزاب وتساقطوا على وجوههم كتساقط الذباب"(٣).

---

١ - ابن عذارى، البيان المغرب، القسم الموحدي، ٢٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٠؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٤، البيذق، اخبار المهدي، ١٢١، مجهول، الحلل الموشية، ١٤٦.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٣، ٤٨٤، ٦/ ٢٣٢.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ٩٩، ١٠١.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٧.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٤.

٣ - ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/١١١، ١١٢.

؛ ماهر، الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقية، ٣٤٣، ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا النصر المبين على ثورة الماسي، سمى الموحدون الشيخ عمر ابا حفص سيف الله تشبيهاً بخالد بن الوليد رضي الله عنه(١).

اخضاع دكالة:-

اصبحت دكالة (شمال مراكش) ملجأ للموالين للمرابطين والمعارضين للموحدين، وأخذ أهل دكالة يغيرون على مراكش التي اصبحت حاضرة الدولة الموحدية، فشكلوا خطراً على الدولة، ولما ازداد أذاهم، وكاد يوقف حركة الحياة، والموحدون في حالة استنفار دائم، حرك عبد المؤمن عام ٥٤٤هـ/ ١١٩٧م جيشاً كثيفاً، وفاجأهم في مواقعهم، فاختل توازنهم، واعمل فيهم السيف، وفرت أعداد منهم الى البحر، وغنمت أموالهم وسبيت نساؤهم، وعاد الخليفة مكللاً بالنصر، واعلنت قبائل دكالة ولاءها وبيعتها، وكانت من اكبر القبائل(٢)، وأثر هذا النجاح على ثورات المعارضة وذلك لأنها كانت تمدهم، بالرجال، والأقوات، والأسلحة.

ارتداد برغواطه، وسبته، وعودة الصحراوي:-

أعلنت برغواطة (في جبال الريف) ارتدادها عن دعوة الموحدين، وهزموا جيش الشيخ أبي حفص عمر، واستولوا على متاعٍ(٣)، بعد قتل عدد من الجيش. وكانت

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٠، الناصرى؛ الاستقصا، ٢/ ١١١.

٢ - النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ٤١٢؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٤٧؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣٠١.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٢، ١٢٦، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٤، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٤. ترجع حركة الارتداد الى بعض القبائل التي كان توحيدها مشوباً بكثير من الخرافات والبدع والشرك، كاغمارة، وبرغواطه، ولم يمس الاسلام حياتهم العامة ونجد بعض الكتاب ممن عاصروا الاحداث في القرنين الخامس والسادس الهجريين قد رسموا صوراً غريبة وقاتمة لكثير من نواحي المغرب وخاصة الجبلية منها، التي تمثل مناطق انعزالية لم ينلها التعريب كجبال الريف في الشمال، وجبل أطلس (درن) في الجنوب الغربي، ويبدو أنها كانت بربرية خالصة وأن الاسلام لم يسلم فيها من التغيير والتحريف وتسربت اليها تقاليد محلية قديمة ومعتقدات ساذجة من سحر وشعوذة.

ففي جبال الريف (غمارة): ظهرت حركة دينية متطرفة في القرن الرابع للهجرة وامتدت حتى القرن السادس للهجرة رغم الحروب التي خاضها المسلمون ضدهم كالامويين والمرابطين وقضى عليهم الموحدون، حمل لواءها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصدر اضطراب للدولة المرابطية، واستمرت في ذلك في عهد الدولة الجديدة.

وفي سبتة أعلن القاضي عياض[١] خلع البيعة والطاعة، وقتل الوالي الموحدي يوسف بن مخلوف ومن سكنها من الموحدين، واستعان بابن غانية في الأندلس معلناً تبعية سبتة للمرابطين، فبعث اليه يحي الصحراوي ليتولى قيادة الثورة، وانضمت اليه برغواطه، ودكالة، وحاجه ورجراجه، وسلا، وطنجه[٢]، ويدل ذلك على مدى المعارضة في الاندلس والمغرب، والتقائها ضد الموحدين في هدف واحد.

= رجل عرف بحاميم بن من الله بن جرير بن زحفو آزال بن محكمة، تصفه النصوص بالمفترس والمتنبئ وضع لاتباعه قرآناً وشريعة بلسانهم، خفض الصلاة الى ثنتين بدلاً من خمسة، واسقط الطهور والوضوء، واكل لحم الخنزير على زعم ان الاسلام حرم الذكر .. الخ وفي منطقة تامستا (الشادية وشملت وسط المغرب).

ظهر متنبئ آخر في قبيلة برغواطه بالقرن الرابع للهجرة وبقيت دعوته حتى قضى عليها الموحدون بزعامة صالح بن طريف البرناطي يهودي الاصل من الاندلس، وضع قرآناً بلسانهم واتصفت دعوته بالتشدد، وقد ضاعف الصلاة، وغير الاحكام.

واحتفظ أهل البلاد (رغم اعتناقهم بعادات غريبة كالمواربة التي تفتخر بها النساء) وتسمح هذه العادة للشباب ان يواربوا النساء خاصة الشجاع، والجميل لتأخذ منه نسلا، وقضى عليها الموحدون.

١ - عياض، هو القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض البحصبي السبتي المتوفى عام ٥٤٤هـ بمراكش صاحب كتاب "الشفاء"، "والمدارك" انظر ابن ابي زرع، القرطاس ١٣٤، ١٣٥؛ ابن خلدون، العبر ٤٧٤/٦، ٤٨٤، الناصرى، الاستقصا ٢/ ١١٤.

٢ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ٢١.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٣.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أمر الخليفة عبد المؤمن القطع البحرية بقيادة علي بن عيسى بالتقدم نحو سبته، إلا ان الصحراوي احتال على القائد علي واجتمع معه على ظهر إحدى السفن متظاهراً بالتوحيد فضربه بحديدة فقتله(١).

وخشي عبد المؤمن امتداد هذه الثورات الى أنحاء المغرب، وارباك الأمن والنظام، واثارة النفوس الخامدة، فأعد جيشاً كبيراً وعقد لواءه ليصلا سن بن المعز، فتحرك الى سلا وأعادهم الى الطاعة وولى عليها موسى بن زيرى الهنتاتي، ثم هزم في طريقه قبائل بني ورياغل، وتقدم نحو مكناسه وولى عليها أبا حفص، وقسم الغنائم بين الموحدين ثم تحرك الى طنجه، وأعمل فيها السيف وقدم إلى سبته وحاصرها، وأعاد القاضي عياض البيعة، والتوحيد وحل بها الشيخ عبد الله ابن سليمان مع الطلبة والحفظة من الموحدين(٢) بأمر من الخليفة.

أما برغواطه فكانت متذبذبة الولاء والطاعة، فقاد الخليفة جيشاً ضخماً نحوهم فهزمهم، وأعلنوا الطاعة والبيعة، وفر الصحراوي، وقتل المرتدين ومؤيديهم، وأعاد الصحراوي بيعته لعبد المؤمن(٣) بتوسط القبائل التي لجأ اليها.

وبعد أن قضى على هذه الثورات، عاد عبد المؤمن إلى مراكش وعقد مجلساً للشيوخ وكبار القادة، ودرس أوضاع المغرب والفئات المعارضة، واتخذ قراراً بتعقب بقية المرتدين والثائرين، وتمكن من القضاء عليهم، واستئصال شأفتهم عام

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٣.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٢، ٤٨٤.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩١.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١١٤.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٥.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩١.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٤٣هـ/ ١١٤٨م(١).

إلا أن احداثاً قد ظهرت في فاس ومكناسه بوجود حركة ارتداد قام بها نفر بقتل الفحامين الذين يزودون مراكز الصناعة والانتاج في فاس بالفحم وما يحدثه ذلك من أثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

فعقد الخليفة عبد المؤمن مجلساً للشيوخ، وقيادات الجيش، وعرض عليهم خطورة الأمر، وأن أناساً يخلطون في التوحيد، يظهرون خلاف ما يبطنون، ويحدثون اضطراباً في الأمن، وايقاف عصب الحياة، وفي ذلك مشاكل للدولة، فطالب بفتوى لملاحقة اولئك المعارضين، وطرح قضيته للفتوى.

وقال لهم: الشارب اذا منع اللبن والماء، ما جزاؤه؟
فقالوا له: يقاصص.
فقال لهم: احسنتم فيما قلتم.

ودخل مراكش وكتب منشورات تتضمن الوعظ والارشاد، وطلب الى الناس الاعتراف بواقع عقيدتهم هل هم على التوحيد؟ وبث عيونه، وقادته لمعرفة من يقف وراء تلك الاحداث، حتى تنزل بهم العقوبة.

ودفعت هذه النشرات والكتب الى القادة من الموحدين والشيوخ ووجهوا الى قبائل المغرب ومدنها، وتم بصلاحياتها قتل اعداد كبيرة من الذين لم يؤمنوا بعقيدة التوحيد، ثم عين كثيراً من الحفاظ، والطلبة والفقهاء والقضاة في كل

---

١ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ١٢٦، ١٥٨، وذكر ان عدد الذين تزعموا الثورات خمساً وعشرين زعيماً.

؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكان ليعلموا الناس أمر دينهم، وكان ذلك عام ٥٤٤هـ[١]/ ١١٤٩م.

وقد عكست الأحداث وما رافقها من القتل أن المرتدين والثوار لم يستوعبوا عقيدة التوحيد فأعلنوا ولاءهم ظاهراً، أو أنهم كانوا من الموالين للمرابطين، وأن القوة والقتل لا تغير ما يكمن في العقول، وإن خمدت سيكون مؤقتاً. فستثور كالبركان في الوقت المحدد، فعبروا عن مشاعرهم باستعمال القوة، وضرب مراكز الصناعة والانتاج التي تزود الدولة والأسواق بحاجاتها الصناعية والغذائية، لايقاف عجلة الحياة.

وقد اعطى ابو بكر الصنهاجي وصفاً لما اقترف من قتل وسفك للدماء، وسمى ذلك بالاعتراف.

والسؤال الذي يطرح: هل كان المؤرخ في طرحه لما حدث يكتب الحقيقة؟ وهل اعتبر أن ذلك حق طبيعي للدولة لإقرار الاوضاع وحفظ الأمن، أم أنه كان معارضاً سراً واراد التعريض بالاسلوب الذي اتبع، مع أنه كان من صحابة المهدي والناطق الرسمي باسمه، وحضر لقاءه بعبد المؤمن، وأرخ احداث الدولة التي عاشها حتى نهاية عبد المؤمن.

لقد أثرت الثورات وسحقها على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وابرزت أن استعمال القوة دون اللجوء الى الحكمة والموعظة الحسنة لن يؤدي - إلا إلى نجاح مؤقت.

موقف العالم الاسلامي والمسيحي من الدعوة الموحدية:-

حرص الخليفة عبد المؤمن على تطبيق تعاليم الدعوة كما ارساها محمد بن تومرت، واهتم بمؤلفاته، وأصبحت المصدر الاساسي في التعليم في ولايات الدولة يتولى الطلبة والشيوخ تدريسها وتطبيقها حتى انتشرت شرقاً وغرباً، وكانت المؤلفات: اعز ما يطلب، والمرشدة في التوحيد والرسائل، تكّون في مجملها

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٧ - ١٣٢، وقد انفرد بذكر هذه الاحداث، والاعتراف، ولم يرويه احد من المؤرخين، وذكر تلك الكتب باسم الجرائد، وكان معاصراً للأحداث في عهد الامام ابن تومرت، وتبين هذه الاحداث على أن مجزرة قد اقترفت.

وفي هامش ص ١١٢ من الاصل بلغ عدد الذين قتلوا من هذه النشرات، او الجرائد اثنان وثلاثون الفا وسبعماية وثلاثون رجلا، والله اعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ايدولوجية دعوة الموحدين الذين لعبوا دوراً هاماً وعظيماً في تاريخ المغرب الاسلامي، وتركت اثراً بالغاً في اصول التشريع والعقيدة والسياسة، ولدى العلماء.

أ. ففي العالم الاسلامي، اشتهرت المرشدة في التوحيد في الغرب والشرق الاسلامي ووضعت عليها الشروحات، واخذ بها كبار علماء الاشاعرة(١).

ومن العلماء الذين أيدوا أو عارضوا الدعوة:-

أ. السبكي الذي قال في طبقاته: كان (ابن تومرت) اشعرياً صحيح العقيدة، اميراً عادلاً وداعياً الى طريق الحق، ودافع عن المرشدة في التوحيد(٢).

ب. ابن تيمية ت (٧٢٨هـ/ ١٣٢٦م) الذي كان من أشد المعارضين للدعوة وتأويل مذهبه، وقال مذهب قائم على تصورات فلسفية للألوهية، وينفي صفات الله، وسمى اصحابه بالطائفة التومرتيه، ونسبه الى ابن سينا وجعله جهمياً شيعياً، وهاجمه في كتابه منهاج السنة(٣).

ج. الذهبي (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) قال: صنف عقائد على مذهب الأشعرية، كان يبطن شيئاً من التشيع، دون كتبه بالعربية والبربرية، وبنفس الصفات(٤).

د. ابراهيم الشاطبي(٥) ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م كان من أشد المعارضين للدعوة، ونسبها الى البدع، وأكد أن ادعاء العصمة كمدعي النبوة، واعتبره خارجاً ابتدع أموراً سياسية خرج بها من السنة، وهو أقرب للخوارج، ومن بدعه أنه ضرب نقوداً وكتب عليها (المهدي المعلوم الامام المعصوم).

---

١ - انظر مقدمة أعز ما يطلب ١٦/ تحقيق د. طالبي ط الجزائر، ١٩٨٥.

٢ - السلكي، الطبقات، ٥/ ٧٠.

٣ - انظر ابن تيمية مجموعة فتاوى، ١١/ ٤٧٦ - ٤٩١، ٤٨٥ - ٤٨٧، منهاج السنة ٢/ ١٥٠.

٤ - انظر أعز ما يطلب ١٧.

٥ - الشاطبي ابراهيم، الاعتصام ١/ ١٣٣، ٢/ ٦٠ - ٧٩، ٨٤، ١٠٦، ١٤٥، ١٩٥، ٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العالم المسيحي:-

وكان للانتصارات التي حققها عبد المؤمن في افريقية والاندلس، وتوحيد المغرب وتبنى دعوة ابن تومرت وافكاره ونشرها دافعاً كبيراً لدى العالم المسيحي لترجمة هذه الافكار ودراستها لاتخاذ الاسلوب المناسب في الرد عليها.

فقد أمر مارك الطليطلي رئيس اساقفة طليطلة والرئيس الديني الكاثوليكي الاعلى في اسبانيا بترجمة عقيدة التوحيد، والمرشدة الى اللاتينية، كما اهتم المستشرقون في العصر الحديث بعقيدة التوحيد ودعوة الموحدين(١).

---

١ - انظر مقدمة أعز ما يطلب، وترجمة المرشدة الى اللاتينية ثم العربية ٢٠، ٢٤، تحقيق د. طالبي، الجزائر، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

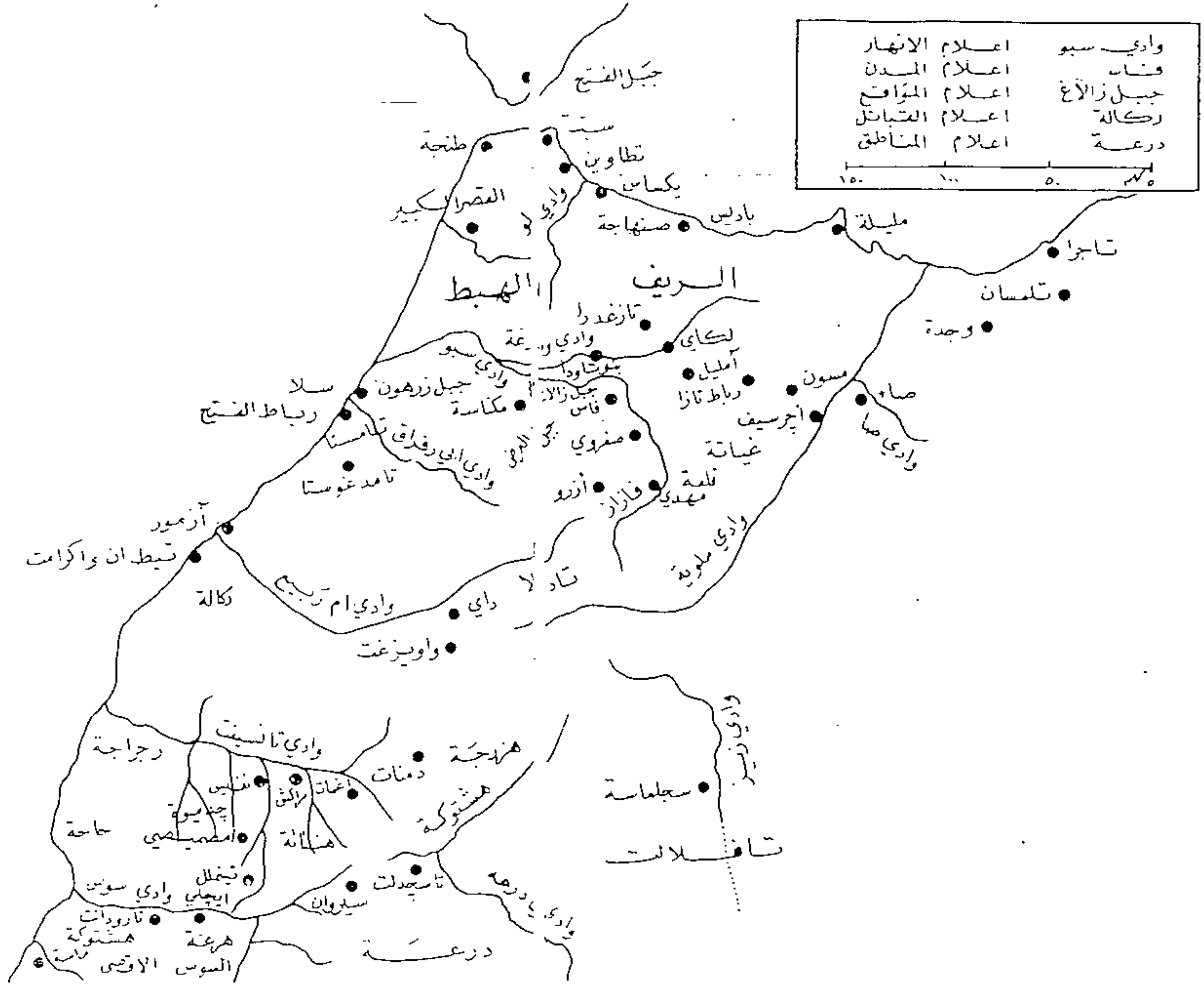

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

ضم افريقيـــة

- الحالة السياسية في افريقية
- سياسة عبد المؤمن بن علي الكومي وأساليبه في تحرير افريقية
- حملة عبد المؤمن الاولى ٥٤٦ - ٥٤٨هـ/ ١١٥١ - ١١٥٣م
- المعارضة السياسية
- الحملـة الثـانية لتحـرير المهـدية وافـريقية ٥٤٩ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهمية الثغور الافريقية:-

شكل ساحل افريقية بمدنه وثغوره من طرابلس إلى بونه موقعاً مهماً على ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي، وخطاً متقدماً لمراقبة أنواع السفن والأساطيل التي تمخر عباب هذا البحر، وخاصة الممر الضيق بين صقلية والساحل. وشكل أيضاً منطلق القوات الإسلامية لفتح صقلية، وإحكام السيطرة على الحركة البحرية في جهتيه الشرقية والغربية. ومن ناحية ثانية كانت هذه المنطقة محط أنظار الدولة الفاطمية في امتدادها غرباً، كما أن المدن التجارية الإيطالية: جنوة، والبندقية، وبيزا استغلت الحركة التجارية إلى هذه الثغور، ومن ثم إلى مصر وبلاد الشام.

وقد أدرك روجار الثاني - ملك صقلية - أهمية هذه الثغور الإسلامية ومدى خطورتها، وذلك من خلال حركة الملاحة الصليبية الى المشرق الإسلامي، فخطط لاحتلالها بهدف اكتساب مزايا موقعها الذي يتيح له التحكم بالسفن ذهاباً وإياباً، ويضمن سبل الإمدادات إلى الأساطيل الأوروبية الفرنسية والإيطالية والألمانية المتجهة إلى الشرق، وخاصة مصر وبلاد الشام.

وتمخض هذا التخطيط عن ارسال حملتين بحريتين الى طرابلس: الأولى عام ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، والثانية عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[١]، وقد مكنته هاتان الحملتان من احتلال المدينة عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وساعده على ذلك ما كان يسودها من اضطرابات، وبذلك أصبحت طرابلس أول قاعدة بحرية ثابتة على البر الافريقي، ومركز انطلاق لاحتلال بقية المدن والثغور التي بسط نفوذه عليها، وأخذ يتدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة، حتى أن دوره أصبح أساسياً في تنصيب

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٣١٢/٨، ٥/٩، ٦، ١٢.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٧١.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ١٤٠، ١٤١.

؛ اماري، المكتبة الصقلية، ٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمراء[١] في قابس، مثلما حدث عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

وبسبب الأهمية العسكرية والتجارية للثغور الإسلامية في الشمال الافريقي، تشجع البابا أنوسنت الثالث على تسيير حملة صليبية إلى جزيرة جربة ساهم فيها ملك صقلية روجر الثاني، وقد تمكنت هذه الحملة عام ٥٣٩هـ/ ١٤٤م من احتلال الجزيرة التي شكلت مع طرابلس قاعدة للغزو، مما مكن البابا المذكور من بسط نفوذه على ميناء جيجل والموانئ الصغيرة الممتدة من شرشال الى تنس وجزر قرقنه على ساحل البحر المتوسط، وكانت لهذا الاحتلال ميزة عسكرية واقتصادية وأمنية للسفن الأوروبية المتجهة الى الشرق الاسلامي، لتزويد الصليبيين بما يحتاجون إليه من أسباب القوة ووسائل الحياة.

ومن جانب آخر شعر الحسن بن علي الصنهاجي الزيرى صاحب افريقية بقوة روجار الثاني ملك صقلية، وحاجة بلاده الى النمو الاقتصادي وتوفير المواد الغذائية، فعقد معه عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، هدنة: تنص على الصلح، والتعاون لمدة سنتين لضمان التبادل التجاري، ووصول الامدادات والسلع التجارية الى بلاده، فنشطت الحركة التجارية وازداد انتقال التجار بين البلدين[٢].

وعلى الرغم من حرص الحسن على التعامل بحذر مع ملك صقلية روجار الثاني إلا أنه لم يدر في خلده ما كان يبيته من تصميم على استكمال احتلال الساحل الافريقي مرحلياً ووفقاً للظروف المتاحة، وبالفعل فقد استغل ملك صقلية الأحوال السياسية والاقتصادية السيئة في افريقية، وأرسل تهديداً للحسن برفع يده عن قابس[٣]،

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٦، ١٧.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦٧.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ١٤١، ١٤٢.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٣١٢، ٩/٩.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ١٤١. ؛ اماري، المكتبة الصقلية، ٢٨٩

؛ افريقية، ذكر ابن أبي زرع في القرطاس ١٩٨، فتح عبد المؤمن جميع بلاد افريقية ودخول اهلها في طاعته من برقة الى تلمسان، ففرق فيها عماله وقضاته، وسكنها وأمنها وضبط ثغورها، واصلح اقطارها.

٣ - انظر أهمية مدينة قابس وإعلان ولائها لروجار حاكم صقلية والصراع عليها بين حاكم صقلية والحسن الصنهاجي حاكم افريقيا، أماري، المكتبة الصقلية، ٢٩٠، ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كمـابعث بحملة بحرية بقيادة جرجي الانطاكي احتلـت جزيرة قوصره[١]. وعنـدئذ عقـد الحسـن الصنهـاجي مجلسـه الاستشـاري مـن العلماء والقضاة لـدراسة الأوضـاع العـامة، وأطمـاع روجار الثـاني، ومـا قـد يترتب على تهـديده مـن فـرض للحصـار الاقتصـادي واحتلال لمـدينة المهدية. ويبـدو أن المجلس أشار عليه برفـض مطلب ملك صقلية فأعلن هـذا الرفض، إلا انه بدل أن يحصـن المهدية ويثبت ويقاتل دونهـا حتى يستشهد، ويجمع النـاس من حوله، أشار عليهم بالخروج من المدينة، مما يدل على الضعـف وعدم القدرة على المـواجهة. وقد لجأ الحسن الى جزر مـزغناى (الجزائر)، بينمـا فـزع السكان، فطلب قسـم منهم حماية الكنائس، وهـرب الآخرون بأمتعتهم، فدخلهـا الجنـد الصليبيون دون قتـال عـام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وزحفـت القـوات الصقليـة واحتلـت بقيـة الثغـور والمدن: تونس، وسـوسه، وصفـاقس. وفي الغـرب قـام قـائد الاسطـول الصقلي فيليـب المهـدوى باحتلال ثغـربونه عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٣] إلا أنه حكـم بالاعـدام من قبـل مجلس عقده الملك والقسس لاتهامه بالاسلام ومعـاملة علماء وفقهاء المسلمين معاملة حسنـة. وقد دفعت هذه الأحداث ابن الاثير الى القول: "وكان ذلك أول وهن دخل على المسلمين في صقلية"[٤].

---

١ - ابن الأثير، الكامل، ٩/ ١٦، ١٧.

وقوصره جزيرة تقع بين صقلية والمهدية، كما جاء في الكامل.

؛ وانظر، اماري، المكتبة الصقلية ٢٩٣.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٦، ١٧.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٧، ١٩٨.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦١، ١٦٨، ١٧٧.

؛ اندريه جوليان، تاريخ شمال افريقية، ١٤١، ١٤٤.

؛ اماري، المكتبة الصقلية ٢٩٤، ٢٩٥.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٨.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦٢، ١٧٢.

؛ اندريه جوليان، تاريخ شمال افريقيا، ١٤١، ١٤٢.

؛ اماري، المكتبة الصقلية، ٢٩٩.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٢.

؛ وانظر، أماري، المكتبة الصقلية، ٢٩٩، ٣٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م مات ملك صقلية روجار الثاني دون أن يقطف الثمار التي كان يرجوها من احتلال الثغور الاسلامية في افريقية وخلفه ابنه غليام، الذي لم تكن له شخصية أبيه، فعمت الاضطرابات والمعارضة السياسية في صقلية، وامتدت الى الثغور الاسلامية الأخرى فأعلنت الثورات(١).

وهكذا أصبحت الفرصة مواتية أمام الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي لتحرير الثغور والمدن من النفوذ الصقلي الصليبي، والتخلص من الأمراء الذين تعاونوا مع الصليبيين، والاستفادة من مزايا موقعها. وقد مكنه ضم تلك الثغور من مراقبة حركة السفن في شرق المتوسط وغربه، وتمتين العلاقات التجارية مع المدن الايطالية كجنوة، والبندقية ... الخ، ثم السيطرة على الطرق التجارية المتجهة الى داخل الصحراء، وإيقاف الامدادات الصليبية الى الامارات في بلاد الشام، وتلبية طلب الوفود الافريقية التي وصلت مراكش تدعوه إلى نصرة المسلمين.

سياسة عبد المؤمن وأساليبه العسكرية في تحرير افريقية:-

الحملة الاولى ٥٤٦ - ٥٤٨هـ/ ١١٥١ - ١١٥٣م:-

اعتمد عبد المؤمن على الحزم والشدة وسيلة لتحقيق أهدافه، لأن الرسائل والمفاوضات لا تجدي نفعاً. واتصف ببراعته في وضع الخطط العسكرية، وتنويعها حسب مقتضيات الحرب وروحها، واتبع أسلوب التمويه العسكري خلال سير عملياته الحربية، واستدعاء الولاة والطلبة والقضاة في الأماكن التي يمر بها لدراسة الأوضاع فيها، وابداء توجيهاته لهم، كما اعتمد على العيون، والمتعاونين(٢) معه في البلاد التي يتوجه اليها حتى يتمكن من ضمها دون خسائر. وكان يخلي الطرق من المارة، ويأمر بحفر الآبار فيها لجمع المياه، ثم يجمع الغلات في أماكن مختلفة، وكان يصطحب في جيشه كل أصحاب المهن حتى إذا استراح تشكلت لديه مدينة كاملة تتوافر فيها كل وسائل الحياة. كما أن عبد المؤمن ضبط جيشه باتباع وسيلة التميز (التطهير) بين فترة وأخرى، وكان ذلك يضمن له الربط والنظام العسكري، وإبعاد العناصر التي يشك في إخلاصها، ليظلّ الجيش في حالة استنفار دائم وولاء تام.

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٤٢/٩؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦٢؛ اماري، المكتبة الصقلية، ٢٩٩، ٣١١.

٢ - N. Barbour, A History of North West Africa,p.284.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عقد عبد المؤمن، عندما طلبت نصرته الوفود الإسلامية القادمة من الثغور الإسلامية مجلساً حربياً ضم الطلبة والحفاظ وشيوخ الموحدين، والقادة العسكريين ودرس الأوضاع، وأعلن الجهاد عاقداً العزم على نصرة المسلمين وتحرير الثغور.

ولما استكمل اعداد القوات البرية والبحرية، أمرها بالتحرك عام ٥٤٦هـ[١]/ ١١٥١م متظاهراً بالسير الى الأندلس، ثم اتجه الى تلمسان، ودخل جزائر مرغناى (الجزائر) حيث انضم اليه الحسن الصنهاجي، وساعده في ذلك أعوانه وعيونه الذين انضموا اليه بعد هزيمة القوات المرابطية، ولجوئها الى بعض المدن الافريقية. وممن انضموا إليه: أبو محمد بن ميمون قائد الأسطول الذي سهل عليه فتح مدينة بجايه دون قتال، بعد أن فر أميرها يحي بن عبد العزيز بن حماد الى قسنطينه عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، حيث أمنه عبد المؤمن، فلحق هو وأسرته بمراكش، وظلت تلك الأسرة فيها حتى انقرضت[٢].

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٢٠، ٢١؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤١١، ٤١٥؛ المراكشي، المعجب، ٧٨، ٧٩، ٨٠؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٢، ١٩٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٤٨، ١٤٩، وذكر أنه قسم جيشه في سبته الى ثلاثة أقسام، واحد الى الاندلس بقيادة ابنه أبي حفص، وقاد هو الاثنين، وكانت بينه وبين حمدون مداخلة ففتح له بجاية، البيذق، أخبار المهدى، رسالة موحدية، رقم ٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥؛ الناصرى، الإستقصا، ٢/ ١٠٧،

B. Meakin: The Moorish Empire, p. 72

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ١٤٤.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٣٠، ٣١؛ المراكشي، المعجب، ٢٠٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٤٩، ١٥٠. وذكر في الحلل الموشية: لما وصل الى مراكش تغافل وتجاهل واشتغل بالصيد، واستعمل شباك حديد لصيد الأسد، وكان يهب صيده للخليفة عبد المؤمن واصطاد شبلاً، وأدخله على الخليفة في مجلسه، وحل عقاله فمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف حتى وصل بين يدي الخليفة وربض، فسكن ولم يتحرك، واتفق ان اهدى له زرزوراً يتكلم بأنواع الكلام. فارتجل الكاتب أبو علي الاشعري أبياتاً يصف هذه الحال فقال:

انس الشبل ابتهاجاً بالأسد	ورأى شبه ابيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم	فقضى حكم لما وفد
انطق الخالق مخلوقه	بالشهادات فكل له قد شهد
انك القائم بالامر له	بعد ما طال على الناس الامد

؛ وانظر بشأن ذلك ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٥، ١٨٦، حيث ذكر الرواية في مناسبة مختلفة؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٢؛ المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٧٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حافظ الموحدون على أموالها(١).

وهزم عبد المؤمن تحالفاً لقبائل صنهاجة وكتامه ولواته عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، فأعلنت تلك القبائل توحيدها، وولاءها. ثم احتل قلعة بني حماد أحصن القلاع عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م(٢)، ولم يكن هناك من سبيل الى انقاذ الثغور وتحريرها من ايدي الصليبيين دون الاستيلاء على مملكة بني حماد جميعها لأنها الفاصل بين دولة الموحدين وافريقية التي اشتد عليها خطر النصارى. وهكذا توجه جيش الموحدين لقتال بني حماد الذين عندما رأوه هربوا الى رؤوس الجبال، تاركين قلعتهم وأموالهم، فجمعها عبد المؤمن ووزعها على اصحابه(٣)".

وهكذا أنجزت الحملة أهدافها، وضم عبد المؤمن المغرب الأوسط حتى بجايه، ووطد نظام الحكم الموحدي فيها، وعين الولاة. وقد أدت الانتصارات التي احرزها على مملكة بجاية، وضم منطقة بجاية الى مواجهة مع القبائل العربية: بني

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥، ٢٣٦.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٠، ١١/ ١٥٩؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٦؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤١٦.

؛ وذكر المراكشي، المعجب، ١٠٨، ١٠٩، "كان والده وحده من شيعة بني عبيد، والقائمين على دعوتهم، ومن صنهاجه قامت دعوة بني عبيد، وما زال ملكهم قوياً حتى ملكهم عبد المؤمن، ونظم دفاعات بجايه وقواعدها وولى عليها ابنه عبد الله، وعاد الى مراكش، بصحبته يحى بن عبد العزيز،" وأضاف ص ١٠٧، ١٠٨، "وصلني من عدة طرق نقص الصرف، فاحتج، يحى، وقال لنا العبيد يشكون من قلة الصرف، وان حوائجهم تتعثر، وذلك لأن من عادات المغرب يضربون انصاف الدراهم، وأرباعها، وأثمانها والخراريب، وبهذا يجري الصرف، وتدور حركة البيع والشراء، ولما قام ألحقه عبد المؤمن بثلاثة أكياس صروفات، وقال لرسوله، قل له، لا يتقدر عليك مصروف ما دمت بحضرتنا، يدل ذلك على البذخ والدعة، التي كان يعيشها بنو حماد، ولا يبالون بما يجري حولهم، ولذلك ضعفت قوتهم ووهنت عزيمتهم".

٣ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هلال والاثبج وعدي ورباح وزغبه التي رأت في ذلك مساساً بحقوقها، وسيادتها، وخطراً يتهددها، فعقدت اجتماعاً وتحالفت على التعاون لقتاله، وبدأت بتجميع قواتها حول مدينة سطيف، وتمكنت تلك القوات من أسر صهره عبد الله بن وانودين، وقتله عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م فكان ذلك الشرارة التي أشعلت نار الحرب.

وعندئذ ميز عبد المؤمن جيشه لمعرفة مدى استعدادهم واخراج العناصر المشتبه بولائها، وحض رجاله على القتال لانقاذ البلاد من غدر تلك القبائل، وسيطرتها على الحياة الاقتصادية الداخلية، حيث كانت مثار قلق واضطراب من برقة حتى بجايه. وكان خبيراً بأساليبها العسكرية، وخططها حتى أنه أوصى جنده: "اذا سمعتم العرب تقول الرواح، اتبعوهم ولا تشتغلوا بالغنائم(١)". وقد كانت تلك القبائل مصدر اضطراب أدى الى ضعف المنطقة، مما أعطى ملك صقلية روجار الثاني الفرصة لاحتلالها، ومكن الصقليين من استغلال موقعها الاستراتيجي.

وقد حاول ملك صقلية استغلال الوضع، وعرض على القبائل المساعدة مقابل رهائن فرفضوا بقولهم: "لا نريد أن نقوي أنفسنا بغير المسلمين، ولا نستعين بالكفار(٢)"، وهذا القول لو كان يدل حقيقة على وعي اسلامي لما تم الاحتكام إلى القوة، مما يؤكد أن السبب في عدم الاستجابة لدعوة الملك الصقلي هو معرفة ابناء القبائل بأنه غادر، يخطط لتحقيق أطماعه. وكان حريا بهم أن يحفظوا دماء المسلمين، ويوفروا امكاناتهم المادية والاجتماعية، ويتحدوا لمواجهة عدوهم المشترك، إلا انهم لم يفعلوا ذلك.

والتقى الطرفان في معركة سطيف عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وهزمت القبائل

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٣٦، وانظر

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤١.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٧.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٦، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢١.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ١٤٣، ١٤٤.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية: بنو هلال وعدي والاثبج وزغبه هزيمة منكرة، وأخذت أموالهم ونساؤهم الى مراكش(١). وقد أمر الخليفة عبد المؤمن ابنه محمداً بالاتصال بأمرائهم: محرز ابن زياد وجباره بن كامل، وحسن بن ثعلب، وعيسى بن حسن، وغيرهم لإخبارهم بأن أهلهم بخير، وأنه يرحب بهم في مراكش، فتوافدوا على مراكش، فأكرم وفادتهم، وأحسن اليهم، ودفع اليهم بنسائهم وأولادهم، وأغدق عليهم أموالاً جزيلة، واسترق قلوبهم، فأعلنوا استعدادهم للتعاون معه(٢).

وإن دل ما فعله عبد المؤمن على شيء، فإنما يدل على حنكته السياسية، فقد تمكن عن طريق الاتصال بهم ودعوتهم واكرامهم، ودفع الاعطيات لهم وارجاع نسائهم واولادهم اليهم من استمالتهم، مما أدى إلى استعدادهم للوقوف الى جانبه، وبذلك حفظت القبائل الأمن والاستقرار، بينما واصل هو الجهاد لتحرير بقية المدن والثغور وضمها.

المعارضة السياسية:-

كانت المعارضة السياسية لخلافة عبد المؤمن تتحرك كلما واتت الظروف، متحدية القوة، والبطش، والقسوة التي كانت تقابل بها، وازدادت الثورات والمعارضة بعد عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م حينما ادخل نظام ولاية العهد على الحكم، وبويع ابنه محمد، ونحي عمر بن حفص الذي اتفق على خلافته من بعد الخليفة عبد المؤمن، وابعاده شيوخ الموحدي وأبناءهم عن حكم الولايات، وتنصيب ابنائه مكانهم. وانتشرت الثورات في أماكن متفرقة، وكأنها على اتفاق، لتشتيت قواته، وتنحيته عن الحكم أو التخلي عن استئثار أسرته بالسلطة.

---

١ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ١٣٧.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٤١ وما بعدها، وانظر

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٣٥، ١٣٦؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢١٧، ٢١٨؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٦؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد ثار عليه ابو قصبة بنى زلدوى عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م في بجاية مستغلاً تجمع قوات الموحدين في سطيف، لمواجهة القبائل العربية، ولم يكن لدى عبد المؤمن الا الخاصة والسوقة، فأعدهم للقتال وهزم أبا قصبة عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م(١).

وقام عليه يصلاسن بن المعز قريب المهدي، وأحد قادة الموحدين في بجاية، وذلك عندما شعر باستئثار آل عبد المؤمن بالسلطة، إلا أنه لم يصمد في المواجهة، ففر الى سبته وقتل على يد قائد البحر عبد الله بن سليمان عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م(٢).

وقاوم أهل هرغه وتنملل(٣) سياسته القائمة على ولاية العهد، وجعل الخلافة وراثية في أسرته، واستبعاده شيوخ الموحدين عن الحكم، وكانت لهاتين القبيلتين مكانة خاصة في الدعوة، وقد سماهما المهدي بالمهاجرين والأنصار، وذلك لأن أهل هرغة آووا الدعوة في مهدها، بينما دعا أهل تنملل المهدي إلى الهجرة اليهم لنصرته. وقد انضم إلى حركة المقاومة أخوا المهدي: عيسى، وعبد العزيز، اللذان عارضا سياسة عبد المؤمن، واخذا يقومان بالاتصال بالناس يبينون لهم خطورة الوضع. ولعلهما كانا يعتبران نفسيهما أحق بالسلطة من أبنائه. وقد تمكن عبد المؤمن من القضاء على هذه الحركة، ونفى أخوي المهدي الى فاس عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، غير أن استعمال القوة لم يكن ليزيل ما وقر في القلوب، ولم تنته المعارضة ولو الى حين.

وامتدت حركة العصيان، والثورة الى جزولة ولمطه في السوس عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م اللتين عانى أهلهما من القسوة والبطش، وتدمير حياتهم الاقتصادية، بعد أن ضمهما عبد المؤمن. فرغم إعلانهم التوحيد والبيعة إلا أن ذلك - كما يبدو - لم يكن عن قناعة فكرية، إذ سرعان ما أعلنوا الثورة عندما تبنى عبد المؤمن سياسة ولاية العهد، واستأثر أبناؤه بالولايات، وكان ذلك،

---

١ - انظر البيذق، اخبار المهدي، ١٣٦؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٢.

٢ - البيذق، اخبار المهدي، ١٣٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس، وذكره باسم يصلتين؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٢.

٣ - البيذق، أخبار المهدي، ١٤٨، وقد انفرد بذكر ثورة هرغه وتنملل، وقال "خالف علينا أهل هرغه وتنملل".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إضافة إلى عدم وفائه بالأمان الذي أعطاه لقبائل جزولة سبباً لثورتهم عليه، فأمر بقتل مقاتليهم.

ولشدة هذه الثورة وعظم أثرها قال عبد المؤمن لأبي حفص: "قامت الناقة بحملها يا أبا حفص"، فأجابه: "نرقدها إن شاء الله" وقد تمكن أبو حفص من هزيمة قبيلتي جزولة ولمطه في السوس، واعادهما للطاعة والبيعة(١).

ومن الجدير بالذكر أن أخوي المهدي (عبد العزيز وعيسى) كانا قد شاركا بدخول الجيش الموحدي الى الأندلس عام ٥٤١هـ/ ١١٤٥م، وحلا باشبيلية، إلا أنهما اخذا يفرضان الضرائب، مما أحدث اضطراباً ومقاومة للموحدين، وربما كان ذلك بهدف جمع الأموال لإحداث نوع من التذمر، تمهيداً لإعلان الثورة وتمويلها. إلا أنهما استدعيا الى المغرب، وقاما بالتنقل بين مراكش، وهرغه وتنملل، مما يوحي بأنهما كانا يتصلان بالناس ومراكز ثقل الدعوة، ويبينان ما أحدثه عبد المؤمن من سياسات، ولعلهما، أخفيا طمعهما في الحكم(٢).

وقد نفيا الى مدينة فاس(٣) عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، إلا ان ذلك لم يكن ليثنيهما عن الثورة، فقد عادا في العام نفسه الى مراكش عاصمة الدولة مستغلين وجود الخليفة على رأس حملة عسكرية الى افريقية، والتف حولهما المؤيدون، وأعلنوا الثورة عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، وقتلوا واليها عمر بن تمراجين، وحاولوا السيطرة على المدينة، لولا تدخل حرس الخليفة الخاص (عبيد المخزن) تؤيدهم العامة، فاحبطوا الانقلاب، وقتلوا زعماءه، وصودرت منشورات كانت معهم كشفت خيوط الثورة، ومدبريها واتصالاتها السرية مع المعارضة في المغرب(٤).

---

١ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٤؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٤.

٣ - ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدي، ١٤١؛ المراكشي، المعجب، ٢٣٤، وقد اتفق مع الصنهاجي على أن آل افغار (أخوى المهدي)، دبرا مؤامرة ضد الخليفة.

، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٨؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٢؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٤.

٤ - البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ١١٢، ١١٣ تحقيق حاجيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما علم عبد المؤمن عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بالأمر، أرسل وزيره ابن عطية لمعرفة الأحداث عن كثب، فوجد أن الثورة قد أخمدت في مهدها، وأخبر بما حدث.

وعندما عاد الخليفة الى مراكش، شكر العامة على دورهم في احباط الثورة، ووزع عليهم الأموال والسلاح، وخاطبهم بالأهل، ونفذ القتل فيمن أسر من التجار والأعيان ومؤيديهم عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤هـ، ولكي يصرف الناس عن التحدث بالثورات والأساليب التي اتبعت في معالجتها، وضع سياسة لاعمار مراكش، ثم وجه الجيوش الى الجهاد في الأندلس(١).

وتظهر هذه الثورات المعارضة الفعلية لحكم عبد المؤمن، وللسياسة التي اتبعها في التغييرات التي أحدثها لصالح أسرته، ولحصره الخلافة فيها. وتعتبر هزة قوية لحكمه لأنها جاءت من أنصار الدعوة في هرغه وتنملل، وأخوى المهدي، ومن المركز الاقتصادي المهم في السوس، وقد كانت هذه الهزة بمثابة إنذار قوي له، وقد جعله ذلك، اضافة الى تربص المعارضين لحكمه من بقايا المرابطين وغيرهم، شديد الحذر واليقظة.

الحملة الثانية ٥٥٣ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٨ - ١١٦٠م

وتحرير المهدية وافريقية:-

كانت المعارضة للحكم الصليبي الصقلي تظهر كلما رأت في ذلك بريقاً من الأمل في التحرير، وبدأت المعارضة والثورات عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م في افريقية ضد ذلك الحكم بعد وفاة الملك روجار الثاني وتولي ابنه غليام(٢)، وقد امتدت الثورات الى المدن والجزر، من طرابلس الى بونه وجربة، فقد قامت القبائل العربية: بنو هلال، والاثبج، وزغبة بمحاصرة المهدية، فتحرك الاسطول الصقلي

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٧٥؛ المراكشي، المعجب، ٢٠١، ابن الاثير، الكامل، ٥٥/٩، ٥٦؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ١٢٠، ١٢١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٢، ٤٩٣؛ يحى بن خلدون، بغية الرواد، ١/ ٣٤.

٢ - أماري، المكتبة الصقلية، ٣٠٠، ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى الثغور والمدن لاخماد الثورات، واتبع أسلوب القتل(١)، مما اضطر بعضاً من أهل الزويله، للجوء الى المغرب، وطلب النصرة من الخليفة عبد المؤمن بن علي، مؤكدين له: "لا يوجد في بلاد المسلمين من يقصدوه لنصرة المسلمين وجهاد الصليبيين". وقد رد عليهم بقوله "ابشروا لأنصرنكم ولو بعد حين" وأكرمهم ووزع عليهم الأعطيات(٢). وكان ذلك نصراً إعلامياً وسياسياً له في تلك البلاد (افريقية).

ورأى الخليفة عبد المؤمن بن علي في تحرك القبائل العربية وحصار المهدية عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م ومقدم الوفود الى مراكش، وطلب النصرة، ووجود ولاء وقاعدة صلبة في منطقة بجاية، وما ستقدمه من الجند، والتمويل، والمعلومات، بالاضافة الى عيون الموحدين، فرصة للحركة، ووضع خطة عسكرية للتحرير.

وبدأ عبد المؤمن استعداداته العسكرية، وتأمين لوازم الحرب والتموين، عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، وأمر بحفر الآبار على الطرق التي سيسلكها، وجمع الغلال، وحفظها، وترك الحبوب في سنابلها، وتخزينها في أماكنها، حتى أصبحت كالتلال. وأعد جيشاً برياً كبيراً بلغ مائة ألف مقاتل، ومن الاتباع، والسوقة أمثالهم: وبلغ من حسن انضباط الجيش وتنظيمه أنه كان يسير بين الزروع دون أن تؤذى، واذا نزلوا مكاناً صلوا جماعة بتكبيرة واحدة دون أن يتخلف أحد. وكان لذلك اثر على الترحيب به والانضمام اليه، وفي ذلك تنمية لروح الجهاد عند سكان المناطق. وزود هذه القوات بقطع بحرية مساندة بلغ تعدادها سبعين سفينة وطريدة وشلندى وانضم اليهم جنود من نواته في افريقية والتحق بهم الحسن بن علي الصنهاجي، أمير المهدية وافريقية. وقام عبد المؤمن بعمل عسكري ضم بموجبه تونس التي رفضت الدخول في الطاعة، فتعرضت لحصار شديد براً وبحراً(٣)، حتى طلب أهلها الأمان.

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٤٧، ٤٨؛ التيجاني، رحلة التيجاني، ٧٥؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٨.
N. Barbour, The Magrib, p. 284.
S. Painter. A History of the Middle Ages, p. 198.
البيذق، اخبار المهدي، ١١٥، ١١٦.

٢ - النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٢٠؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٦٣، ٦٤؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٥، اماري، المكتبة الصقلية، ٣٠، ٣٠٢، ٣٠٣.

٣ - النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، حاشية ٧٤، ص ٤٢٢؛ المقريزى، الخطط، ١/ ٩٤، بين انواع السفن ومسمياتها ودورها في الحرب والتجارة.
؛ ارشبيالس لويس، القوى البحرية، ٣٢٥.
؛ أماري، المكتبة الصقلية، ٣٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقبل عبد المؤمن من أهل الذمة اليهود والنصارى الا الاسلام(١)، لأنهم كانوا عوناً لملك صقلية في توطيد نفوذه وحكمه.

ثم ضم القيروان، وسوسه، وصفاقس بعد تحريرها من الصقليين عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وضمن ولاء المناطق المجاورة للمهدية، وقضى على المتعاونين مع الصليبيين الصقليين مثل: صاحب قابس يوسف بن رشيد. وكانت خطة عبد المؤمن بضم المناطق المحيطة بالمهدية، تهدف إلى ضمان عدم وصول أي مساعدة لها.

ثم زحفت قواته البرية والبحرية الى المهدية عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م، وفرضت عليها حصاراً، وقطعت عنها جميع الاتصالات والامدادات من البر والبحر. وكانت تلك المدينة تتميز بتحصيناتها وأسوارها القوية، كما كانت محاطة بالماء من أكثر جهاتها. وفي البداية قام عبد المؤمن بجولة بحرية استطلاعية حولها، بصحبة أميرها الحسن بن علي ليتعرف عليها وعلى دفاعاتها. وعلى إمكانية فتحها، فوجد أنها لا تفتح إلا بعد حصار طويل، فقال للحسن: "كيف تخليت عن هذا الحصن، فأجابه لقلة من يوثق به، وحكم القدر، وضعف القوة" فقال له: "صدقت".

وأمر عبد المؤمن بجمع الغلات من الحنطة والشعير، لإدامة الحصار حولها، وتحرك قسم من قواته لتحرير بقية المدن والثغور عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، فضم طرابلس، وجبل نفوسه، وبلاد الجريد، وجبل زغوان، والقصور، وبنزرت، وزرقه، وطبرقه، ومدينة الأربص العربية، وأعلن جميع أهلها التوحيد، والطاعة، والبيعة. أما مدينة قابس فقد ضمت بالقوة، وأرسلت قفصة بوفد عنها، وأعلنت الولاء والطاعة. وقد ولى عليها أبا زكريا ابن يرمون، وبهذه المناسبة مدحه شاعر كان معه بقوله:

ماهز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي(٢)

ولما تناهت أخبار تحركات عبد المؤمن واستيلائه على مدن افريقية إلى

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٦٣؛ النويرى، الغرب الاسلامي، ٤٢٢، ٤٢٣؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ٣٨؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١٥؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٦؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٢.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٦٣ وما بعدها؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٢٣، ٤٢٤؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ١٩٨ وما بعدها ؛ أمارى، المكتبة الصقلية، ٣٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملك صقلية حتى أمر أسطوله العائد من غزو جزيرة يابسه وهي إحدى جزر البليار بالتوجه نحو المهدية، لنصرة المحاصرين وذلك عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، إلا أن الأسطول فوجئ بضخامة القوات البرية والبحرية المحاصرة للمدينة.

وكان الخليفة عبد المؤمن يمرغ وجهه بالأرض، باكياً، داعياً ربه أن ينصره وأن يتم فتح المهدية وتحريرها على يديه، وكأنه بذلك يريد أن يؤكد للجند أهمية القتال في سبيل الله، وطلب النصر منه، وليحفزهم على الثبات. وقد حدثت مواجهة بحرية قصيرة مع سفن الاسطول الصقلي، إلا أن ذلك الأسطول ما لبث أن لاذ بالفرار بعد أن أسرت اعداد من سفنه باموالها ورجالها.

وتناهت إلى النصارى المحاصرين في المهدية أخبار انتصارات عبد المؤمن وضمه للمدن المجاورة: سوسه، وصفاقص، وطرابلس، كما تناهت إليهم أخبار هزيمة الأسطول الصقلي، فشعروا باليأس، وقرروا - بعد أن طال أمد الحصار - الاتصال بالمسلمين لطلب الأمان وتسليم المدينة والانسحاب الى بلادهم. فقبل الخليفة، وأمر بتجهيز السفن الموحدية لنقلهم سالمين.

وهكذا استسلمت المدينة عام ٥٥٥هـ/ ١١٦١[1]، ودخلها المسلمون الذين

---

١ - انظر بشأن تحرير المهدية وثغور افريقية وضمها الى المغرب، النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٢٣، ٤٢٤؛ ابن الاثير، الكامل، ٦٣، ٦٤، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٥ - ١٣٩، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٧ وما بعدها؛ التيجاني، الرحلة، ٣٤٨، المراكشي، المعجب، ١٠٥ - ١١؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٨؛ ابن ابي دينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، ١١٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٢٨؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٤٠، ١٩٩؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٣٩ - ٤١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٠ - ١٢١؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٤٦، ١٤٧، رسائل عبد المؤمن رقم ١٩، ٢٠، من الرسائل الصادرة عن ديوان الدولة المؤمنية ٩٥، ١٠٠ وما بعدهما؛ اندرى جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٤٤؛ الاصبهاني، جزيرة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، ١/ ١٢٨؛ ابن خلكان، الوفيات ٣/ ٣٩.

وانظر وصف مسير الجيش لتحرير المهدية، كما أورده؛ مجهول، في الحلل الموشية، ١٥٢ - ١٥٣، حيث بين:

"كان من عادته أن يرحل في أسفاره بعد صلاة الصبح، بعد أن يضرب طبلاً كبيراً مستديراً من الخشب واللون الأخضر محلّى بالذهب، وكان يوضع على مكان مرتفع يسمع من مسيرة نصف يوم ... واذا ركب اجتمع اليه الأعيان يودعونه ويدعون له، ويتقدم الناس، ويمشي أمامه حملة مصحف عثمان ... الذي صنع له تابوتاً عجيباً وغلف غلافه بصفائح من ذهب ورصّع بالياقوت الأحمر، وكان اعز ما فيه الحافر، من الياقوت الأحمر على شكل حافر الفرس، وفيه نفيس الدرر والزمرد، ثم تسير الجيوش بأربعة فرق بين الواحدة والأخرى مرحلة".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سموا تلك السنة بالأخماس، وبدأ عبد المؤمن بتعميرها. وعين ابا عبد الله بن فرج والياً عليها وأعاد الحسن الصنهاجي إليها لمساعدته بعد أن رتب أمورها.

لقد كان تحرير المهدية من النصارى بعد أن خضعت لهم منذ عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وتطهير مدن وثغور المغربين الأوسط والأدنى منهم، يعتبر من الأعمال التي خلدت عبد المؤمن، فقد وحد بذلك افريقية من برقة في تخوم مصر مع المغرب حتى الأطلسي، ومن الصحراء الكبرى وغانة حتى بلاد الأندلس شمالاً وضفاف نهر التاجا، وكانت أول وحدة شملت المغرب العربي بعد الفتح الاسلامي.

وفي الجانب الاقتصادي، أمر عبد المؤمن بمسح عام لأرض إفريقية والمغرب، وفرز المناطق الصالحة للزراعة من الغابات حتى يتمكن من جمع الخراج، لضمان دخل لخزينة الدولة، مستمداً ذلك من الشريعة الاسلامية. واعتبر الموحدين حملة الدعوة، القائمين على الحق، الذين يحق لهم مصادرة املاك المعارضين لدعوتهم واخذ الخراج عليها، وهكذا استأثرت الدولة بالجزء الأكبر من الواردات كالجزية، والزكاة والخراج(١). وقد دلّت عملية المسح على توافر الأطر الفنية والأدوات التي استعملت في هذا المسح، وعلى معرفة الموحدين بطبوغرافية الأرض.

ولما أراد عبد المؤمن العودة الى المغرب من افريقية، جمع قبائل العرب من الاثبج وبني هلال، وزغبه، ورياح وحثهم على نصرة الاسلام، والجهاد في الأندلس، وقتال المشركين، وقال لهم: "أنتم أهل القتال والجهاد وفيكم فتحت البلاد" فاستجابوا لدعوته "ووثقوا ذلك بالحلف على مصحف عثمان" الذي كان يحمله عبد المؤمن في حملته على افريقية إلا أنهم أخفوا نفاقاً في قلوبهم، وكرهوا المسير لاعتقادهم بأنه يود اخراجهم من بلادهم. وأبلغ أحد أمرائهم الخليفة بانهم غير صادقين في قولهم، وفعلاً نكثوا العهد، إلا أن الخليفة لم يفعل بهم شيئاً حتى وصل قسنطينة، حيث وضع خطة عسكرية لتأديبهم، فقد كمن في واد

---

١ - اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ١٤٦؛ روجي ترونو، حركة الموحدين، ٧٢؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٨، ١٩٩؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصيب، وظل كذلك حتى ايقنت العرب أنها استقرت واستوطنت في البلاد التي نفرت إليها، وعندئذ فاجأهم بقوات الجيش الموحدي، فسقط في أيديهم، وقتلت أعداد كبيرة منهم، ثم التفّ الموحدون حولهم، ولم ينج منهم إلا قبيلتا جبارة بن كامل، ومسعود بن زمام اللتان فرّ رجالهما الى الصحراء حين شاهدوا زحف الجند الموحدي، وقد أسرت أعداد من القبيلتين، وأخذت نساؤهم وأطفالهم الى مراكش.

ويبدو أن أخذ النساء والأطفال كان سياسة اتبعها عبد المؤمن للضغط على القبائل من أجل الطاعة، فقد وفد شيوخها على الخليفة عبد المؤمن، وأعادوا توثيق العهد الذي قطعوه على أنفسهم، كما وافقوا على الشرط الذي اشترطه عبد المؤمن وهو أن يجاهدوا في الأندلس، وأعلنوا التوحيد والبيعة، وأصبحت كل إفريقية تحت حكمه(١)، سوى مسعود بن زمام، الذي فر الى الصحراء.

---

١ - المراكشي، المعجب، ١٢١، وذكر لم أعلم انها انتظمت لأحد قبله منذ ان اختلت دولة بني امية،

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٦٥.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ٣٩ - ٤٠.

؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٤٢٤ - ٤٢٥.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٢١ وما بعدها.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٤٠، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٥.

؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٣٠٥.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٤٧، ١٧٢.

؛ الرسالة المؤمنية رقم ٢٠، ص ١١٣ وما بعدها من رسائل الديوان المؤمني، من انشاء الدولة المؤمنية.

وذكر ابن عذارى: كان مروره بقسطينة عام ٥٥٥هـ، ثم تلمسان، أما في الحلل فقد ذكر لما مر بفاس، توجه الى سبته، وجاز الى الاندلس، في ذي القعدة سنة ٥٥٥هـ، ونزل بجبل الفتح، وأتته الوفود من كل جهة ثم جاز الى العودة عام ٥٥٦هـ وانصرف الى مراكش.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر البيذق[١]، أن الخليفة عبد المؤمن مهد البلاد، وأقبل على المغرب مع سادات العرب بأجمعهم وأولادهم وعيالهم، فوصل الى سلا، وقسم العرب على البلاد، ثم وصل الى مراكش حيث مكث عامين اثنين.

وكان الخليفة عبد المؤمن قد بعث برسالتين؛ الأولى عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، الى ابنيه أبي سعيد عثمان وأبي حفص بين فيها للموحدين في الأندلس الأوضاع في افريقية، وعزمه على النصر وتصميمه على الجهاد، وردع الصليبيين، واصراره على القدوم الى الأندلس، وأمرهما ببناء مدينة الفتح[٢].

والرسالة الثانية بينت عناصر فتح المهدية يوم عاشوراء عام ٥٥٥هـ/ ١١٦١م[٣]، وجلوسه، أي الخليفة فيها.[٤] وقد قيل في ذلك شعر يعتبر مصدراً يرفد التاريخ ببعض الحقائق منه قول الشاعر ابن حبوس:

شدت اليك الرياح سروج أين الفرار بأهلكم يا جوج

وقول ابن ادريس:

عصفت بدعوتك الرياح الهوج وسطا بامرك ذابل ووشيج

وتقدمتك الى العدو مهابة يشقى بها سده مأجوج[١]

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٤٦، ١٤٧.

٢ - انظر مجموعة رسائل موحدية من كتاب الدولة المؤمنية ص ٩٥ وما بعدها.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٤، ١١٥، ١١٦.

٤ - المهدية: مدينة أنشأها عبد الله المهدي على شاطئ البحر شرق القيروان، عام ٣٠٠هـ، وكان موضعها يسمى جزيرة الفاو؛ البكرى، المسالك، ٢٩.

؛ مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ١٠٧.

؛ التبحيبي، زاد المسافر، ١٨/ ٣٢، بيروت ١٩٣٩.

٥ - انظر، زاد المسافر، ١٨/ ٣٢، ط بيروت، ١٩٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتضمنت الرسائل(١) بشائر النصر بتحرير المهدية عام ٥٥٥هـ/ ١١٦١م وانتهاء الفتن، وضم افريقية، والقضاء على المرتدين، وعودة الإسلام، ومحو الكفر، كما تضمنت البشرى لابنه أبي حفص بقدوم جيش الموحدين الى الأندلس.

وقد عبر الخليفة عبد المؤمن عن ذلك شعراً، فقال:

ولما قضينا بالمشارق(*) أمرنا ... وتم مراد الله في كل مطلب
وأشرقت الشمس المنيرة موهنا ... وأصبح وجه الحق غير محجب
وطهر هذا الصقع من كل كافر ... وعاد بها الاسلام بعد تغيب
وكسرت الصلبان في كل بيعة ... ونادى منادي الحق في كل مرقب
أشرنا بأعناق المطي اليكم ... فطار بها شأو السرور بمغرب
فابشر ابا حفص بنصر موزر ... كفيل بما تبغيه في كل مذهب
ولابد من يوم أغر محجل ... يسيل دماء الكفر في كل مذنب
وتشفى صدور المؤمنين بغزوة ... تكون على حكم الحسام المدرب
فيدفع بالصمصام كل مجاهر ... ويقطع بالبرهان كل مشغب
فطوبى لاهل الغرب ماذا يرونه ... من النصر والفتح المبين المغرب(٢)

وعندما وصلت الرسالة إلى إشبيلية (عام ٥٥٦هـ/ ١١٦١م) التي كانت مركز الأندلس في هذه الفترة، أقيمت الاحتفالات، وأنشد الشعراء ابتهاجاً بالنصر، وقد قرئت الرسالة من على المنابر، وقرعت الطبول(٣).

---

١ - انظر الرسالة رقم ٢١ من الرسائل المؤمنية، ١١٣، الصادرة عن كتاب الدولة وما بعدها.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، حاشية رقم ١١٨، ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٣.

* يعني بالمشارق (افريقية).

٢ - ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، حاشية رقم ١١٨.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان عبد المؤمن في خضم حربه ضد ملك صقلية في الثغور الافريقية، كان في تلك الأثناء يتخلص ممن يشك في ولائهم، حتى وإن كانوا أقرب الناس إليه، ومن أولئك وزراؤه، وخاصة ابن عطية(*)، وعبد السلام الكوفي.

أما ابن عطية فقد انضم الى الخليفة عبد المؤمن بعد سقوط مراكش بيد الموحدين عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وعفا عنه الخليفة، واشترك مع أبي حفص عمر الهنتاتي في القضاء على حملة المرتدين التي تزعمها الماسي في السوس. ومن هناك كتب رسالة الى الخليفة يبشره فيها بالنصر على الثورة فاستحسنها الخليفة، واستوزره، ونال مكانة في الدولة.

وفي عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م صحب الأمير أبو يعقوب الوزير ابن عطية الى اشبيلية، فاستغل حساده غيابه، وأوغروا صدر الخليفة ضده، ومن هؤلاء عبد السلام الكومي الذي قال:

قل للإمام اطال الله مدتـــه ... قولا تبين لذى لب حقائقه

إن الزراجين قوم قد وترتهم ... وطالب الثار لم تؤمن بوائقه

وللوزير الى آرائهم ميـــل ... فذاك ما كثرت فيهم علائقه

فبادر الحزم في إطفاء نارهم ... فربما عاق عن امر عوائقـــه

ومن جهة أخرى ذكر الناصري(١)، أن الخليفة أفضى إلى ابن عطية بسرٍّ فأفشاه، وكانت النتيجة أن قام الخليفة بحجبه عن الناس، وعقد له مجلس حكم حيث تقدم الشهود بشهادتهم، وأدى ذلك إلى سجنه. وقد خاطب ابن عطية

---

* ابن عطية: ابو جعفر عمل كاتباً عند أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وعمل ابنه جعفر لدى اسحاق بن علي بن تاشفين آخر أمراء المرابطين.

١ - الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٣١، ١٣٤، ويلاحظ أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة، ؛ وانظر، ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ١٣٢.

؛ المراكشي، المعجب، ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة عبد المؤمن بقصيدة كتبها وهو في السجن، جاء فيها:

عفوا أمير المؤمنين فما لنا ... بان العزاء لفرط البث والحزن

قد اغرقتنا ذنوب كلها بحج ... ورحمة منكم انجى من السفن

فالثوب يطهر عند الغسل من درن ... والطرف يرهص بعد الركض في سنن

ولما اطلع الخليفة عليها قال: "الآن، وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين".

وكتب في سجنه أيضاً:

أنوح على نفسي أم انتظر الصفحا ... فقد آن أن تنسى الذنوب وان تمحى

فها أنا في ليل من السخط حائر ... ولا اهتدى حتى أرى للرضا صبحا

وفي عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م اصطحب الخليفة ابن عطية في زيارة لمقام المهدي في تنملل، وفي طريق عودتهما الى مراكش أمر بقتله وكان ذلك في تاكمارت بالقرب من حصن ملاحة.

ويستشف من نكبة ابن عطية عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م (٢) أن مؤامرة قد دبرت ضده للمكانة التي وصل اليها في الحكم، حتى أنه كان يشار اليه. وقد طغت سمعته على شيوخ الموحدين الذين ذهبت مكانتهم بتولي اسرة عبد المؤمن الحكم والسلطان، فاستغلوا غيابه في الأندلس، وأظهروا ما في نفوسهم عليه باتهامه في ولائه وبالميل للمرابطين، مما دفع عبد المؤمن إلى التخلص منه، مع أنه كان من أكثر الموالين إخلاصاً، وممن يشكلون الأركان الأساسية للدولة الموحدية،

---

١ - القرآن الكريم الآية ٩١ سورة يونس.

٢ - ابن ابي زرع، الروض القرطاس، ١٩٦ - ١٩٧؛ المراكشي، المعجب، ١٩٨ - ١٩٩؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ٢٦ - ٢٧؛ ابن الآبار، التكملة، ٢/ ٢٢٥، ٦٩١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٢٣، وحاشية رقم ٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ١٣٢ - ١٣٤؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣١ - ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يشفع له اعترافه بالخطيئة الذي يبدو أنه كان نتيجة لما تعرض له خلال سجنه، ولا التوسلات والاستعطاف للتخفيف عنه، بل لم يشفع له توسله بالمهدي وقبره، مع أن ذلك يتعارض مع عقيدة التوحيد، ومع الخدمات التي قدمها للدولة في القضاء على الثورات، والجهود التي بذلها في تثبيت النظام والسلطان.

وأما عبد السلام الكومي فقد استوزره عبد المؤمن بن علي عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م بعد نكبة جعفر ابن عطية، وأرسله بمهمة الى الأندلس حيث زار قرطبة، واشبيلية، وغرناطة، وساهم في تذليل العقبات التي كانت تعترض الحملة الى افريقية، واصبحت له مكانة في الدولة، حتى وصلت به الجرأة الى اتهام أبي حفص، وهو أحد أبناء الخليفة بشرب الخمر، مما دفع الخليفة إلى وضع ابنه تحت مراقبة شيوخ الموحدين. ولما ضمت قابس وصفاقس والقيروان الى الدولة الموحدية اتهم عبد السلام عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م بجمع الغنائم والأموال، فأنكر عليه الطلبة والحفاظ ذلك، وطلبوا الى الخليفة تنحيته، وتعيين ابنه أبي حفص وزيراً، فقبل وقال: قال تعالى على لسان نبيه موسى: "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري، واشركه في أمري".

ومن ناحية ثانية اشتكى أهل تلمسان من ظلم العمال الذين وضعهم عبد السلام، واتهموا أهل كومية باحتجاز الأموال والخيانة، حتى أن الناس والجند لم يجدوا مالاً ولا إعانات، ولما وصل الأمر الى الخليفة عقد مجلساً للقضاء لسماع الشكوى والشهود وما آل اليه الأمر(١).

فقال عبد المؤمن: "عجباً من هذا الأمر وسعته، وعدم (كفاية) المال، "لقد كانت لمتونه(*) يملكون الى تلمسان وينصفون جندهم. ونحن الآن وقد ملكنا ذلك وزائد على ما كان بأيديهم، افريقية كلها، وما عندنا نعطي للموحدين، هذا أمر عجيب".

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٣ - ١٧٧.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٣٥ - ٣٧.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٢ - ١٤١.

؛ البيذق، المقتبس من الانساب، اخبار المهدي، ٢٤.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٣.

(*) يقصد: دولة المرابطين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن تجمعت البيانات والأدلة ضد عبد السلام الكومي الذي تطاول أيضاً على ابناء الخليفة، وشيوخ الموحدين، قبض عليه وسجن ثم قتل.

وهكذا لقي الوزير عبد السلام الكومي مصير ابن عطية، وذلك بعد أن نال شهرة كبيرة، وتصرف بأمور الدولة حتى كاد يطغى ذكره على الخليفة واركان الدولة من شيوخ الموحدين. لقد وجد عيون عبد المؤمن في سياسته المتعلقة بجمع الأموال تخريباً للاقتصاد أدى إلى عجز الدولة عن دفع أعطيات الجند رغم وارداتها الكثيرة التي زادت عما كان يدخل موازنة الدولة المرابطية، وهذا الأمر إضافة إلى اتهام عبد السلام لأبناء الخليفة بشرب الخمر جعل عبد المؤمن يسارع الى سجن وزيره وقتله.

وقد يكون ما نسب الى عبد السلام الكومي صحيحاً، ولكن قد يكون صحيحاً أيضاً أن ذلك كان من تدبير أيد خفية سعت للتخلص من أكثر أركان الدولة اخلاصاً، فشيوخ الموحدين الذين فقدوا امتيازاتهم بحصر الخلافة وإمرة الولايات في عبد المؤمن وأبنائه كانوا - دون شك - ناقمين حتى على خليفتهم ووزرائه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

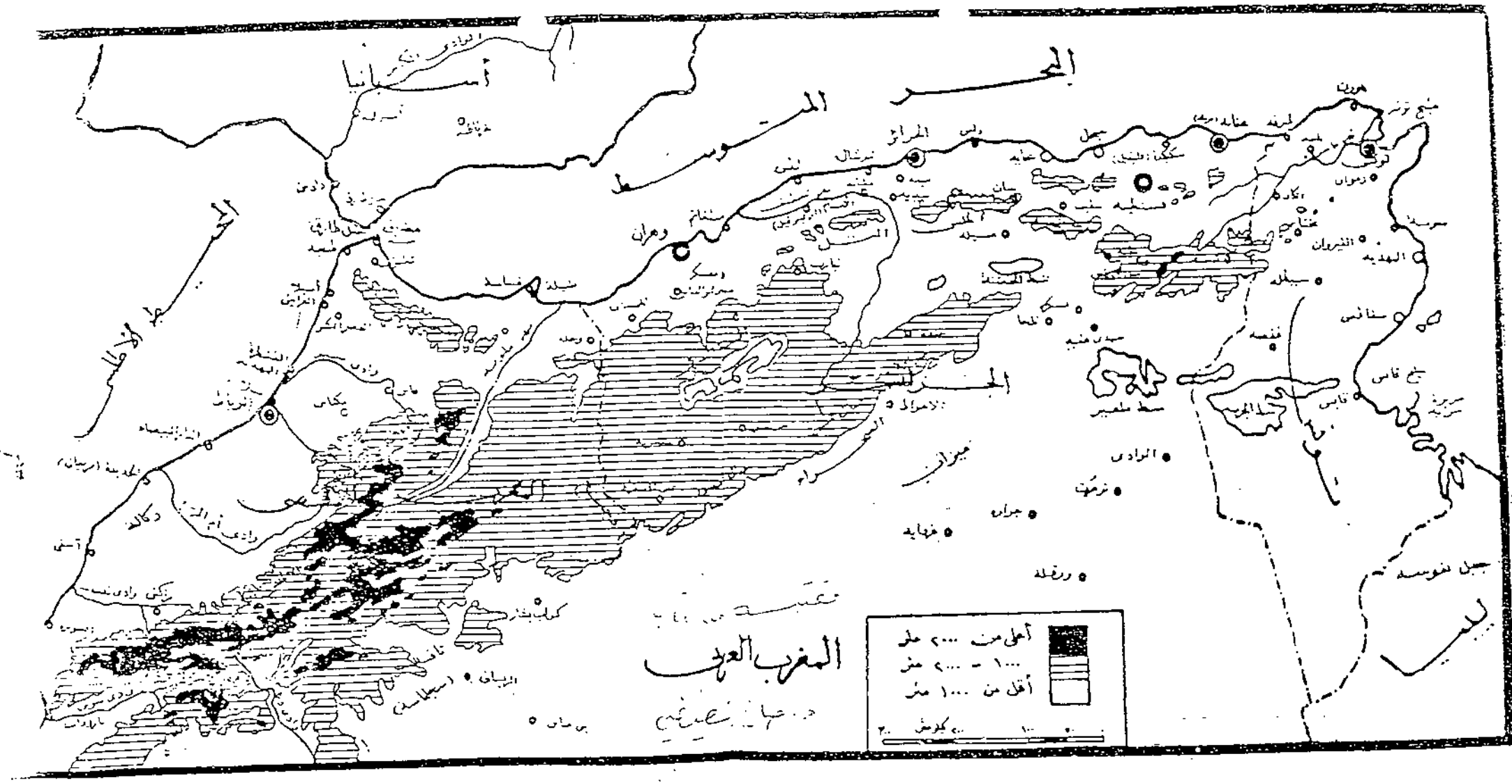

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث
ضم الأندلـــس

- الحالة السياسية في الأندلس بعد انهيار الدولة المرابطية
- خطوات عبد المؤمن بن علي لضم الأندلس
- تحرير المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٣م من الصليبيين
- الصراع بين ابن مردنيش والموحدين في شرقي الأندلس
- علاقة الموحدين ببني غانية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحالة السياسية في الأندلس:-

أدت الهزائم التي مني بها المرابطون في المغرب أمام الموحدين الى سحب معظم قواتهم من الأندلس لمواجهة الموحدين، مما أدى الى تفكك وحدتها السياسية، وظهور إمارات متنافسة، أطلق عليها (دول ملوك الطوائف)، وهي: اشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، وسرقسطة وبلنسية، وشريش، ومالقة ... وغيرها. وكان بعض هذه الممالك يستعين بالممالك النصرانية، بينما بعضها الآخر يمد يده إلى الدولة الموحدية. وكان هؤلاء جميعاً يرقبون الأحداث الجارية في المغرب، تلك الأحداث التي أسفرت عن ضم السوس وفاس وتلمسان إلى الموحدين، ومصرع أمير المسلمين تاشفين بن علي في سهل وهران عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م(١).

وقد وصف المؤرخ آنخل جنثالث بالنثيا الوضع في الأندلس بقوله(٢) "إن الأندلسيين حينما وجدوا أنفسهم حيال حكومة ضعيفة، وقوة حربية هزيلة، شوكتها مغلولة، كسرت صناعاتهم، وبارت تجارتهم، وشعروا أنهم قد وقعوا فريسة للغلاء، وغزوات النصارى، أخذوا ينتقدون المرابطين الذين رجوا الخلاص على أيديهم، وبلغوا بهذا الأمر أن سألوا سيف الدولة آخر بني هود، وحليف الفونس الأول ملك أرغون في عام ٥٣٠هـ/ ١١٢٥م أن يتفق مع ملك قشتاله، الفونس السابع، أن يعينهم على التخلص من المرابطين لقاء جزية ثقيلة يؤدونها له".

ويوضح هذا الوصف أن الأندلس وصلت إلى حالة شديدة من الضعف والتفكك، حتى أن بعض الفئات من المسلمين تعاونت مع الممالك النصرانية بدلاً من توحيد كلمتهم، والحيلولة دون أطماع النصارى بالبلاد الاسلامية الأندلسية التي يتحفزون للسيطرة عليها.

---

١ - ابن عذارى، البيان المغرب، ٤/ ١٠٤؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ١٩٨؛ ابن ابي زرع، الروض القرطاس، ١٨٨.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٣٣؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣١.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٩٩.

٢ - انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاسلامي، ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي خضم هذه الأحداث بعث الخليفة عبد المؤمن بن علي عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، وهو في تلمسان، بعشرة آلاف جندي الى الأندلس لضم جزيرة الخضراء، وطريف الى الموحدين، ودخلت مدينة شريش صلحاً، وأصبحت املاكهم محررة من الأرباع التي أخذت من مدن الأندلس، وعرف اهلها بالسابقين الأولين(١). ومكافأة لهم على دورهم في دعوة الموحدين كانوا أول من يسمح لهم بالدخول على الخليفة عبد المؤمن بن علي والأمراء من أبنائه، وفي ذلك دلالة على انتشار الدعوة الموحدية في الأندلس، ووجود أنصار ومؤيدين لها وخاصة بعد الانتصارات التي حققها الخليفة عبد المؤمن في المغرب وافريقية. وربما كان الدافع لهذا التأييد هو أنهم رأوا فيه القوة الوحيدة لنصرة المسلمين في الأندلس.

ثورة ابن قسي في الجنوب الغربي من الأندلس:-

أعلن ابن قسي(٢) الثورة في مدينة شلب (جنوب البرتغال) ضد الدولة المرابطية عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، وتنقل في أنحاء الأندلس، وخلع طاعة أمير المسلمين تاشفين، وادعى الامامة والمهدية، وقد عرف اتباعه بالمريدين، وانضم اليه الكثير من رجالات غرب الأندلس، كمحمد بن يحي بن قابله، واحتل حصن مرتله، ثم انضم اليه فقيه شلب محمد بن عمرو بن المنذر، وسيد رأى بن وزير، قائد المتصوفة في يابره، واحتلوا حصون مرجيق(٣) وباجه ولبه ولبله والزاهر. إلا أن القائد المرابطي يحي بن غانيه فاجأهم بقواته من قرطبة، فشتت تجمعاتهم.

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٨، ط منصور.

٢ - ابن قسي: أحمد بن الحسن بن قسي الصوفي من شلب، درس على يد الشيخ ابي العباس بن العريف في المرية، وقرأ كتب الغزالي، وألف كتاباً في الصوفية، بنى رابطة لاتباعه في مدينة شلب، ؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٤٨، ٢٥٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ١٩٧، ١٩٨؛ المراكشي، المعجب، ٢٨١.

٣ - الادريسي، وصف المغرب والسودان، ١٨.

؛ الروض، المعطار، ١٠٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣١.

؛ اشياخ، تاريخ الأندلس، ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استغل قاضي قرطبة الفقيه حمدين بن محمد الملقب بابن حمدين انتشار المعارضة السياسية عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، وأعلن الثورة وخلع طاعة المرابطين، فأثر ذلك على قواتهم وعلى تتبعها للثائرين، ثم انسحب الى اشبيلية وتركها الى حصن مرجانه لمعارضة أهلها له(١).

وقد حصل انشقاق داخل تحالف ابن قسي، مما دفعه إلى اللجوء للمغرب حيث أعلن بيعته وطاعته للخليفة عبد المؤمن بن علي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م(٢)، وطلب العون والمساعدة، ثم عاد الى الأندلس. وبعد ذلك قدمت وفود من الأندلس الى المغرب معلنة البيعة والطاعة للخليفة، وطلبت منه النصرة لمحاربة الممالك النصرانية ثم العمل على توحيد الأندلس مع الدولة الموحدية. وكان مع الوفود عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي في قادس الذي قابل الخليفة خلال حصاره لفاس، وخطب له على منبر جامع قادس معلناً بيعته عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م(٣).

وقدم كذلك وفد شريش وكان بزعامة أبي الغمر بن عزون، الذي أعلن بيعته أيضاً واعتنق الدعوة الموحدية خلال حصار مراكش عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م.(٤) وفي العام نفسه وصل قاضي قرطبة ابن حمدين على رأس وفد من الأعيان الى الخليفة عبد المؤمن معلنين البيعة والطاعة، وقدموا له كتاباً بذلك، وطلبوا منه النصرة ضد الممالك النصرانية الصليبية، فشكرهم، وطلب منهم النصرة على المرابطين(٥).

---

١ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٠٤.

؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١/ ٣٣٩.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٣٨٥.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ١٩٩.

؛ ابن الخطيب، رقم الحلل، ٢٥.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٣.

٤ - ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٢.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٧.

٥ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٤٥.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا العام (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) قدم ابن قسي مرة أخرى الى الخليفة عبد المؤمن بن علي، ودعاه الى إرسال قوات الى الأندلس للتخلص من المرابطين، والخارجين، وتوحيد الأندلس مع الدولة الموحدية(١). واستطاع إقناع الخليفة بضرورة الاسراع بارسال الجيوش للقضاء على الفوضى في الأندلس التي استغلتها الممالك النصرانية أرغون وقشتاله. وسارت الحملة الموحدية الى الأندلس واعادته الى ولاية شلب الا أنه تمرد واستعان بملك البرتغال ان الرنك فثار عليه العامة وقتلوه ونصبوا مكانه ابن المنذر الاعمى على طاعة الموحدين عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م.

الحالة السياسية في وسط الأندلس وجنوبها:-

عندما خرج ابن غانية لإخماد حركة التمرد التي قادها ابن قسي خلع أهل قرطبة طاعة المرابطين ونصبوا عليهم القاضي الفقيه حمدين بن محمد الملقب بابن حمدين وذلك في المسجد الجامع عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، ولقبوه بأمير المسلمين، وناصر الدين، ودعي له في خطبة الجمعة.(٢)

ثم حصلت اضطرابات في قرطبة بسبب ولاء بعض المسلمين لسيف الدولة ابن هود وولاء بعضهم الآخر لابن حمدين إلا أن يحي بن غانيه هاجم قرطبة ففر خصومه(٣) الى حصن اندوجر، وحاولوا بسط نفوذهم على المناطق المجاورة، فتقدم ابن غانية، وحاضر الحصن، فطلبوا عون ملك قشتاله الفونسو السابع الذي بعث بتجريدة عسكرية دخلت قرطبة، وعاثت فيها فساداً، واستباحت المسجد الجامع،

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٣.

؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٥١.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٠٠.

J.F.O. Callaghan, A History of Medieval Spain, p.22.;

مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين ٧٩.

٢ - الضبي، بغية الملتمس، ٣٨٥.

٣ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.

؛ اشياخ، تاريخ الأندلس، ١/ ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومزقت المصاحف، وأحرقت الأسواق، وكان ذلك حافزاً للمسلمين للوقوف ضد الممالك النصرانية، وتفضيل الاستعانة بقوة الموحدين على المرابطين. وقد تحصن ابن غانية شرقي المدينة(١)، بينما سرت شائعات بقدوم الخليفة عبد المؤمن بن علي، وعندئذ سارع ملك قشتاله الفونسو السابع، وفاوض ابن غانيه على عقد هدنة وصلح بين الطرفين، ولعل الملك النصراني إنما خشي أن تقطع عليه الطريق الى بلاده، فأراد أن يكون ابن غانيه بينه وبين الموحدين كخط دفاع أول عنه يتلقى الضربات، وغادر قرطبة بعد أن وجه خطاباً لأهلها بين فيه أنه ولّى عليهم ابن غانيه، وطلب اليهم السمع والطاعة له، وكان من شروط الصلح: أن يدفع ابن غانيه للملك الفونسو السابع مبلغاً من المال وأن يتنازل عن مدينتي آبذه، ويابسه(٢).

واحتل ألفونسو في طريق عودته قلعة رباح التي تتحكم بالطريق بين طليطلة وجنوب ووسط الأندلس، حتى تكون نقطة دفاع متقدمة له، ينطلق منها ضد خصومه - الذين قد يكون في طليعتهم - كما تروج الشائعات، الخليفة عبد المؤمن بن علي.

ولابد من الاشارة هنا إلى أن انتشار الشائعات عن قدوم الموحدين يدل بوضوح على وجود دعاة وأنصار للحزب الموحدي في الأندلس يعملون على نشر افكارهم، ليوجدوا رأياً عاماً يرحب بهم هناك - وكان لهذه الشائعات تأثيرها -

---

١ - النباهي، المرقبة العليا، ١٠٣.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/ ٩٨.

B. Meakin, The Moorish Empire, p. 71 ;

؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ٢٠٤.

J.F.O. Callghan, A History of Medieval Spain, p. 229 ;

٢ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٣٥.

؛ الضبي، بغية الملتمس، ٣٥٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد شعر ملك قشتاله الفونسو السابع أنه أمام خصم عنيد هو عبد المؤمن الذي حقق الانتصارات في افريقية على الصليبيين الصقليين في البر والبحر.

وأما ابن حمدين فقد دخل المغرب عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وقابل الخليفة ثم عاد واستقر في مدينة مالقة وبقي فيها حتى توفي عام ٥٤٦هـ/١١٥١م(١).

وخرجت عدة مدن أخرى على المرابطين منها: قرمونة، وشقوره، وجيان، بقيادة القاضي ابي الحسن علي بن عمر بن أضحى الذي تحالف مع ابن هود حليف النصارى، إلا أن القوات المرابطية تمكنت من هزيمة التحالف وقتل زعمائه(٢)، على يد القائد المرابطي ميمون بن بدر بن ورقاء وأعلنت مالقة بزعامة قاضيها أبي الحكم بن حسون خلع طاعة المرابطين، وقد استعان هذا الزعيم بالممالك النصرانية كأرغون وقشتاله لقتالهم، وفرض الضرائب لدفع مرتبات الجنود النصارى، فثارت عليه العامة وتخلصوا منه عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م(٣). وفي رنده أعلن الأديب خليل بن ادريس، خلع الطاعة، وفي العام نفسه أعلن الاستقلال(٤).

ودخلت شريش وقادس في الطاعة وأعلنت البيعة عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م،

---

١ - النباهي، المرقبة العليا، ١٠٢.

؛ الضبي، بغية الملتمس، ٢٦١.

؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ١/ ٣١٥.

٢ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٥٩.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢١٢.

٣ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٥٥.

؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ١/ ٢١٨.

؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين ٢١٨.

٤ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٤١، ٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك المرية[١] التي بقيت على الطاعة حتى دخلتها القوات الصليبية عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[٢].

الحالة في شرق الأندلس:-

حظي شرق الأندلس بموقع جغرافي مهم على ساحل البحر المتوسط أكسبه مكانة عسكرية شدت من أزر حركات التمرد، كما أكسبه وفرة في المواصلات.

وقد أعلنت بلنسية، وشاطبة، والمرية، ومرسية عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، خلع طاعة المرابطين والثورة عليهم، وحاول ابن غانية القضاء على الفتن واعادتهم الى الولاء، مذكراً إياهم بالشهداء من المرابطين الذين قضوا في جهادهم ضد الممالك النصرانية، ففشل وفر الى جزر البليار الشرقية[٣]. وحصلت اضطرابات في مرسية انتهت بتولي عبد الله بن عياض صاحب بلنسية الأمر الذي وحد بلنسية ومرسية ثم ضم اليهما أريوله. وقد ولّى صهره عبد الله بن مردنيش على بلنسية، واتخذ مرسية مقراً له، ودعا لسيف الدولة بن هود لعله بذلك يتخلص من أطماعه، ويتقي خطر الممالك النصرانية المتعاونة معه[٤].

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٣.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٤٢.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٨.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٣.

؛ المراكشي، المعجب، ٢٧٩.

٢ - المراكشي، المعجب، ٢١٠.

٣ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢١٩؛ عبد العزيز عبد المجيد، ابن الآبار حياته، ٦٥، اشياخ، تاريخ الأندلس، ١/ ٢٢٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ١/ ٢٥٦.

٤ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٠؛ ابن الآبار، التكملة، ١/ ١٨٠؛ السامرائي، علاقات، ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعلنت مدينة وادي آش بقيادة القاضي أحمد بن ملحان الطائي عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م خلع الطاعة. وقد شجع الطائي الزراعة، والعلم والأدب، واستقل بالمدينة، إلا أن ذلك انتهى باستيلاء محمد سعيد بن مردنيش المتعاون مع الممالك النصرانية في شرق الأندلس عليها(١).

وقد انتهزت الممالك النصرانية اضطراب الأوضاع في المنطقة، فحركت قواتها نحو شاطبه لاحتلالها، فدفع ذلك القوات الاسلامية في بلنسية، ومرسيه، وقوات سيف الدولة بن هود إلى التحالف للوقوف امام الزحف الصليبي، والتقت قوات الطرفين في اللج (البسيط) عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م قرب جنجاله، ودارت معركة ضارية هزم فيها المسلمون وقتل عبد الله ابن مردنيش الذي لقب بصاحب البسيط، كما قتل سيف الدولة بن هود، أما عبد الله بن عياض فقد تابع جهاده حتى استشهد عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وقد أدخل الرعب في قلوب النصارى، وكان يعد بمائة فارس(٢). وتولى الحكم بعده محمد بن سعد بن مردنيش(٣).

ومن الجدير بالذكر أن الاحداث السياسية التي أعقبت نهاية الدولة المرابطية في الأندلس أظهرت أن القضاة والفقهاء والأدباء هم الذين قاموا بخلع الطاعة وتولي المعارضة، وفي هذا دلالة على مكانتهم والنفوذ الذي تمتعوا به في ظل الدولة المرابطية، الا أن البعض منهم تعاون مع الممالك النصرانية كابن مردنيش، وسيف الدولة بن هود، ووقع في صراع مع الامارات الأخرى، كاشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، مما أدى الى الوهن، ودفع بعضاً من هؤلاء القضاة والفقهاء وغيرهم إلى الانتقال الى المغرب حيث بايعوا الخليفة عبد المؤمن بن علي ودعوه لنصرة المسلمين في الأندلس، وبعد أن تم ضم الأندلس الى الدولة الموحدية واعلان التوحيد ومبايعة الخليفة عبد المؤمن اختفت تلك الزعامات كما سيأتي.

---

١ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٤٦.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/ ٨٩.

٢ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٥١.

؛ المراكشي، المعجب، ٢٧٨، ٢٧٩.

؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ١/ ٢١٦.

٣ - يذكر المراكشي "كان خادماً لابن عياض، يقدم له السلاح وحوائجه، ولما حضرته الوفاة، رفض توليته ابنه لأنه سمع أنه يعاقر الخمر، ولا يداوم على الصلاة، فأشار عليهم بابن سعيد بن مردنيش، لعله ينفع المسلمين، وبقي حتى توفي عام ٥٦٧هـ وأعلن ابنه بيعته في شرق الأندلس للموحدين، المعجب، ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطوات ضم الأندلس:-

استجاب أمير المؤمنين عبد المؤمن لدعوة الوفود الأندلسية التي قدمت الى المغرب واعلنت بيعتها وطاعتها له، واستنصرته لايقاف الزحف الصليبي النصراني على بلادهم، وكان ذلك موافقاً لرغبته في ضم الأندلس، فقرر ارسال قوات عسكرية قوامها ثلاث فرق مؤلفة من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف جندي: الاولى: بقيادة براز بن محمد المسوفي، والثانية: بقيادة موسى بن سعيد، والثالثة: بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي(١).

وتحركت هذه الفرق الى الأندلس بعد أن أمرها عبد المؤمن بقتل كل من يتخلف عن دعوة التوحيد، وما أن اجتازت مضيق جبل طارق حتى أعلنت الجزيرة الخضراء، وطريف، وشريش، التوحيد والبيعة، وانضمت قواتها الى الجيش الموحدي(٢)، ثم انضمت لبله ومرتله وباجه وبطليوس، كما انضم القادة: يوسف البطروجي، وابن قسي، وسيد رأي وزير، وأعلن الجميع الطاعة والبيعة للخليفة الموحدي عبد المؤمن.

واتجهت القوات البرية نحو اشبيلية تؤازرها القوات البحرية، وفرضت حصاراً عليها بقيادة أمير البحر عيسى بن ميمون، حتى فتحت أبوابها عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، واتخذت قاعدة لحكم الأندلس(٣).

ومن الواضح أن هذا التحرك السريع في جنوب وغرب الأندلس إنما يدل على التعاون بين الولاة والامراء الذين يريدون القضاء على الثورات، واعادة توحيد الاندلس، وكذلك على ترحيبهم جميعاً بالدعوة الموحدية وبيعة الخليفة.

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٤؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٤؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٤.

٢ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٢؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٤، اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٣٧ وذكر ان الجيوش كانت بقيادة اخوى المهدي.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٤؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٠٠، ٢٣٧؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٤٧؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٤، ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى اثر ذلك توجه وفد من اشبيلية برئاسة القاضي ابي بكر بن العربي المعافرى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، الى المغرب (١)، وقابل أمير المؤمنين في مراكش، وقدم له البيعة والطاعة، فشكر الوفد، وأكرم وفادتهم، وسأل الخليفة أبا بكر بن العربي عن المهدي قائلاً: هل لقيته عند أبي حامد الغزالي؟ فقال: "ما لقيته ولكن سمعت به".

فقال له: وما كان أبو حامد يقول فيه؟.

فقال: "كان يقول إن هذا البربري لابد سيظهر".

وإن دلت هذه المساءلة على شيء فإنما تدل على مكانة المهدي وقدرته، وتبين شهادة الغزالي فيه، وبأنه سيكون له السلطان في المغرب، وفي ذلك دعم له ولحكمه، ويستشف من ذلك ان الدعوة الموحدية قد استقت أصولها الفكرية من العالم الغزالي الذي انتشرت افكاره وذكره في المغرب، ولكن يبدو أن كنية البربري قد أتت لاعطاء الصبغة العامة للسكان، علماً بأن التزاوج قد حصل بين العرب والبربر.

وعاد الوفد الى اشبيلية عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، مزوداً بكتاب من الخليفة عبد المؤمن بن علي يضمن تحرير أملاكهم (وذلك بأن تعفى من الضرائب).

وتظهر التواريخ السابقة أن هذا الوفد تأخر عن مقابلة الخليفة عبد المؤمن ما يقرب من سنتين، وذلك لانشغاله بالقضاء على ثورة محمد بن هود الماسي في السوس، وتحالف سبته ودكالة وبرغواطة التي أعلنت الثورة ضد الدولة المرابطية. ومما يذكر هنا أن الشيخ ابو عمر الهنتاتي تمكن من القضاء على الماسي، فلقبه الموحدون بسيف الله، وبذلك قضى الخليفة على التحالف، وتفرغ لاستقبال الوفود.

---

١ - ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٢.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٤، ٤٧٩.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١١.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٤؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٦، ٨.

؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٠؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا وقد واصل الموحدون زحفهم لضم بقية الأندلس، وأبقوا في إشبيلية قوات بقيادة أخوي المهدى: عيسى، وعبد العزيز اللذين أساءا التصرف في التعامل مع أهلها، واشتطا في جمع الضرائب، مما دفع بها الى الخروج على الموحدين. وقد حاول يوسف البطروجي أمير لبله أن يثنيهما عما يقومان به إلا أنه فشل، ومع ذلك فرا إلى الجبال.

وما لبث البطروجي نفسه أن أعلن خلع الطاعة والبيعة للموحدين، واتصل بابن غانيه وزين له قتالهم(١)، وانضم اليه في ذلك أمير شلب أحمد بن قسي، وأمير قادس علي بن ميمون، وأمير بطليوس محمد بن علي الحمام، ويبدو أنهم كانوا زعماء الوفود الذين قدموا الى المغرب، وبايعوا الخليفة، وطلبوا اليه نصرة المسلمين في الأندلس وضمها للدولة الموحدية، ولكن يظهر أنهم لم يكونوا جادين أو صادقين في دعوتهم، او في توحيدهم، وقد دفعتهم مصالحهم للعودة إلى حكم مدنهم والتخلص من معارضيهم، ومن الاخطار الخارجية التي تهددهم.

غير أن الخليفة قابل الحركة بحزم، فقد أرسل جيشاً ضخماً بقيادة يوسف ابن سليمان، هزمهم وأعادهم الى البيعة والطاعة(٢). ودعا الخليفة زعماء المعارضة الى المغرب عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، واجتمع بهم في سلا حيث أعلنوا البيعة مجدداً، وتخلوا عن ولاياتهم وأقاموا في المغرب. وربما رأى عبد المؤمن أن حجزهم في المغرب يبعد خطر المعارضة والثورات. ولم يتخلف عن تجديد البيعة سوى ابن قسي الذي مد يد التعاون الى ملك البرتغال الفونسو هنري كيز (ابن الرنك(٣)).

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٤.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٩؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٩.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٧، وذكر زعماء المعارضة، سيد رأى، صاحب بايره وبياجه، ابو القمر بن عزون صاحب شريش ورنده، يوسف البطروجي صاحب لبله، محمد بن الحمام بطليوس، عامل ابن مهيب طلبيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فثار عليه العامة وقتلوه، وتولى مكانه محمد بن المنذر الذي أعلن البيعة والطاعة(١).

وتدل مقاومة العامة لابن قسي وقتله على مقدار ما عاناه المسلمون من الممالك النصرانية، وما كان يختلج في قلوبهم ضد التعاون مع عدوهم المشترك.

وهكذا تمكن عبد المؤمن من إعادة الهدوء والأمن الى المناطق التي ضمها، واعلنت ولاءها للدولة الموحدية في الغرب والجنوب، وبعد ذلك أصدر الخليفة تعيينات ادارية لتعزيز الأمن، واعداد القوة لسحق الثورات، والوقوف أمام اطماع الممالك النصرانية، ومن ذلك تعيين ابنه أبي يعقوب يوسف على اشبيلية، وابنه أبي سعيد عثمان على الجزيرة الخضراء وسبته.

وبعد هذه الاجراءات الادارية أظهر الخليفة عبد المؤمن بن علي التصميم على ضم الأندلس، فتقدمت القوات الموحدية نحو قرطبة، ولما وصلت الى استجه في طريقها الى هناك اتصل ابن غانيه، صاحب قرطبة، سرا بالقائد الموحدي وفاوضه على تسليم المدينة مقابل اعطائه الأمان موقعاً من الخليفة، والسماح له بمغادرتها الى غرناطة فتم له ذلك(٢).

وهذا التصرف من ابن غانيه يدل على حنكته حيث تمكن بتسليم قرطبة من التخلص من الصلح الذي عقده مع ملك قشتاله الفونسو السابع مكفراً بذلك عن تعاونه مع أعداء الأمة. وأما الملك القشتالي فقد وجد نفسه وجهاً لوجه أمام

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٩.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٩.

؛ المراكشي، المعجب، ٨٥.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥، ٤٧٤.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٥.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٥.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ١، ٢/ ٢٣٢.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ١٠٣، ٣٧٤.

؛ وانظر الرسالة رقم ٤ من ص ٦ - ١٠ من مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية/ نشر ليفي بروفنسال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوات الموحدية التي كان يخشاها.

وفي تلك الأثناء كانت البابوية بزعامة البابا أنوسنت الثالث قد حشدت قوات صليبية زودت بها الفونسو السابع، وهدد بها قرطبة(١). إلا أن القوات الموحدية دخلت قرطبة عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م، وأصبحت قاعدة لتحرير بقية وسط الأندلس، ثم ضمت أبده، وبياسه، وقرمونة التي لجأ حاكمها وردوش الى ابن مردنيش امير شرق الأندلس(٢)، وطهروا القلاع والحصون من الخارجين، واحتلوا حصن فرنجلوش، وشلير، واركش، وطوط، ثم احتلوا مدينة برشانه(٣).

ضم مالقا:-

استكمالاً لضم بقية الأندلس، أرسلت قوة عسكرية بقيادة الشيخ أبي حفص الهنتاتي عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٣م نحو وادي آش وبسطه، وأعلن أخمد مليحان توحيده، وضم بلاده الى الدولة الموحدية. إلا أن ابن مردنيش استولى على تلك البلاد، وطلب التحالف مع كونت برشلونه لإيقاف الزحف الموحدي، فخشي ابو حفص هذا التحالف، وتحاشى الاصطدام به(٤).

وأما مالقا فكانت تتعرض لهجمات المرابطين في أنتقيره لاستعادتها من ابن حسونه الذي استعان بالنصارى، فثار عليه العامة وقتلوه عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م وقيل

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٦١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٥؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٥.

٢ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٦؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١١.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٩؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٢٩.

٣ - البيذق، أخبار المهدي، ٨٧؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١١.

؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٢٩.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٦٣.

؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٦٤.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتحر، وأعلنوا ضم مدينتهم الى الموحدين[١]، وبذلك ضمنوا القوة للوقوف أمام المرابطين.

ضم غرناطة:-

حاول يحي بن غانية بعد انتقاله الى غرناطة إقناع أميرها ميمون بن بدر اللمتوني بالتفاهم مع الموحدين كما فعل بقرطبة، إلا أنه توفي[٢] عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م بغرناطة قبل أن يحقق هدفه.

وشعر ميمون بن بدر اللمتوني ان السيادة في الأندلس أصبحت للموحدين وأنه لا طائلة من وراء مقاومته لهم، فعرض على الخليفة عبد المؤمن تسليم غرناطة مقابل اعطائه الأمان، فوافقه على ذلك عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م. وقدم ابو سعيد عثمان والي الجزيرة الخضراء وسبته وبصحبته قائد الاسطول عبد الله بن سليمان لتسلّم المدينة، فاستقبلهما ميمون بن بدر، وبعد تسليمهما المدينة غادر الى مراكش، فأكرمه الخليفة عبد المؤمن.

وهكذا ضمت غرناطة الى ولاية ابي سعيد، وأصبحت مركزاً لولايته، وانتهت بذلك دولة الملثمين بالاندلس[٣]، ولم يبق الا جزر البليار.

وبهذه الانتصارات أصبح الموحدون القوة الرئيسية في الأندلس التي تمكنوا من توحيد معظم أرجائها في وقت قصير، وبعد ذلك أخذوا يمدون أنظارهم الى تحرير المرية، وملاحقة ابن مردنيش المتعاون مع الممالك النصرانية في شرق الأندلس.

---

١ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢/ ٢٢٥.

؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ١/ ٢٢٩.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٦.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٥ وما بعدها.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٦ وما بعدها، ٢١٥.

؛ النويري، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٢٠.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٥٥.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣٥.

؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحرير المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م:-

احتل تحالف أوروبي صليبي مدينة المرية عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م مكون من: قشتاله، وجليقيه، واشتوريس، وأرغون ونبره بقيادة قشتاله التي تولت قيادة القوات البرية وآزرتها قوات بحرية مكونة من: جنوة وبيزه والبندقية ومنبليه، مما يظهر التعاون الواسع بين الممالك النصرانية في اسبانيا والمدن البحرية الأوروبية، وتكاتفها ضد المسلمين.

وعندما أحكمت القوات الموحدية سيطرتها على وسط الأندلس أعدت العدة لاسترجاع المرية(١)، وبدأت تخطط لتحريرها، وذلك بعد أن ضمت غرناطة، وبايع الأندلسيون الخليفة عبد المؤمن بن علي، فقد تحركت قوات برية بقيادة أبي سعيد عثمان أمير غرناطة، وقوات بحرية بقيادة عبد الله بن سليمان قائد الأسطول من سبتة وضربا عليها حصاراً برياً وبحرياً، وقطعت عنها جميع الامدادات. وقد فشلت القوات الصليبية التي ارسلها الادفونش ملك طليطلة بقيادة السليطين المعززة بتحالف ابن مردنيش من اختراق الحصار، او التخفيف من آثاره على أهلها، وعادت هذه القوات الى طليطله، ومات السليطين كمدا في طريق العودة، فاضطر سكان المرية الى تسليمها عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، وخرجت معها أبده وبياسه. وكان عبد المؤمن قد أمر ابنه يعقوب والي اشبيلية بتعزيز القوات المحاصرة للمرية بقيادة ابنه سعيد بقوات بقيادة ابن عطية الذي عرف بتفوقه بالرقابة، فازدادت قوة الموحدين بفضل جهود الوزير ابن عطية.

وكان لهذه المدينة مركز مهم على ساحل الأندلس الشرقي، كصلة وصل مع المغرب، وبرزت تلك الأهمية على لسان الخليفة عبد المؤمن حيث قال: "رأينا أن أمر المدينة حرسها الله من أهم الأمور، وأكّدها في هذا الغرض المبرور والأمر الميسور لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية، والغربية، ورابطة بين البلاد البرية والبحرية"(٢). وأسكن الخليفة عبد المؤمن المرية أخواله من قبيلة كومين البربرية(٣)،

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٥٥، ٥٦، ١١/ ٢٢٤؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٦، ٢٣٧، اشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٢٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة ٢٧٣، ٢٧٩؛ المقرى، نفح الطيب ٦/ ٢٠٧، السلاوي، ٢/ ١٤٩.

J.F.O. Callaghan. A History of the Medevial Spain, p. 231.

٢ - انظر نص الرسالة/ مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ٧١ - ٨١؛ وانظر ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب ٢/ ١٦٣ قال عن المرية: "باب الشرق، ومفتاح الرزق"؛ ابن غالب، فرحة، الانفس ١٤ ، تحقيق د. لطفي عبد البديع ط القاهرة ١٩٥٦.

٣ - البيذق، اخبار المهدي ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر ذلك مدى اهتمام الخليفة بهذه المدينة، كما يظهر رغبته في ضمان الأمن والاستقرار فيها، لأنها - كما قال ابن سعيد المغربي - مفتاح الشرق وكان تحرير المرية ذات المركز البحري الهام، وغيرها من الثغور الاسلامية، دلالة على مدى حرص الموحدين على قتال الصليبيين واخراجهم من الاراضي الاسلامية، فتحريرها، وإشرافها البحري، يعطيان للدولة منعة وقوة، ويرفع مكانة الموحدين في أعين السكان، فيلتفون حول دولتهم، ويعزز الثقة في النفوس. وقد أضاف ذلك مأثرة أخرى لعبد المؤمن بعد تحرير المهدية الثغر الافريقي، وبذلك هيمن الأسطول الموحدي على غرب المتوسط، وأصبح تحرك السفن تحت سلطانهم، وكان لذلك أثر على منع مرور الأساطيل الاوروبية وامداداتها الى المشرق الاسلامي لدعم الصليبيين فيها كما أدى الى نمو الحركة التجارية والحياة الاقتصادية في الدولة الموحدية.

الصراع بين الموحدين وابن مردنيش في شرق الأندلس:-

تولى ابن مردنيش (١) إمارتي بلنسية، ومرسية عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وامتد حكمه من بلنسية شمالاً حتى المرية جنوباً، وكانت امارته محاطة بالممالك النصرانية: أرغون وقشتاله عدا الغربية التي أصبحت تابعة للدولة الموحدية. وقد استمال ابراهيم بن همشك وصاهره، فقويت شوكته، وضم حصن اشقويش، وشقورة.

ورأى ابن مردنيش في حركة القوات الموحدية نحو الشرق خطراً يتهدده، كما رأت ذلك الممالك النصرانية: أرغون وقشتاله، فعمل على تحصين امارته باجراء سلسلة من الأعمال، حيث قضى على المعارضة الداخلية، وأجرى تعيينات ادارية في بلنسية، ومرسيه، لتمتين عرى الوحدة الداخلية. ولمواجهة الموحدين عقد صلحاً مع قشتالة، وبرشلونه على أن يدفع لهما جزية سنوية، فاعتبرا ذلك نصراً لهم، ومقدمة لقتال الموحدين بعد أن أصبح ابن مردنيش خطاً دفاعياً أمامياً لقواتهما.

---

١ - ابن مردنيش: محمد بن سعيد بن مردنيش الجذامي، وهو من المولدين، عمل لدى محمد بن عياض في ولاية بلنسية، وكان والده والياً على افراغه،

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ١١٨، ٢٣٢.

؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ١/ ٢٦٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعقد اتفاقات مع الامارات البحرية الأوروبية: جنوه وبيزه، على أن يدفع لهما عشرة آلاف دينار مرابطي سنوياً لمدة سنتين، وتبادل الهدايا مع هنري الثاني ملك انجلترا. وقد كافأه الصليبيون على هذه الخدمة التي تنكر فيها لأمته فلقبه البابا انوسنت الثالث "بصاحب الذكر الحميد" وعرف كذلك بالملك لوبو، وأقطع البشكنس بيدرو، وشنتمريه(١). وكان ملكا أرغون وقشتاله: رامون بنجير الرابع والفونسو السابع قد اتفقا على اقتسام الأندلس بينهما في معاهدة تطيلة التي عقداها عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م. فرأى ابن مردنيش في الاتفاق تهديداً له، فعقد معهما تحالفين منفصلين على أن يدفع لكل واحد خمسين ألف مثقال ذهباً كجزية سنوية(٢).

وقامت ثورة في لورقه، وبلنسية ضد التحالف (الذي عقده ابن مردنيش مع الممالك والامارات الأوروبية)، ودعوا الي بيعة الخليفة عبد المؤمن، إلا أن ابن مردنيش قابلها بالقوة وقضى عليها في مهدها. ولخطورة الوضع بعث الخليفة برسالة اليه يدعوه فيها الى الطاعة والبيعة، واتباع طريق المهدي، واستنكر فعلته في ثورتي لورقه وبلنسيه، ودعاه الى النجاة، والتمسك بدعوة التوحيد واعتماد القرآن والسنة مصدري التشريع، واقامة الدولة الاسلامية التي دعا اليها محمد بن تومرت.

ومما جاء في الرسالة(٣): "كتب الله لكم نظراً يريكم المنهج، ويلفيكم الأبهج فالأبهج .. ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمة لخلقه، ومطية لرقيه، وقراره لاقامة عدله ... وجعل الاعذار والانذار من فصوله المستوعبة، وأحكامه المرتبة، ومنجاته المخلصة من الخطوب المهلكة. رأينا أن نخاطبكم بكتابنا

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٠٩؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣٢؛ عنان عصر المرابطين والموحدين، ١/ ٣٦٧.

٢ - ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ٢/ ١٢٣، ١٢٤.

Jesseph, A History of Medle Spain, p. 232.

٣ - انظر الرسالة العاشرة، مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ٣٥ - ٣٧؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٤٧٧؛كنون، النبوغ المغربي ٢/ ١٠١ - ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... والتحريض على اغتنام النجاة وتحصيله ... فأجيبوا رفعكم الله ... تسعدوا وتمسكوا بأمر المهدي ... تهتدوا".

ثم عنفه وزجره لما فعله بأهل لورقه وبلنسيه الذين أعلنوا التوحيد، ورفضوا التعاون مع النصارى ضد المسلمين:

"كان منكم في أمر أهل بلنسية حين اعلانهم كلمة التوحيد، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان عقب ذلك ما اعتمدتموه في أهل لورقه وفقهم الله حين ظهر اختصاصهم، وبان إخلاصهم، وليس لذلك وأمثاله عاقبة تحمد، فالخير ما يقصد، والنجاة فيما يزح عن الشرح، ويبعد، ونرجو أن يكفكم عن ذلك واتباعه ان شاء الله تعالى نظر موفق، ومتاع محقق، ويجذبكم الى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد وسائق يرشد".

إلا أن ابن مردنيش تجاهل الرسالة، وتقدم هو وحلفاؤه من النصارى (مملكتي ارغون وقشتاله) عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م[١] واحتلوا جيّان، وتحركوا الى قرطبة، وفرضوا عليها حصاراً، ودمروا ما حولها، فثبت أهلها بقيادة واليها عبد الرحمن بن تبجيت، وقاتلوا قتال المجاهدين. وعمد المسلمون الى اتباع الحيلة والخدعة الحربية، وبعثوا اليه كتاباً على لسان سيد رأى بن وزير من إشبيلية يدعوه الى تسليم اشبيلية اليه، فترك الحصار وتحرك نحو اشبيلية فلم يجد من يتعاون معه، فأقلع عنها بعد أن أخفق في تحقيق أهدافه.

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١١، ١١٢.

؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ٢٢.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٢، ٢٣٧.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١١٠.

؛ الحميرى، الروض المعطار، ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذه الأثناء وصلت بشائر النصر من الخليفة عبد المؤمن برسالة الى ابنه أبي يعقوب في اشبيلية عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م(١) بفتح المهدية وتحريرها، فأقيمت الاحتفالات، وقرئت رسالة الخليفة على المنابر، وفي المدن والقرى، وأنشد الشعراء ابتهاجاً بالفتح والتحرير، وأثلجت الصدور وحفزتهم تلك الرسالة على الثبات لما تضمنته من حقائق باحلال الاسلام ورفع رأسه، وهزيمة النصارى وحلفائهم. وقيل في ذلك شعر كثير منه قصيدة جاء فيها:

وطهرت الآفاق من كل كافر ... فحصحص حق الله واستحكم العقد
ستلقى بلاد الروم منه حتوفها ... ويغشى أولي الالحاد من ذكره جهد
وقد صرفت نحو المغرّب عزمة ... يبين لها في كل ناحية وقد
وحاجاتهم بالشرق قد قضيت لهم ... فآمالهم نحو المغارب تمتد
ويصحبنا من خالص العرب معشر ... أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا
ستغزو بلاد الروم منهم عصائب ... وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند
ستعلم أرض الروم أي فوارس ... على ظهرها منهم اذا وقد الوقد

واستغل ابراهيم بن همشك احتفالات النصر، وتحرك نحو قرطبة، عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، فعاث فيها فساداً، وقتل الوالي ابن تبجيت، ثم توجه الى اشبيلية وفرض عليها حصاراً، وفشل في تحقيق أهدافه(٢).وطلب الامير يوسف بن عبد المؤمن والي اشبيلية من أبيه العون للقضاء على الفتن التي أثارها ابن مردنيش، فأجابه الخليفة في ربيع الأول ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، والبلاد تموج بالفتن بالبريد البحري، عن طريق المرية، ومنها الى اشبيلية. برسالة فيها:(٣)

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٩ - ١٢٢.

؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٤٢٠.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ٤٠.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٠.

؛ ماهر، الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمال افريقية، ٣٤٤ - ٣٤٨.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٦، ابن عذارى، البيان، ٣/ ٤٣.

٣ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ١/ ٢٦١

؛ وانظر الرسالة رقم ٢٠، من رسائل كتاب الدولة المؤمنية، ٩٩ - ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ان خيل الله ستكون في الأندلس، وحملت البشرى بفتح قفصه، واعلان قبائل بني سليم التوحيد، والنصر المؤزر على القبائل العربية".

وكان لأخبار النصر في افريقية على الصقليين، وتحرير الثغور:المهدية وبونة وطرابلس منهم، وهزيمة القبائل العربية بني هلال، والاثبج، وزعبه وعدي، التي كانت مصدر اضطراب للحياة السياسية والاقتصادية أثر بالغ في تطمين الأندلسيين، وحضهم على الثبات حتى تصلهم القوات الموحدية.

وقد أظهرت رسالة الخليفة أن الصليبيين الصقليين كانوا شوكة في جنب المسلمين في افريقية، أثرت على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى بعث الله الموحدين، فعملوا على تحريرها وليس لعملهم هذا نظير، وحثهم على أن تكون لهم المكانة والدور الفعّال في جهاد الممالك النصرانية(١). وقد ضمن رسالته شعرا يوضح ما فعله الجيش بأهل الفساد، وأشفى صدور قوم مؤمنين، وأشقى صدور المفسدين، وسيروا فعلهم كذلك بالجهاد في الأندلس:

تسنى لاهل الحق نيل مرادهم ... وطاب لهم فيما يرومونه الورد
فسار بامر الله جيش عرمرم ... يقود به سعد ويحدو به سعد
شفى كل صدر نوّر الله قلبه ... واشفى صدورا ما لها بالهدى عهد
ولما طغت جهلا رياح وصرصرت ... دهتها بامر الله داهية إد
جيوش بنصر الله تهمي عليكم ... يروق بها وهد ويزهى بها نجد

فاطمأنت القلوب، وهدأت النفوس، وانتزعت المهابة والخوف من العدو المتربص بهم كمملكتي آرغون وقشتاله، وبدأت الوفود تقدم على ابي يعقوب في إشبيلية بالتهنئة.

وأصدر الخليفة عبد المؤمن أمراً في ٩ ربيع الأول ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م الى أبي سعيد عثمان والي غرناطة أن يبني مدينة كبرى على جبل طارق تكون مقراً للخليفة، ومركز انطلاق للجهاد في الأندلس.

وأحضر الشيخ أبا حفص والطلبة والحفاظ، والمهندسين اسحق بن برازبن محمد، وبالحاج يعيش المالقي، والقائد الخيار بن الجياني، لدراسة الموقع

---

١ - الرسالة رقم ٢٠، رسائل كتاب الدولة المؤمنية، ٩٩ - ١١٣.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٢ - ١٢٧، وقد عاصر الاحداث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحديد مكان البناء، لأهميته على بحر الزقاق في مضيق جبل طارق، وساحل المغرب والمحيط الأطلسي(١)، ووجه الخليفة أمراً الى أبي يعقوب في إشبيلية والاسراع بالتنفيذ، فامتثل للأمر، وأحضر خبير البناء أحمد بن بياسه، والمهرة من البنائين.

وأجمع الرأي على بناء المدينة على سيف البحر، وأحكم البناؤون هندسة البيوت والقصور. وقد استبشر الأندلسيون بذلك نصراً وفتحاً.

ويصف ابن صاحب الصلاة ذلك: "وبما لو عاينها المتقدمون من آل عاد ابن شداد لأقروا بالعجز، وفضولهم على الذين بنوا القصر من شداد"(٢).

وسموا جبل طارق بجبل الفتح لمناعة موقعه المشرف على مدخل البحرين: المتوسط والمحيط. وصنع الحاج يعيش طاحونة في أعلى الجبل بالريح لطحن الأقوات، تم انجازها باتقان فريد خلال فترة وجيزة مما يدل على القدرة الفنية والهندسية. وتضافرت الجهود لاستقبال الخليفة وجمعه(٣).

---

١ - الحاج يعيش: من المع المهندسين الذين تألق نجمهم في أيام الموحدين، وأشرف على المشاريع المميزة لتصميم مقصورة مسجد مراكش لأمير المؤمنين التي كانت تتحرك وفق تنظيم هندسي فريد عند دخول وخروج الخليفة، ووضع مخطط جلب المياه من قلعة جابر الى قصور الخلافة في اشبيلية، وصمم خزان المياه وتوزيعها؛ البيذق، اخبار المهدي، ٣٢ - ٧٣.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٣٨٤، ١٢٩، ١٣٢.

؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ١٠٠.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٣.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١٩.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٣٢ - ١٣٨.

؛ الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٢٦٦.

٣ - ابن صاحب الصلاة، ١٣٢ - ١٣٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٧٧

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٩٩ - ١٠٠؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥٥

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٤٩؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٠ - ١٤١

؛ رسالة رقم ٢٠، ٢١، من الرسائل المؤمنية الصادرة عن كتاب الدولة المؤمنية ٩٩ - ١٢٢؛ عنان؛ عصر المرابطين والموحدين، ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن التساؤل في هذا المجال: هل اقتصر البناء على قاعدة عسكرية، ومقر للخليفة؟ إن ما كتبه المؤرخون(١) حول بناء مقر للخليفة. يوحي بالاسراف؛ وبأن أموالاً طائلة تم إنفاقها في غير الأوجه التي يجب أن تنفق فيها مثل: التنمية الاقتصادية، والبناء العسكري، خلافاً لما كانت عليه الحال أيام ابن تومرت حيث التقشف وتوجيه موارد الدولة إلى ما يعزز جانبها.

وكان وصول الخليفة في ذي القعدة عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م مجتازاً البحر من سبته الى مدينة الفتح، كما وصلها الولاة والحفاظ والطلبة والشيوخ والعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، ومن دخل في طاعة الموحدين من الأندلسيين وقلوبهم تختلج فرحاً، وتلهج بذكر الله، وطلب النصرة للخليفة(٢)، ولعل ذلك مرده الى المعاناة والتجزئة والخلافات التي عاشها الأندلسيون، وتعاون بعض الأمراء مع الممالك النصرانية، مما جعل الوضع برمته بحاجة إلى منقذ.

وعقد الخليفة عبد المؤمن اجتماعاً مع مساعديه والحفاظ والطلبة والشيوخ وجلس في قصره الواقع في مدينة الفتح بجبل طارق يستقبل الوفود، وتولى ابنه أبو حفص تنظيم دخول الوفود للسلام عليه، واعلان الولاء والطاعة والبيعة والتوحيد، وألقى رؤساء هذه الوفود كلمات امامه مبينين حاجات الأندلس من طلب النصرة وملاحقة العدو أنّى كان، وبيّن الفقهاء لزوم البيعة ومفهوم الشرع لها.

وقد أمر الخليفة بتسجيل هذا الحدث التاريخي شعراً، ومن الشعراء الذين وثقوا ذلك: أبو بكر بن المنخل الشعبي، ومحمد بن المدهور المعروف باللص، الذي أنشد لأبي العباس الاشبيلي، والشاعر القرشي الأمي القرطبي المعروف بابن طليق (٣).

---

١ - المصادر السابقة.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٣٨ - ١٤٠

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٤٢ - ٥٣

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٥ - ٤٩٦

٣ - المراكشي، المعجب، ٢٠٠ - ٣١٢؛ ابن صاحب الصلاة وقد حضر هذا الجمع، وسجل احداثه، المن بالامامة، ١٤٠ - ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدر أمير المؤمنين ما قيل من الشعر، واستحسنه، وقدم للشعراء الهدايا والأعطيات، وأجاز كثيرين منهم، وأجزل العطاء للوفود التي أمت جبل الفتح.

ومن الواضح أن الأموال والأعطيات التي دفعها الخليفة لم تكن من قبيل تشجيع الحركة العلمية والأدبية، وإنما كانت لأغراض اعلامية دعائية حتى يكسب ودهم، ويدفعهم إلى مدحه والدعوة له. وبالتالي فإن ما تضمنه شعرهم لا يمكن الركون إليه كحقائق تاريخية.

ومن أمثلة هذا الشعر ما قاله أبو جعفر بن سعيد القسي مخاطباً الخليفة عبد المؤمن:

تكلم فقد أصغى لقولك الدهر ... وما لسواك اليوم نهي ولا أمر

ورم كل ما قد شئته فهو كائن ... وحاول فلا بر يفوت ولا بحر

وحسبك هذا البحر فالا فإنه ... يقبل تربا داسه جيشك المجر

فما طارق الا لذلك مطرق ... ولا ابن نصير لم يكن ذلك النصر

هما مهداها كي تحل بأفقها ... كما حل عند التم بالهالة البدر(١)

الأحداث التي صاحبت الزيارة:-

- حاولت قوة استطلاعية نصرانية رصد حركة المسلمين، إلا ان عيونهم تمكنوا من كشفها وأسرها.

- قضى الخليفة عبد المؤمن في مطالب المسلمين، وأنصف المظلومين، ووعد بنصرتهم على نصارى الأندلس.

- أمر بتجهيز الجيش، وأثنى على القبائل العربية: بني هلال، ورياح، وزغبة، وعدي التي قدمت للاشتراك بالجهاد في الأندلس لمؤازرة القوات الموحدية، وحثهم على جهاد الممالك النصرانية.

- أقر تعيين ابنائه في ولاياتهم: ابي يعقوب في اشبيلية، وأبي سعيد على غرناطة وعين أبا حفص عمر أنيتي على قرطبه.

- وعقد لواء الجيش لابن الشرقي مع القائد الأندلسي ابن صناديد

- وأمر الولاة بمتابعة الحرب ضد ابن مردنيش.

وبعد أن قام الخليفة بهذه الاجراءات عاد الى مراكش، وذلك عام ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م(٢).

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٤٩ - ١٧٣، وقد حضر الاحتفال، وسجل احداثه؛ وانظر المراكشي، المعجب، ٢١٣؛ ابن الخطيب، الاعلام، ١٦٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥٥ - ١٥٦؛ ابن بطوطه، الرحلة، ٦٦٧.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٦٨، ١٦٩؛ المراكشي، المعجب، ١٠٣؛ ابن الاثير، الكامل، ٧٧/٩؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتنة قرمونه ٥٥٧هـ/ ١١٦١م:-

استغل عبد الله بن شرحبيل، ومحمد بن همشك اجتماع الولاة والطلبة والحفاظ والشيوخ مع الخليفة في مدينة الفتح، وعاثا ومعهم الخارجون على الدولة فساداً في قرمونة، وهددا المرافق العامة في اشبيلية. ولما عاد والي اشبيلية (الامير ابو يعقوب يوسف) الى مقر ولايته، أمر بتجهيز الجند للقضاء عليهما وعلى من معهما من الخارجين الذين تحصنوا بالقلاع والأسوار، كما وصلت تعزيزات أعدها أمير المؤمنين عبد المؤمن، وامتلأت المخازن بالأقوات، والآلات، فاستبشر الناس خيراً.

واتخذ الاشبيليون بقيادة واليهم أبي يعقوب قلعة جابر مركزاً لعملياتهم الحربية، وتمكنوا من هزيمة محركي الفتنة ونقلوهم الى اشبيلية، ودخلوا قرمونة، وأعادوا تنظيمها. وأعلم الخليفة بتحريرها(١)، وتعززت بذلك القوة العسكرية للموحدين.

تحرك ابن همشك وابن مردنيش الى غرناطة:-

كان لتحرير الموحدين لمدينة المهدية عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م في افريقية، والمرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م في الأندلس من الصليبيين وقرمونة من الخارجين، أثر بالغ على ابن همشك، فقد أشعل ذلك نار الحقد في نفسه، وفي نفس صهره ابن مردنيش اللذين وضعا خطة لفتح جبهة جديدة على الموحدين بدلاً من مؤازرتهم ضد الممالك النصرانية، فاتصلا بيهود غرناطة عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، وزينا لهم التعاون معهما في ضرب الموحدين لقاء مكاسب اقتصادية وادارية يأخذونها، وتمت العملية بسرية وكتمان، بينما كان الوالي أبو سعيد خارج المدينة.

ونفذ اليهود تعهدهم بكسر أقفال باب الربض عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، وتدفقت قوات ابن مردنيش داخل المدينة. أما الموحدون وأهل غرناطة فقد تحصنوا في قصبة المدينة، كما لجأ إليها المجاهدون والطلبة والحفاظ، وأبدى الجميع قوة وثباتاً، وإصراراً على المقاومة العنيفة. وفي تلك الأثناء تحركت قوات ابن مردنيش لاحتلال القصبة، بينما

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٦ - ١٧٧.

؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ٤٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دخل ابن همشك القصبة الحمراء بجبل السبيكة(١)، واتخذها قاعدة انطلاق عسكرية، حيث نصب المنجنيقات، وأقام التحصينات، وقطع عن الموحدين كل مدده إلا أن هؤلاء تمكنوا - بواسطة سعاة البريد الذين تنقلوا ليلاً - من الاتصال بالموحدين في اشبيلية، وبالخليفة الذي أمر بتحريك قوات عسكرية بقيادة أبي سعيد عثمان والشيخ أبي عبد الله بن أبي حفص لنصرة الموحدين في غرناطة. ومن جهة أخرى وصلت قوات نصرانية وقوات لابن مردنيش لدعم ابن همشك، والتقى الطرفان في مرج الرقاد بظاهر غرناطة.

معركة مرج الرقاد عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م:-

وضع ابراهيم بن همشك وحلفاؤه خطة عسكرية تقوم على بث الكمائن في المرج، واستدرج القوات الموحدية اليه، حيث فوجئت بالكمائن، فانهزمت، وقتلت اعداد كبيرة منها، وأسرت أعداد أخرى.

وقام ابن همشك بقتل الأسرى والتمثيل بهم أمام اخوانهم المتحصنين في القصبة، وكان لذلك وقع جسيم على الموحدين إلا أنه زادهم ثباتاً وقوة في الدفاع(٢).

أثر معركة الرقاد:-

أثرت أحداث المعركة على الخليفة عبد المؤمن، فأعلن النفير العام للقوات العسكرية براً وبحراً، وتجمعت قوات من العرب، والمجاهدين من المتطوعة، واختار الخليفة المقاتلين من قبائل: مسوفه وصنهاجه وهسكورة وهزرجه وهرنجه والعربية الاثبج وزغبه وبني هلال وسليم وخطب فيهم، ودعاهم الى نصرة الحق، وقتال

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٨٣ - ١٨٤.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٧٧؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٥٨.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٨٨، ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ٥٠، ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٧٨ - ٧٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ٣٠٠ - ٣٠١؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٥٨؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٥، ط بيروت ١٩٥٧، ٦/ ٢٣٨، ط بيروت، ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكفار، واعلاء كلمة الله، وتحرير اخوانهم المحاصرين في قصبة غرناطه. وعقد لواء القيادة ليعقوب يوسف بن سليمان لتجربته في الحروب. ويمكن القول ان الخليفة عبد المؤمن كان حريصاً على الاستفادة من القادة العسكريين ذوي الخبرة في الحرب، لمحاربة الثورات والفتن، والتقت قوات الخليفة مع قوات ابي سعيد في الجزيرة الخضراء، وتولت قوات خاصة استطلاع أخبار العدو وكشف الطرق.

وأما ابن مردنيش وحلفاؤه فوزعوا قواتهم في منطقة مطلة على قصبة غرناطة وابن همشك بالقصبة الحمراء بالسبيكة، ومعه العلج البرهانس، وابن القمط، ويفصل بين القوتين نهر حدره. وكانت القوات الموحدية تسير بتؤده رافعة راياتها، وقد تجمعت بالقرب من نهر شنيل بالقرب من غرناطة حيث خطب فيهم أبو يعقوب حاثا إياهم على الجهاد، وطلب إحدى الحسنيين: النصر، أو الشهادة. ووضع خطة عسكرية ناجحة، إذ تسلقت قواته القمم الشاهقة، وفاجأت العدو في القصبة الحمراء بالسبيكة، وعملت فيهم بالسيف، فذهل العدو وولى الادبار، وفر ابن مردنيش وهو يرى اشلاء جنده الممزقة.

ودخل الموحدون المدينة بالتكبير، وخرج المحاصرون من القصبة. وقد اقتفى الموحدون اثر ابن مردنيش وحلفائه، وقتلوا كل من لحقوا به، فأثلج هذا الفتح صدور المسلمين الذين جمعوا كثيراً من الغنائم والأموال(١).

وكان من اهم نتائج هذه المعركة أن أنزلت ضربة قاصمة بابن همشك وحلفائه، لم يكونوا معها قادرين على استعادة قواهم. ومن جهة أخرى أدى هذا النصر الى قدوم

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٩٩.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١١٧، ١١٨.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٨.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٥٢.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٦، وسماها معركة السبيكة.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٧٨ - ٧٩.

؛اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٤٥،

S.P.Scott,History of the Moorish Empire,Vol.11,p.295.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهل المدن والقرى الى غرناطة معلنين البيعة والطاعة.

وعلى أثر ذلك دعم الخليفة أهل الأندلس بزيادة أعطياتهم، لتأليف قلوبهم وجمع الانصار حوله، وأمدهم بالأموال والاسلحة، حتى ملئت القصبات بالقمح والشعير، والملح، والآلات الحربية من الرماح، والدرق، والسيوف والقسي، والسهام والتروس. ورتب أمير المؤمنين الطلبة والحفظة والجند فيها، وقضوا على كل أمل للنصارى بالعودة اليها، وبقيت الاقوات في المخازن حتى عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، حيث وزعت على الموحدين(١) وعامة الناس.

اتخاذ قرطبة مقراً لادارة الأندلس:-

أمر الخليفة بنقل مركز الادارة من اشبيلية الى قرطبة عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م بعد الانتصارات التي تحققت على ابن مردنيش وحلفائه من النصارى، لتعود لها مكانتها، ولتسهيل ملاحقة ابن مردنيش. ونقلت اليها الادارات، كما انتقل إليها أبناء عبد المؤمن: أبويعقوب وأبو سعيد، يصحبهما قائد الجيش يوسف بن سليمان، وأبو اسحاق بن براز، واستقروا بها، وتبعهم الكتاب والشيوخ، والأعيان، وموظفو الدولة(٢).

وهكذا عمرت قرطبة، وعادت اليها مكانتها. واستمرت دعوة الناس إلى التوحيد، كما استمر تعليم وتثقيف رجالات المخزن (الدولة) في الداخل والخارج وفي كل بلد حل بها الموحدون حتى عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م.

وقد استقبل أهل قرطبة ابني الخليفة (أبو يعقوب والسيد ابو سعيد) وقائد الجيش يوسف بن سليمان استقبال الفاتحين وقد سجل ابن صاحب

---

١ - نفس المصادر السابقة.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصلاة[١] أحداث هذا الاستقبال، وكان واحداً ممن وفدوا للاحتفاء به. وبعد ذلك أعيد بناء القصور والعمارات والتحصينات، وعاد الفنيون والمهنيون إلى قرطبة فبرز شبابها بعد هرمها، واستقامت الامور، وساد الأمن. ثم ذهب أبو يعقوب الى المغرب لنقل أخبار النصر الى امير المؤمنين، ثم عاد واستقر في قرطبة التي اصبحت مركز الادارة حتى وفاة ابيه عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[٢]، وأصبحت اشبيلية في تلك الفترة تابعة لها.

لقد أصاب الموحدون باعادة مركز ادارة الأندلس الى قرطبة، واحياء امجادها، كمركز للحضارة والمدنية، وكموقع متوسط سهل المواصلات في كل الاتجاهات، مما مكن الموحدين من تحقيق أهدافهم العسكرية بقطع جميع محاولات ابن مردنيش للزحف جنوباً وغرباً. وكان لهذا الموقع أثره في سرعة وصول الامدادات من المغرب.

وبعد هذا النصر المؤزر في قرطبة، حصر الولاة والقادة الموحدون معاركهم الحربية في الواجهة الشرقية من الأندلس.

عودة أمير المؤمنين الى مراكش واستعداداته للجهاد في الأندلس:-

عاد أمير المؤمنين عبد المؤمن الى مراكش من رباط الفتح بعد أن وصلته أخبار الانتصار في معركة السبيكة على ابن مردنيش وحلفائه، وبدأ عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م استعداداته العسكرية لتولي الجهاد في الأندلس.

فأمر بانشاء الأساطيل في جميع سواحل الدولة البحرية في المغرب،

---

١ - انظر ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٩٨ - ٢٠١.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٨١.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٢، ٢٠٥،

؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ٥٥ - ٥٨؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٦ - ١٤٧.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٤٧.

S.P.Scott,A History of the Moorish Empire,Vol.11,p.298.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وافريقية والأندلس، وقد تم إعداد ما يقرب من أربعمائة قطعة بحرية(١)، وجهز القمح والعلوفات وتجهيزات للعسكر في وادي سبو المعمورة(٢)، وظلت هذه الغلال مكدسة ومحفوظة في مخازنه حتى عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م.

وجلب من افريقية الخيل، واستكثر من الاسلحة، وأمر بضرب السهام في ولايات الدولة حتى بلغت في كل منها عشرة قناطير، فجمع من ذلك ما لا يحصى، وأحضر أنواع الألبسة.

خروج عبد المؤمن بن علي للجهاد في الأندلس:-

استكمل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي استعداداته البرية والبحرية عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، وخرج على رأس الجيش في يوم الخميس الخامس من ربيع الأول من العام نفسه عاقداً العزم على الجهاد في الأندلس. ولما وصل رباط الفخ (سلا) كتب الى ولايات الدولة طالباً إمداده بالمقاتلة فوافاه المتطوعون من بلاد المغرب وافريقية، ومن القبائل العربية المنتشرة هناك. وتجمعت لديه حشود كثيرة حتى أنها امتدت في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس في حلق المعمورة(٣).

١-٢- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١١.

؛ وانظر، ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٠، ٢٠١.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٨١.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٣ - ١٤٤.

؛ اندريه جوليان، تاريخ شمال افريقية، ٢/ ١٤٥.

؛ ارشبيا لويس، القوى التجارية والبحرية في البحر المتوسط، ٣٨٧ - ٣٩٩، ترجمة احمد عيسى، ط القاهرة.

S.P. Scot, A History of the Moorish Empire, vol.2,p.298.

٣ - انظر ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١٣ - ٢١٧.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٠ - ٢٠١.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٣ - ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وصف ابن صاحب الصلاة[١] هذه الاستعدادات بعد أن تكامل الحشد بقوله:

"وكنت ممن احتضنني (الخليفة) فيهم، وسألني عن جزيرة الأندلس، وقال لجميع الشيوخ، (من الموحدين) أشيروا عليّ، كيف تكون هذه الغزوة الى بلاد الروم، فقد عزمنا براً وبحراً، وقد اعلنا فيها نفيراً عاماً وبين لهم أن القوة كاملة الإعداد، فأشار شيوخ الموحدين، وقادة الجيش، بتقسيم الجيش الى فرق عسكرية توجه الى الممالك النصرانية في الاتجاهات المختلفة، وبايعوه على الجهاد.

مرض عبد المؤمن ووفاته:-

عقد الخليفة عبد المؤمن مجلساً عسكرياً مع كبار القادة العسكريين في رباط الفتح سلا، ودرس الخطط الواجب اتخاذها، وأمر بتسيير الجيوش الى جهاتها، التي حددت لها، ولكنه أصيب بمرض مفاجئ، فأشرف عليه الاطباء، بينما كانت الجموع تنتظر شفاءه.

ولما شعر بدنو أجله في الثاني من جمادى الآخرة عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م جمع شيوخ الموحدين، وأمر بخلع ابنه محمد من الخطبة وولاية العهد، مؤكداً لهم أنه بعد أن خبر ابن محمداً وجده لا يصلح لأن يكون خليفته من بعده، وأوصى أن يكون الخليفة ابنه يوسف قائلاً: "وهو أولى بها فقدموه"، فبايعوه، ودعي بأمير المؤمنين.

---

١ - انظر التفاصيل، ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١٣ - ٢١٧، وكان معاصراً للاحداث ومرافقاً للحملة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمكن ابو سعيد عثمان والي غرناطة عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م من الحاق هزائم بابن مردنيش، واحتل مدينتي بسطه والمرية. وكان صهره ابراهيم بن همشك قد تخلّى عنه لخلاف وقع بينهما وانضم للموحدين. وبدأ يفقد التأييد من أنصاره، الذين عارضوه لكثرة الضرائب التي فرضها لتمويل القوات النصرانية المتحالفة معه. وطلب ابن همشك من الخليفة ابي يعقوب يوسف عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، امداده بالقوة العسكرية لمحاربة ابن مردنيش، فدعمه، واحتل لورقه، وجزيرة شقر، وتقدم نحو مرسيه، وفرض عليها الحصار. ويبدو أن قوات الممالك النصرانية المتحالفة معه لم تقدم له العون، وظلت ضمن حدودها متجنبة مواجهة الموحدين لتعاظم قوتهم، وانضمام المناطق المحيطة بمرسيه وبلنسية اليهم.

وقدم أبو يعقوب يوسف في هذا العام الى الأندلس، ونزل باشبيلية، فاستقبلته الوفود والأعيان والولاة.

وقد حاول ابن مردنيش استعادة ما فقده من امارته في شرقي الأندلس التي شملت منطقتي مرسين وبلنسية حتى المرية جنوباً ففشل وتوفي في مرسيه عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٠م، إلا ان ابنه أبا الغمر الهلال الذي تولى بعده أعلن الطاعة للموحدين، وبذلك تم توحيد الأندلس(١).

وتذكر المصادر أن ابن مردنيش وصى أولاده(٢)؛ ومنهم هلال الذي تولى الحكم بعده بالتوجه إلى أبي يعقوب يوسف، وربما فعل ذلك لأنه فقد الانصار والمؤيدين، ولم تعد له القدرة على مواجهة الموحدين وخاصة بعد أن لزمت

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٠٦، ٤٠٧؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٨٢، ٩٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٦٨، المراكشي، المعجب، ٢٢٢؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/ ١٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٠؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١١٤؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢١١؛ ابو رميله، علاقات، ١٢٩؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ٢/ ١٤٧.

٢ - انظر، ابن الاثير، الكامل ٩/ ١١٤؛ ابن خلدون، العبر ٦/ ٢٤٠؛ السلاوي، الاستقصا، ٢/ ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمكن ابو سعيد عثمان والي غرناطة عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م من الحاق هزائم بابن مردنيش، واحتل مدينتي بسطه والمرية. وكان صهره ابراهيم بن همشك قد تخلّى عنه لخلاف وقع بينهما وانضم للموحدين. وبدأ يفقد التأييد من أنصاره، الذين عارضوه لكثرة الضرائب التي فرضها لتمويل القوات النصرانية المتحالفة معه. وطلب ابن همشك من الخليفة ابي يعقوب يوسف عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، امداده بالقوة العسكرية لمحاربة ابن مردنيش، فدعمه، واحتل لورقه، وجزيرة شقر، وتقدم نحو مرسيه، وفرض عليها الحصار. ويبدو أن قوات الممالك النصرانية المتحالفة معه لم تقدم له العون، وظلت ضمن حدودها متجنبة مواجهة الموحدين لتعاظم قوتهم، وانضمام المناطق المحيطة بمرسيه وبلنسية اليهم.

وقدم أبو يعقوب يوسف في هذا العام الى الأندلس، ونزل باشبيلية، فاستقبلته الوفود والأعيان والولاة.

وقد حاول ابن مردنيش استعادة ما فقده من امارته في شرقي الأندلس التي شملت منطقتي مرسين وبلنسية حتى المرية جنوباً ففشل وتوفي في مرسيه عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٠م، إلا ان ابنه أبا الغمر الهلال الذي تولى بعده أعلن الطاعة للموحدين، وبذلك تم توحيد الأندلس(١).

وتذكر المصادر أن ابن مردنيش وصى أولاده(٢): ومنهم هلال الذي تولى الحكم بعده بالتوجه إلى أبي يعقوب يوسف، وربما فعل ذلك لأنه فقد الانصار والمؤيدين، ولم تعد له القدرة على مواجهة الموحدين وخاصة بعد أن لزمت

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٠٦، ٤٠٧؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٨٢، ٩٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٦٨، المراكشي، المعجب، ٢٢٢؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/ ١٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٠؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١١٤؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢١١؛ ابو رميله، علاقات، ١٢٩؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ٢/ ١٤٧.

٢ - انظر، ابن الاثير، الكامل ٩/ ١١٤؛ ابن خلدون، العبر ٦/ ٢٤٠؛ السلاوي، الاستقصا، ٢/ ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبقيت الجزر تتمتع بالأمن والاستقرار حتى اصبحت موئلاً للعلماء والفقهاء والادباء[١] الذين لجأوا اليها من المغرب والأندلس بعد انتهاء الدولة المرابطية.

وقد لعب أبناء غانية دوراً كبيراً في الحياة السياسية والعسكرية في ظل الدولة المرابطية في الأندلس ضد الممالك النصرانية في البر والبحر، وتمكن الأسطول المرابطي في عهدهم من فرض سيطرته على غرب البحر المتوسط متخذاً من الجزر مركزاً للدعم والحماية والإسناد، وتتبع الأساطيل الأوروبية التي تعبر الأطلسي الى المتوسط عبر مضيق جبل طارق في طريقها الى الشام وتدميرها[٢]. ففي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م أوقع الأسطول المرابطي خسائر فادحة بأسطول صليبي من الانجليز والألمان في مدخل جبل طارق.

وبقيت القوات المرابطية تتصدى للقوات النصرانية براً في الأندلس، وبحراً في المتوسط حتى ضعفت الدولة المرابطية، وظهرت المعارضة والفتن والاضطرابات وخاصة بعد مقتل الامير تاشفين بن علي، عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، وكان لذلك كله آثاره السلبية على جزر البليار[٣]، وذلك لقيام الطامعين بالسلطة والحكم بالخروج على المرابطين في وقت اشتد فيه عدوان الممالك النصرانية بالتعاون مع الحشود الصليبية لجنوه والبندقية وبيزه، ويمثل هذا الخروج: ثورة ابن قسي، وثورة العامة في اشبيلية، وابن حمدين في قرطبة وذلك بين عامي ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م - ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م[٤].

---

١ - ابن عذارى، البيان، ٤/ ٦٢، ٨٣؛ المراكشي، المعجب، ٢٢٦؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ط فلالي، ٨١؛ ابن خلدون، العبر، ٤/ ٣٥٨؛ المقرى، نفح الطيب، ٣/ ٢٢٠، الجزر، ٣٣١.

٢ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٣٢٠؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ١٠٣؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٣؛ ابن خلدون، العبر، ٤/ ٣٥٨، ٦/ ٥٠٦؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٤٥.

٣ - ابن عذارى، البيان، ٤/ ١٠٣، ١٠٤؛ المراكشي، المعجب، ٢٧٧، ابن الاثير، الكامل، ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٤٥، اعمال الاعلام، قسم الاندلس، ٢٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٣٨٨.

٤ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، قسم الاندلس، ٢٤٨ - ٢٥٢؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٤٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٣٢٠؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٦؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعركة الفاصلة بين الموحدين والمرابطين - وأثرها على المغرب والأندلس -:-

تمكن الموحدون عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م من هزيمة المرابطين بقيادة أمير المسلمين تاشفين بن علي في سهل تلمسان، وأوقعوا بهم أكبر الخسائر، وفرضوا حصاراً على وهران التي كان أمير المسلمين قد حاول الفرار إليها والمكوث فيها حتى يصله الأسطول المرابطي، بقيادة محمد بن ميمون، إلا أن قوات الموحدين حالت بينه وبين الفرار، فتردى بفرسه عن حافة صخرية فمات، وعاد الأسطول الى المرية(١). وقد أدى ذلك الى انهيار الدولة المرابطية، وانتشار الثورات والفتن على يد الطامعين بالحكم في الأندلس، ومنها ثورة ابن حمدين في قرطبة، الذي دخل قصر يحيى بن غانيه مستغلاً خروجه لإخماد ثورة ابن قسي. وأما محمد ابن غانية فبقي يتنقل في الأندلس بينما الفتن تتزايد، ودعوة المصامدة (الموحدية) تنتشر، فلما اشتد خوفه، أتى مدينة دانيه، وعبر الى جزيرة ميورقه في حشمه وأهل بيته، وملك جزيرتي ميورقه ويابسه(٢).

وتجمع آل غانيه في الجزيرتين، وشكلوا قوة ردع بحرية ضد الموحدين، وراحوا يرقبون الأحداث التي تجري في المغرب. ولما لجأت القوات المرابطية المنهزمة الى الجزر عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، رحب بها ابن غانيه، وضمها الى قواته لتقف جميعها أمام الخطرين: الصليبي، والموحدي.

وفي عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، تمكنت قوات صليبية (لجنوه والبندقية وبيزه) مدعومة من البابا انوسنت الثالث والفونس السابع ملك ليون وقشتالة وقطلونيه من احتلال المرية، وكان لذلك أثر على ثغور الساحل الشرقي للاندلس. ثم

---

١ - المراكشي، المعجب، ٢٧٧.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٣/ ٢٤٥، وما بعدها، ٤/ ٣٤٥.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣١.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٠٥.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٣٢ - ١٣٣.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٩٨.

٢ - المراكشي، المعجب، ٣٤٣؛ وانظر، ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٤٥.

؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سقطت طرطوشه عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وسقطت المهدية عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م في افريقية بيد القوات الصليبية الصقلية(١)، إلا أن جزر البليار (الجزائر الشرقية) بقيت صامدة أمام هجمات اساطيل الممالك النصرانية في الأندلس والامارات الاوروبية(٢).

بنو غانيه واحداث الاندلس ٥٣٩هـ-٥٤٣هـ/ ١١٤٤م-١١٤٨م:-

تصدى بنو غانية للاحداث على ثلاث جبهات:-

الأولى: الفتن والاضطرابات بعد مقتل أمير المسلمين المرابطي تاشفين عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م.

الثانية: غزو الفونس السابع ملك أرغون وقشتاله وليون لقرطبه عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م.

الثالثة: القوات الموحدية التي بدأت تتسرب بنفوذها ودعوتها، إلى شريش والجزيرة الخضراء وقادس.

إلا أن فتح ثلاث جبهات في آن واحد شتت قوة المرابطين وأضعفها، وسهل على الممالك النصرانية الزحف نحو المناطق الاسلامية: مرسين وبلنسيه وميورقه، كما سهل على القوات الموحدية ودعوتهم التغلغل في الأندلس.

وتمكن ملك البرتغال الفونسو الأول عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م من احتلال إشبونه، بمساعدة الاسطول البحري لانجلترا وهولندا والمانيا المتجه نحو الشام، ولم يستطع ابن غانيه الوقوف أمام هذا التحالف الصليبي(٣)، فاضطر الى التفاوض(٤) مع القائد الموحدي براز بن محمد المسوفي باشبيلية وتسليمه قرطبه، مقابل تعهد خطي من الخليفة، بإعطائه الأمان، وضمان بقاء جيان له(٥)، فوافق الخليفة، وتسلمها الموحدون عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م.

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٣٦؛ المقرى، نفح الطيب، ٤/ ٤٦٣.

؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٢٤.

٢ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٣٨٩.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٩٨؛ أشباخ، تاريخ المرابطين والموحدين في الاندلس، ٢٢٤.

٤ - ابن الخطيب، الاحاطة، ٣٤٥؛ أشباخ، تاريخ المسلمين، ٢٢٤ وما بعدها.

٥ - ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٧٤ وما بعدها؛ جيان/ مدينة حصينة في الأندلس تقع على جبل مرتفع ولها قصبة منيعة وأرضها خصيبة، الحميري، الروض المعطار، ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجه يحيى بن غانيه عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م الى غرناطة، آخر معاقل المرابطين. وهناك أوصاهم - كما يذكر ابن الخطيب(١) - بقوله: "الأندلس درقة وغرناطة قبضتها، ان جشتم ما معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم"، وبقيت غرناطة القوة المناصرة للجزر التي تعترف بسيادة الخلافة العباسية، والتي عمل محمد بن غانية على تحصينها، وأوجد لها قوات برية وبحرية ضاربة استطاعت التصدي للقوات الأوروبية البحرية المتحالفة من قطلونية وأرغون وبيزه وجنوه، ويدعمها البابا انوسنت الثالث. ووصلت اليها عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م قوات مرابطية منهزمة من الأندلس والمغرب، فزادت في منعتها وقوتها(٢)، مما أدى الى منع القوات الصليبية المتجهة نحو المشرق الى سواحل بلاد الشام من مواصلة رحلاتها. وساد في تلك الجزر الأمن والازدهار الاقتصادي.

وتوفي محمد بن غانيه عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٧م وتولى ابنه اسحاق امرة الجزر، وفي عهده لجأ قائد البحر لب بن ميمون الى الموحدين بسبب اضطهاد آل غانيه له(٣). وتمكن الموحدون من ضم غرب الأندلس، ووسطه، وجنوبه. كما أن القائد المرابطي في غرناطه عرض تسليم المدينة بتعهد خطي من الخليفة بالأمان، فأجيب طلبه، حيث أمر الخليفة ابنه سعيداً والي سبتة، وقائد البحر عبد الله بن سليمان بتسلم المدينة،

---

١ - ابن الخطيب، الاحاطة، ١/ ٩٧، ٤/ ٣٧٤.

؛ وانظر، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٨٥

؛ ابن عذارى، القسم الموحدي، ٣٢٠.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٤، ط فلالي

؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٤.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ٤/ ٣٥٠.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٠٠

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٣٨٩

؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٤

؛ أشباخ، تاريخ المرابطين والموحدين، ٣١٨

٣ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما توجهت القوات المرابطية في غرناطة الى جزيرة ميورقه(١).

وفي الجزر حقد الناس على اسحق لإهمال الجهاد والنزوع الى الترف وبناء القصور، فاستغل وجود القوات المرابطية، واعلن الجهاد لإرضاء الناس، وحشد قوات بحرية لغزو قطلونية وجنوب فرنسا، وسردانيه، وصقلية، وغرب ايطاليا.

وقد وصف المراكشي(٢) غزوه بقوله (وأقبل الى الغزو، وصرف عنايته اليه، فلم يكن له هم غيره، فكان له في كل سنة سفرة أو سفرتان إلى بلاد الروم يغنم ويسبي وينكي بالعدو أشد نكاية، الى ان امتلأت أيدي أصحابه أموالاً، فقوي بذلك أمره وتشبه بالملوك، ولم يزل هذا حاله حتى توفي عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٤م).

وحرر الموحدون المرية عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وقد عجزت قوات التحالف النصراني وابن مردنيش عن نجدتها(٣)، وأصبح للاسطول الموحدي قاعدة بحرية مهمة تطل على حوض المتوسط الغربي(٤). ولكن يبدو أن الموحدين لم يفكروا في ضم الجزر في هذه المرحلة، لأن صراعهم مع ابن مردنيش المتعاون مع العدو الصليبي وامارته في شرق الأندلس ذات الأهمية الاستراتيجية باشرافها على الاتصال البحري، صرفهم عن الاحتكاك بالجزر، وبذلك يكون قد شكل سداً منيعاً أمامهم للوصول الى ثغور شرق الأندلس وبقي كذلك حتى عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٣م.

وأما ابن غانية فقد خشي الموحدين الذين أخذت قواتهم البحرية تجوب البحر من صقلية حتى غرب المتوسط، وتقوم بعمليات حربية ضد السفن الاوروبية المتجهة نحو المشرق الاسلامي، او تدعم ابن مردنيش، وقد كان لموقفها ضد السفن

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ٢/ ١٥٤، ط فلالي.

٢ - المراكشي، المعجب، ٣٤٤، ٢٤٥.

؛ الغبريني، عنوان الدراية، ٧٦.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٢٣،

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٣٢٠.

٤ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٣٢.

؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوروبية أثر كبير على مساندة المسلمين في مصر والشام(١)، حتى أن ملك صقلية طلب عقد معاهدة صلح مع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م(٢)

ومن جهة أخرى، كان أسطولهم يدخل إلى جزر سردانية وصقلية وغرب إيطاليا وجنوب فرنسا، ويأتي بالسبي الكثير(٣).

ولعبت أساطيل الجزر دوراً كبيراً في غزو الثغور الاوروبية، وترددت سفنها على ثغر بجايه لبيع الرقيق من السبي، وتعاون أسطولهم مع الأسطول المرابطي وأدى الدور نفسه الذي قام به الموحدون من هزيمة الاساطيل الاوروبية واعاقة مسيرها نحو الشرق الاسلامي مما مكن نور الدين زنكي من تحقيق انتصارات برية وبحرية على الصليبيين في ثغور مصر والشام(٤).

وكذلك كان للدور الفاعل الذي لعبته أساطيل الغزاة للجزر، وأساطيل الموحدين في قطع الطرق البحرية على أساطيل أوروبا المتجهة نحو الشرق الاسلامي اثر بارز فيما حققه صلاح الدين من الانتصار براً وبحراً على الصليبيين، والانتصار في معركة حطين(٥)، عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

ولم يترك الموحدون فرصة الا وانتهزوها لدعوة آل غانية للدخول في طاعتهم، وتوحيد قوة المسلمين وكلمتهم، الا أنهم لم يمتثلوا للدعوة، لاشتغال الموحدين بابن مردنيش وتحرير افريقية من النفوذ الصليبي الصقلي، الا أن آل غانيه بعد ضم الموحدين شرق الأندلس، وافريقية عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م بدأوا يشعرون بالخطر، فأرسلوا الهدايا الى الموحدين عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، وبقوا على

---

١ - مجهول، الاستبصار، ١٢٨؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٤١؛ التيجاني، الرحلة، ٢٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥٠٦؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٣٧؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٦؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٠؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ٩٢؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٣٥١، ٤١٢، ٤١٤.

٢ - المراكشي، المعجب، ٣٢٥، وانظر؛ العبادي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ٩٠ وانظر ابن الاثير، الكامل ٩/ ١٥٢.

٣ - الغبريني، عنوان الدراية، ٧٦؛ وانظر المراكشي، المعجب ٢٤٥، ٣٤٤.

٤ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٣٠١، ٣٠٤، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٧١، ٣٧٤؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٢٢٠.

٥ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٤٠٢ - ٥٤٢، الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ٥٨؛ عاشور، الحركة الصليبية، ٧٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك حتى وفاة اسحاق بن محمد بن غانيه عام ٥٧٩هـ[١]/ ١١٨٣م، حيث خلفه ابنه علي الذي قام بمهاجمة بجايه مركز الحكم في المغرب الاوسط[٢].

وقيام ابن غانيه بفتح جبهة لقتال الموحدين كانت له خطورته في تبديد قوة المسلمين، واضعافها، ودفع الدول الاوروبية الى توحيد قواتها البحرية لخرق الحصار البحري المفروض في غرب المتوسط وشرقه.

وقد شعر الخليفة يعقوب (عرف بالمنصور) الذي تولى الخلافة بعد استشهاد ابيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء جهاده النصارى في شنترين عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م بخطورة الوضع في افريقية، فقاد قوات برية وبحرية، وهاجم ابن غانية الذي فر الى الصحراء مع بعض القبائل العربية المؤيدة له، وتحالف مع شرف الدين قراقوش أحد قادة صلاح الدين بمصر، واتفقا على اقتسام المغرب، وتمكنا من السيطرة على طرابلس وجبل نفوسه وتونس، مؤكداً ولاءه للخليفة العباسي الذي اوعز الى صلاح الدين أن يناصره[٣].

---

١ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥٠٦؛ المراكشي، المعجب، ٢٤٤، ٣٤٤.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٢٠؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٣٨؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٥٠٥؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ١٤؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ١٣١؛ السراج الوزير، الحلل السندسية، ٤/ ٩٩٢؛ الرميله، العلاقات، ١٤٧.

٢ - الحميرى، الروض المعطار، ١٧٧.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٢.

؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٥٠٧.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٣.

؛ الغبريني، عنوان الدراية، ٧٧.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٣٤.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٣٨٩؛ مجهول، الاستبصار، ١١٠؛ التيجاني، الرحلة، ١١١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٩١، ٢٤٣؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٣/ ٥٣؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حاول الخليفة يعقوب المنصور التصدي لهذا التحالف بين ابن غانية وقرقوش، غير أن قواته هزمت في معركة سهل عمرة عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م(١)، ولكن الخليفة الموحدي تمكن من جر قوات التحالف الى الحمة في الجنوب بعيداً عن مركز امداداتهم فهزمهم، ودخل قفصه وتوزر، واستولى على غنائم كثيرة، واقتص من القبائل التي قدمت لهم العون، وما لبث قراقوش اثر ذلك ان دخل في طاعة الموحدين(٢).

وفي عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م توفي علي بن غانيه، وخلفه أخوه يحي الذي حارب قراقوش قرب طرابلس، ودخل قابس بعد وصول الامدادات العسكرية من أخيه حاكم ميورقه(٣).

واستولى ابن غانيه على المدن الإفريقية: تونس، والقيروان، وسفاقس، ... عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، وهزم قوات الموحدين بقيادة الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن قرب قسنطينه(٤)، واصبح حاكم افريقية بلا منازع(٥).

---

١ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢١٦؛ التيجاني، الرحلة، ١٦٢؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٥٢١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥٠٩؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٦٠.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٠٣؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٤

؛ المؤلف مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ١٥٥، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٧؛ ابن القنفذ، الفارسيه، ١٠٣؛ رسالة رقم ٣١، من رسائل الدولة الموحدية، ١٩٦؛ اندريه جوليان، تاريخ شمال افريقيه، ٢/ ١٤٤؛ ابو رميله، العلاقات، ١٦٣.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٩٤؛ المرزوقي محمد، قابس، ١٨٩.

٤ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢١٣.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٩٣؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥١٩

٥ - المراكشي، المعجب، ٢٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٤٨، ٥٠١، ٥٠٩

؛ ابن الساع، الجامع المختصر، ٢١١، تحقيق مصطفى جواد، ط الكاثوليكية ١٩٣٤؛ السراج الوزير، الحلل السندسية، ٢٥٥ وما بعدها.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٤٦؛ سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي خضم انتصارات ابن غانية في افريقية، حصلت تطورات في الجزر، حيث خرجت جزيرة ميورقه على ابن غانية بزعامة علي بن الربرتير، السفير الموحدي، وساعده حاكم الجزيرة محمد بن غانية بمؤازرة الجند، وأعلن الحكم باسم الموحدين، ثم سرح كثيراً من الجند، فعادوا الى ديارهم(١)، إلا ان مدة حكمه لم تطل، فعندما عاد عبد الله بن غانيه من افريقية الى الجزر، فر محمد الى الأندلس، فولاه الموحدون على مدينة دانيه(٢). وقد حاول الخليفة الموحدي استعادة الجزر بإرسال قوات بحرية كبيرة الا أنه فشل بسبب تقدم القوات البحرية التي أرسلها ملك أرغون بدرو الثاني تأييداً لأهل ميورقه(٣).

وأما جزيرتا يابسة ومنورقة فقد فشل عبد الله باستعادتهما من أيدي الموحدين الذين بسطوا سلطتهم عليهما منذ عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

وأدرك الخليفة الناصري أن بقاء بني غانية في افريقية مرتبط بوصول الامدادات من جزيرة ميورقه، لذلك وضع خطة لضمها، فأمر الاسطول الموحدي في دانية بالتحرك الى جزيرة يابسه، ومنها تقدم واحتلها، وقتل عبد الله بن غانية على يد عمر المقدم الكردي(٤)، وقطع الخليفة الامدادات عن بني غانيه في افريقية، وتقدمت قوات الموحدين البرية والبحرية وخاضت معارك ضارية بين ٦٠١هـ - ٦٣٠هـ/ ١٢٠٤م- ١٢٣٢م، وأنزلت الهزائم القاصمة بقوات بني غانية، وأعيدت

---

١ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٤٦.

؛ سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ٣٦٧.

٢ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ١٥٦، ٢٠٨؛ المراكشي، المعجب، ٣٥١، ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥٧٩؛ ابو رميله، العلاقات، ١٧٥.

٣ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٥٧، ١٦٩، ٢١٦،

؛ ابن خلدون، العبر، ٣/ ٣٩٦، ٥١٦؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٨

؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ٣٦١.

٤ - رسالة رقم ٣٦، من رسائل الدولة الموحدية الصادرة عن الديوان المؤمني ٢٣٥ - ٢٤٥.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢١٦، ٢٤٠.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبعيـة افريقية للدولة الموحدية، وبذلـك قضي على آخر المعـاقل التي كانت تتبع الدولة المرابطية، وتعلن الخطبة للخليفة العباسي، وضمـت الى الدولة الموحدية(١).

لقـد أسفرت العلاقات الـدامية بين الموحدين وبين بني غـانية الـذين كانوا على ولاء للـدولة المـرابطية بعـد وفاة عبد المؤمن عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م وأحداثهـا، عـن إهـدار طـاقات بشـرية ومادية كبيرة، في الـوقت الـذي كـان العـدو الصليبي الاوروبي يرقـب الأحداث، ويجهّـز قـواته لانزال ضـربة سـاحقة بالمسلمين. وأتاحت هـذه العلاقات المتسمة بالتنافر والصراع المستمر فرصة ذهبيـة للنصارى الاوروبيين، حيـث كانت الامدادات التي يرسلـونها الى الامارات الصليبيـة في المشـرق الإسلامي تصل الى تلك الإمارات دون ان يعترضها أحد.

---

١ - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٤٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٩٧.

؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ١٤.

؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٩.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٢٠٧، ٢١٧.

؛ أبو رميله، علاقات، ١٨١.

؛ سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ٣٩٨ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

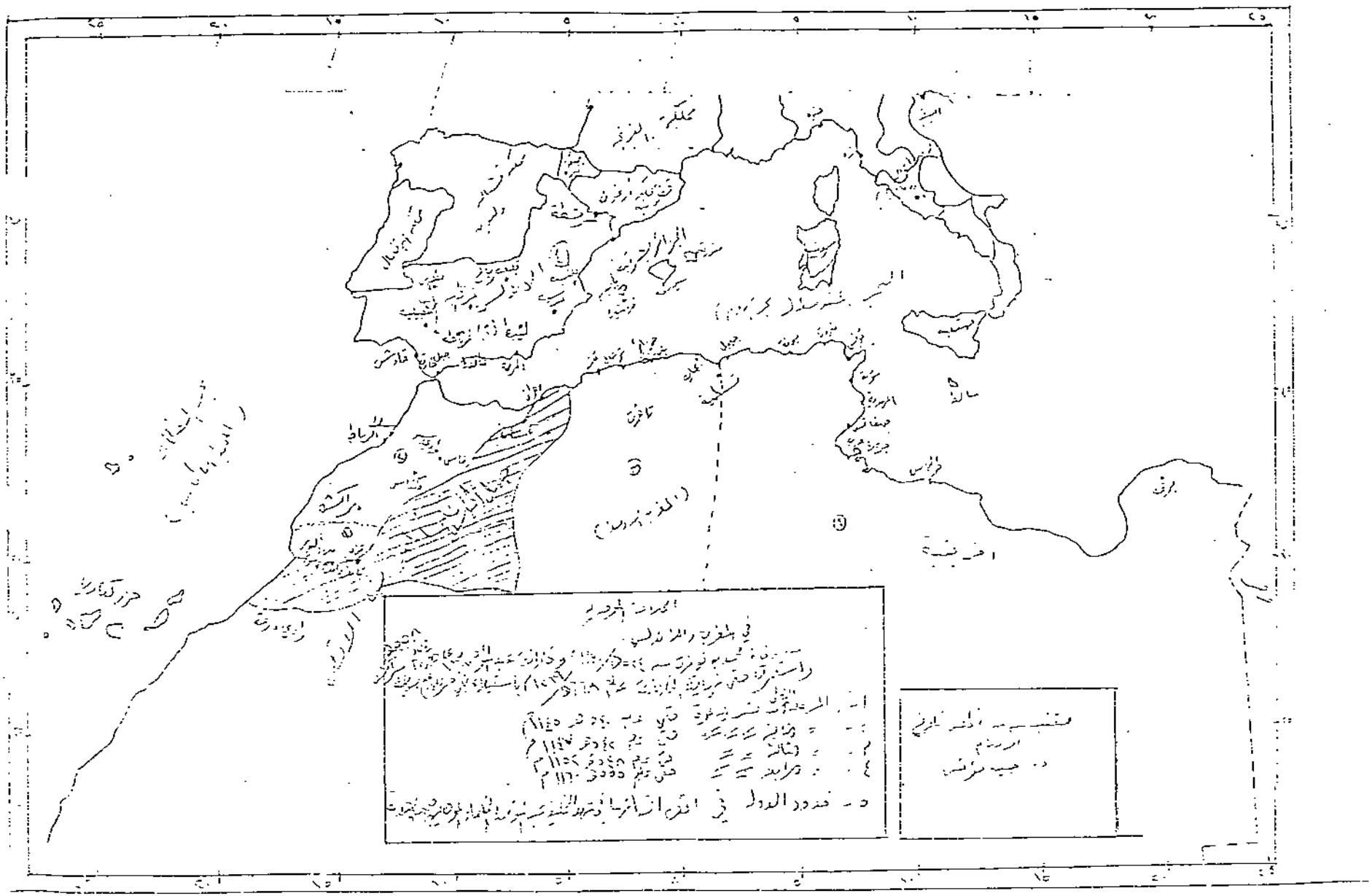

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع
أنظمة المجتمع

- التنظيم السياسي والاداري وتنظيم المجتمع
- التنظيم الحربي
- التنظيم الاقتصادي
- دور العرب في الحياة الاقتصادية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنظمة المجتمع

أحدث الخليفة عبد المؤمن بن علي تغييراً جذريا في أنظمة المجتمع الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفق منهج الدعوة الموحدية التي وضعها ابن تومرت وذلك بعد انتهاء وجود الدولة المرابطية في المغرب والاندلس، وتسلمه لمقاليد الأمور بإقامة الخلافة الموحدية .

نظام الحكم

التنظيم السياسي والاداري:-

الخلافة الموحدية:

ظهر الموحدون بزعامة محمد بن تومرت بدعوة التوحيد، وبويع بالامامة عام ٥١٥هـ-١١٢١م.(١) ورشح للخلافة من بعده تلميذه عبد المؤمن، الذي بويع بالخلافة عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م(٢). وتعتبر هذه محاولة لنقل الحكم وفق فهم سياسي وشرعي قائم على دعوة التوحيد بالرجوع الى القرآن والسنة مصدري التشريع، وتبنى تلك الأفكار الحزب الموحدي الذي عمل على اقامة الخلافة وتوحيد العالم الاسلامي، وقد أدرك ابن تومرت هذا الفهم، اثر رحلته العلمية الى المشرق الاسلامي والى بغداد بين عام ٥٠١هـ - ٥٠٩هـ / ١١٠٧م - ١١١٥م، حيث التقى

---

(١) - البيذق، اخبار المهدي، ٧٣، ابن الاثير، الكامل، ٢٩٦/٨

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٠٨ وذكر بايعناه على ما بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نكون يدا على القتال والدفاع.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٦،

؛ ابن خلدون، العبر، ٢٢٨/٦؛ الناصري، الاستقصا، ٨٦/٢-٨٧

(٢) - ابن القطان، نظم الجمان، ١٦٨؛ ابن عذارى، البيان، ٣١٢/١

؛ ابن خلدون، العبر، ٢٢٩/٦؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٩٨/٨-٢٩٩

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١٣؛ البيذق، اخبار المهدى، ٨٣

؛ الناصرى، الاستقصا، ٩١/٢، ١٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالامام الغزالي، وأبي بكر الشاشي، والكياهراسي، وأخذ عنهم. وأدت هذه الرحلة الى نضوجه الفكري، وتحسسه لواقع المسلمين السياسي، وضعف الخلافة العباسية في بغداد، وسقوط بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م بيد الصليبيين، واقامة امارات صليبية في الرها عام٤٩٠هـ/١٠٩٦م، وانطاكية عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م، وطرابلس ٥٠٢هـ/١١٠٨م.(١)

وشاهد ابن تومرت ما كان عليه أهل مكة(٢) من بدع، وصراع فكري بين الشيعة والسنة، واتباع أساليب مشينة كالغش واحتكار السلع مع الحجاج، فأخذ ينتقد الأوضاع، ووضع منهجا سياسيا للحكم والتغيير بالدعوة الى التوحيد، والعودة الى الأصول والابتعاد عن التقليد الذي يؤدي الى الجمود، والعمل على إعادة الناس الى الحياة الاسلامية، وتبصيرهم بالامور، وذلك باقامة خلافة قوية.

وأوجد حزب التوحيد كحزب سياسي مبدؤه الاسلام يسعى لإقامة الخلافة وتطبيق الاحكام الشرعية(٣). فلما تبلورت الفكرة، عاد الى المغرب عام ٥١٠هـ/١١١٦م عن طريق مكة المكرمة حاجا حيث بدأ الدعوة. وفي طريق عودته أوجد في القاهرة والاسكندرية مجموعة تحمل أفكاره، وفي العام نفسه وصل الى طرابلس الغرب متخذا من المساجد أماكن لنشر الدعوة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقد المناظرات الفقهية لإحداث التفاعل الحيوي والحركي لدعوته بين العامة والخاصة.(٤)

---

(١) - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٣٥ وما بعدها

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ابن خلدون، العبر، ٥/١٨٤-١٨٥، وذكر ان حملتهم على الشرق كانت بتحريض من العبيدين لما استفحل أمر السلاجقة وانتزعوا منهم بلاد الشام

؛ ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥/١٩٨

؛ابن العبرى، مختصر تاريخ الدول، ٩٦

؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٥٥-١٥٦

؛ مجهول، الحلل الموشية، ٨٩

(٢) انظر، ابن الاثير الكامل، ٨/٢٩٤؛ المراكشي، المعجب ٢٦٧؛ ابن القطان، نظم الجمان ٢٩؛ ابن خلكان وفيات الاعيان ٥/٤٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب؛ الناصري، الاستقصاء ٢/٧٩٧٨؛ العبادي، دراسات في تاريخ العرب الاسلامي ١٠٥، ١٠٦

(٣) انظر ملحق رقم ٤

(٤) ابن الاثير، الكامل، ٨/٢٩٤؛ المراكشي، المعجب ٤٧، ٢٤٦؛ ابن القطان، نظم الجمان ٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعقد له أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش مجلسا فقهيا مع كبار فقهاء المالكية مالك بن وهيب ومحمد بن الاسود، فتفوق عليهم، وأصبح ذكره على كل لسان، وراح يدعو علانية الى تغيير نظام الحكم. ولما اشتد عليه الأذى، انتقل الى قبيلة مصموده وأهله في ايجليز، فوجد الامان والنصرة، وتعبد في غارها وبويع بالامامة فيها، وهاجر الى تنملل التي عرضت عليه النصرة. وكان محور دعوة ابن تومرت الأخذ بالتأويل ونفي الصفات والتشبيه عن الخالق، وهاجم المرابطين واتهمهم بالشرك والتجسيم.(١)

واتخذ لقب الامام المهدى المعصوم لاغراض سياسية وفكرية ودينية ليقنع العامة واتباعه بأنه لا يخطىء، ونجحت دعوته في المغرب لوجود تربة صالحة لورود أحاديث عن المهدى، وانتشارها بينهم منذ ايام الفاطميين، وأن المهدى سيعيد الحق والعدل، ويقطع دابر الظلم.

واعتبر الموحدون أنفسهم أحق بالخلافة لأنهم مؤمنون وأن الامرة فيهم، وذكر المراكشي: "أن المهدى حين أمّر عبد المؤمن على الجيش قال، أنتم المؤمنون، وهذا أميركم، فاستحق عبد المؤمن بذلك لقب أمير المؤمنين"(٢)

ولاضفاء الصفة الشرعية على الدولة، أثبت ابن تومرت، وعبد المؤمن(٣) أنهما من أصل عربي، ونسب قريس ولعل ذلك يرتبط بمفهوم الخلافة وشروطها. ويبدو ان ابن تومرت كان يريد التقرب من الشيعة البجلية بالسوس لدعم دعوته على أمير المسلمين، وهو بربري من هرغة.

بينما تقرب عبد المؤمن بن علي وأبناؤه من القبائل العربية: بني هلال ورباح وزغبة والاثبج، ودعوهم بأبناء العمومة وأكدوا أنهم يجتمعون معهم بقيس عيلان.(٤) وقد استقدم الخليفة عبد المؤمن القبائل المذكورة اضافة الى قبيلتي رباح

---

(١) - رسالة رقم ٢،١ من٤ ١-١٧؛ البيذق، أخبار المهدى، من رسائل المهدى. وانظر الملحق رقم ٢،١

(٢) - المراكشي، المعجب، ١٩٢-٢٠١

(٣) انظر الزعبي، مقتبس الانساب، ٢١؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٩٤/٨؛ مجهول، الحلل الموشية ٧٥؛ ابن خلكان وفيات الاعيان ٤٥/٥.

(٤) - ابن الخطيب، الاعلام، القسم الاندلسي، ٢٤٦.

؛ ابن صاحب الصلاة، ١١٢،١٧٢،٤١١

؛ وانظر، الفصل الثاني من البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدي الى المغرب، حيث توزعوا هناك، وصبغوا المنطقة بالصبغة العربية. واعتبرت اللغة العربية اللغة الرسمية، ولكن من الواضح أن ما جذب المغاربة هو الدعوة الموحدية وفكرها ومنهجها الذي يسّر القيادة الفكرية لحملها، وقد اعتبر عبد المؤمن بحق حامل لواء الخلافة.

وحينما التقى عبد المؤمن بوفود الاندلس في مدينة الفتح عام ٥٥٧هـ/١١٦١م سطروا الحدث التاريخي شعرا وأدبا(١)، وذاع ذكر الموحدين وانتشر في المشرق في (مصر، ومكة، وبلاد الشام) حتى كان الناس يترقبون الخلاص على أيديهم لما كانوا يعانون من الظلم وخاصة في مكة المكرمة ومصر التي كان يحكمها الخليفة الفاطمي العاضد، وأسقط الفقهاء في الاندلس فريضة الحج لهذا السبب، وتمنوا تخليصها بأنصار الدين وحزب الله أهل الحق الموحدين.(٢)

وظهر مقدار الظلم والفساد في مكة المكرمة، وضعف الحكم والتسلط بانهم كانوا "يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة، ويستجلبون اموالهم بكل حيلة وسبب، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها"(٣).

وانتظر الناس في مصر قدوم الموحدين بفارغ الصبر لوجود الفراغ السياسي في الحكم وهيمنة الصالح بن رزيك على الحكم وتنصيب صغار السن للخلافة كالعاضد بن محمد بن عبد الله بن يوسف، وتحدثوا سرا وعلنا مؤيدين للموحدين، كما جرت بعض الاحداث، ترقبوا على أثرها فالا حسنا(٤) بقرب تملك الموحدين لهذه البلاد، حتى أن بعض الفقهاء في الاسكندرية حضّر خطبة ليتلوها بين يدي أمير المؤمنين.

وذكر المؤرخون ان ابا الوليد القرطبي وفد مصر فارا من عبد المؤمن ودولته، ثم خاف من استيلائه على مصر، فقدم الحجاز، فخشي أن يحج، فانتقل الى اليمن، وخشي أن يصل الى اليمن، ففكر بالرحيل الى الهند، فمات في زبيد(٥)، حتى أن عمارة اليمني الذي عاش في أواخر العصر الفاطمي ضرب مثلا لمجرى الاحداث في عصره، بقوله:

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٤٠-١٥٢

(٢،٣،٤) - ابن جبير، الرحلة، ٤٩، ٥٠، ٥١

(٥) - ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب، ٣٢٢

؛ المقرى، نفح الطيب، ٤٣٥/١، ٤٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته ... كما يقول الورى لحما على وضم
وقد ترقى الى أن امسكت يده ... من الكواكب بالانفاس والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل ... سعى الى دعوة من سيد الامم (١)

واستطاع عبد المؤمن ان يضع اللبنات الفكرية الأساسية لدولة الخلافة الموحدية في المغرب، ثم نشر أفكارها، وأوجد المؤيدين لها في كل مكان(٢). واستمرت فكرة وحدة المسلمين يتبناها الخلفاء الموحدون ويعملون على تحقيقها حتى أشيع في فلسطين(٣) أن الخليفة يعقوب المنصور حج وسيطهر المشرق من مفاسده.

وهذه الاشاعة كانت بالطبع مجرد أوهام، فيعقوب المنصور توفي في مراكش عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م، ونقل الى تنملل ودفن بجوار والده(٤). غير أن تلك الأوهام لها دلالتها، فالمسلمون كانوا يحلمون بحاكم مسلم ينقذهم مما هم فيه، وكان ذلك الحاكم هو المنصور الذي اشتهر في العالم الاسلامي بعد انتصاره في معركة الاراك عام ٥٩١هـ/١١٩٤م على الممالك النصرانية، وتمنوا لو جاء ليحررهم من الامارات الصليبية التي تجثم فوق ارض الاقصى المبارك. ومن الجدير بالذكر أن تلك الرواية حول ما أشيع في فلسطين قد اسقطها الشريف الغرناطي.(٥) وفكرة ضم المشرق الاسلامي قد ذكرت على لسان الشاعر ابو العباس

---

(١) - العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ١١٢،١١٣

(٢) - البيذق، أخبار المهدى، ٣١، ٣٢
؛ العبادي، دراسات، ١١٢ وما بعدها
؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٨٩

(٣) - المراكشي، المعجب، ١٨٤، ١٨٨
وانظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٣١/٤

(٤) - مجهول، الحلل الموشية، ١٥٨
؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٤٥/٩
؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ٢٣٠
؛ الناصري، الاستقصاء، ٢٠٣/٢

(٥) - الشريف، الغرناطي، رفع الحجب المستورة، ١٥٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا وقد ذكرت فكرة ضم المشرق الاسلامي على لسـان الشاعر ابي عباس الجراوى حينما مدح الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قائلاً:

ستملـــك أرض مصـــر والعراقـــا وتجـــرى نحـــوك الامـــم استباقـــا

وعندما قال في يعقوب المنصور:

ان الخلافـة نالـــت مـن محاسنكـم أوفـى الحظوظ فابدت منظرا عجبـــا
اعلى المراتب من بعد النبوة قـد حبا بها الله اعلى الخلق وانتخبا
سينظـم السعـد مصرا فـــي ممالكه حتى يـدوخ مـــن خيـل لـــه حلبـــا
الى العراق الى اقصى الحجاز الى اقصى خراسان يتلـو جيشه الرعبـا
هـــو الـــذي كانـت الدنيا تؤمله وكل عصر لـــه مـــا زال مرتقبـــا (١)

وجعـل عبـد المؤمن الـدين الاسلامـي المعتنق الـوحيد في دولتـه، وجعـل شعاره الجهاد في سبيل الله. وكتب على الجهة الشرقية للقصبة التي شيدها في رباط الفتح (سلا)، قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم، تؤمنون بالله ورسـوله، وتجاهدون في سبيل اللـه بامـوالكم وأنفسكم ذلكـم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكـم جنات تجري من تحتهـا الأنهـار، ومساكن طيبـة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبـونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين"(٢)

واتخـذ المهدى والخليفـة عبد المؤمن اللون الأبيـض شعارا للدولة، واللون الأحمـر للقبة التي كان يقيم فيهـا الخليفة أثناء اشرافه على الحـرب، ثم استخدموا أربع رايات ملونة بالأحمر، والابيض، والاصفر، وجملوا بها المصحف العثماني عند الدخول الى مدينة الرباط.(٣).

---

(١) - ابن عذارى، البيان، ٤٩/٤، ٥٤، ١٥٥

(٢) - القـرآن الكريم، سورة الصف، الآيات:١٠-١٣، وقـد قرأتها هناك حينما كنت مدرسا في المملكة المغربية عام ١٩٧٨م

(٣) - ابن صاحب الصلاة، ألمن بالامامة، ١٠، ٤٣، ٤٤

؛ وانظـر، المقـري نفح الطيب ٦٠٥، ٦١٥ وذكـره المصحـف العثماني بقـرطبة، وهـو احد المصاحف الاربعـة التي بعـث بهـا عثمـان رضـي اللـه عنـه الى الامصـار: مكـة، والبصـرة، والكـوفة، والشـام. أنظر ايضا الملحق رقم (٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولبسوا المعاطف البيضاء في الحفلات الرسمية، والى جانبها استعملوا اللون الاخضر الذي يقتصر على بعض المناسبات الخاصة كإعلان الجهاد ضد النصارى.(١)

تنظيم المجتمع:

وضع ابن تومرت أسسا لنظام سياسي واجتماعي فريد، وظف كل فرد فيه وضبط حياة الناس، كركائز أساسية للدعوة والدولة والحفاظ عليها، وشملت رعايا الدولة الذين استجابوا لدعوته، وأظهروا استعدادهم لنصرته، ونظمهم وفق واجباتهم ومهامهم الى مراتب حسب أهميتها، ويدور كل فرد وفق ذلك بصورة حيوية وحركية:

المرتبة الاولى: أهل الجماعة، وهم أصحاب المهدي العشرة.

المرتبة الثانية: أهل خمسين

المرتبة الثالثة: أهل سبعين

المرتبة الرابعة: الطلبة

المرتبة الخامسة: الحفاظ (صغار الطلبة)

المرتبة السادسة: أهل الدار أفراد بيت المهدي

المرتبة السابعة: قبيلة هرغة (قبيلة ابن تومرت)

المرتبة الثامنة: اهل تنملل (بطون منحدرة من قبيلة مصمودة)

المرتبة التاسعة: قبيلة كدميوه

المرتبة العاشرة: قبيلة نفيسه

المرتبة الحادية عشرة: قبيلة هنتانة

المرتبة الثانية عشرة: قبائل ناصرت المهدى، (ربعي ليست من مصموده)

المرتبة الثالثة عشرة: الجند المتطوعون الذين ينتمون الى قبائل مختلفة

المرتبة الرابعة عشرة: الفرات (الموالي)(٢). وألحق بهم:

---

(١) - اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٠-٢٤١

(٢) - ابن القطان، نظم الجمان، ٢٣، ٢٨،٣٣، ٣٩؛ المراكشي، المعجب، ٣٣٨، ٣٣٩، ٢٧٩، البيذق، اخبار المهدى، مختصر الانساب، ١٨-٤٩

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٠٨، ١٠٩، ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٧؛ ابن خلدون، العبر، ٢٢٨/٦، ٢٢٦/٦؛ ابن الاثير، الكامل، ٤٠٦/١٠

؛ هوبكتر، النظم الاسلامية، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤.

ولم تذكر تفاصيل عن مهام هذه الأصناف في المصادر الا كما هو في المتن، ويمكن الرجوع الى كتاب مختصر الانساب من أخبار المهدي لمعرفة تشكيلها ص ٣٥-٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل السبعة: وهم أهل مشورة المهدى، وعبيد المخزن، والطبالة: وهم ثمانية افخاذ بالرماة، المحتسبون (المزوار) وهم الموظفون الدينيون لتنفيذ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم حجر الأساس في الدعوة، والمزوار، يتولى قيادة إحدى وعشرين قبيلة.

السكاكون: الذين يشرفون على سك العملة(١)، وهم ثلاثة رجال من تنملل وهنتاته وجنفيسه، وتبعهم جهاز خاص، وكان الجند(٢) أهل أغمات وهم النظاميون المحترفون الجاهزون للقتال، ثم القوات المجندة الداعمة للمحترفين، ويتلقون رواتب، والمؤذنون وكانوا من قبائل شتى.

أهل المنار: منار جامع السقاية، مسمعو المدينة، برج الطبالة، أهل السفر. واحدث الخليفة عبد المؤمن تغييرات على ذلك، فأسقط عنهم وعن الطلبة السلاح، وأمرهم ببيعه، والانتفاع بثمنه، ولربما يرجع ذلك لأنهم ليسوا أهل حرب وأن وظائفهم مدنية. وحتى يقربهم اليه، اختصهم بالانتفاع ببيع سلاحهم، وأنعم على الطلبة بالتحف من المخزن من الاعشار وغيرها من العطايا الجزيلة، والكسوات في كل عام، وكانوا على قسمين: طلبة الموحدين والحضر، ويرافقون الخليفة في أسفاره، ويقوم رئيس الطلبة بالدعاء، وتلاوة القرآن، وقراءة كتب المهدى كعمل يومي خلال الأسفار.(٣)

ويظهر من البيانات الموحدية(٤) (الرسائل) أنهم كانوا رسل الدولة للتعليم، ونشر الدعوة، والحفاظ الذين يعملون على تطبيق الأحكام الشرعية، والأوامر وتعليمات الخلافة.

---

(١) - البيذق، اخبار المهدى، مختصر الانساب، ٤٧-٤٨

(٢) - البيذق، اخبار المهدى، ٤٧-٤٨

؛ المراكشي، المعجب، ٣٤١

(٣) - البيذق، اخبار المهدى، مختصر الانساب، ٤٨

؛ المراكشي، المعجب، ٢٠١، ٣٤٢، ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٧٥

(٤) - رسالة رقم ٢٣، الصادرة عن ديوان الدولة المؤمنية ١٣٢، رسالة رقم ٤٤، الصادرة عن ديوان الدولة المؤمنية ١٣٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٣/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحفاظ: اختارهم من الطلبة والفقهاء وربوا تربية خاصة على حفظ كتاب (أعز ما يطلب)، ثم يعدون إداريا وسياسيا وعسكريا، حتى يتقلدوا مناصب الدولة، وينفذوا مهماتها. وكان الخليفة يدخلهم الى القصر ويمتحنهم في التوحيد والدعوة، ويقدم لهم النفقات. وكان أبناء الخليفة ضمن هؤلاء الحفاظ(١).

الحزب: وربي الطلبة فيه منذ أيام المهدى على قراءة حزب من القرآن بعد صلاة الصبح، ثم أجزاء من أعز ما يطلب، ومعرفة حقيقة القضاء والقدر، والايمان، والاسلام والصفات، ولمع من أصول الدين، وعلامة المنافقين. وجعل الكذب في ثمانية عشر صنفا، وحفظهم إياه. وجعل على كل عشرة نقيبا(٢).

النقباء: نظم ابن تومرت أتباعه، وجعل عليهم اثني عشر نقيبا(٣).

تعديل تنظيم المجتمع الاداري:

بقي التنظيم الذي وضعه ابن تومرت للمجتمع حتى اتسعت الدولة في عهد الخليفة عبد المؤمن، ودخل الناس أفواجا في الدعوة، وانتصر على الدولة المرابطية، وأسقط النظام المرابطي، وقضى على الثورات التي واجهته، وأخذ يفكر بالحد من نفوذ القبائل، ودخول افريقية والأندلس في ظل الدولة الموحدية. وقد دعت الظروف المستجدة الى اجراء تغييرات على النظام لإعادة الحيوية والحركة اليه، ولتنقيته واعطائه دفعة جديدة، وانشائه خلقا اخر. ولا يكون ذلك الا باخلاص المقصد، واظهار الفعل، وامضاء الحكم.

وقد برز ذلك التغيير في البيان(٤) (الرسالة) الموجه من الخليفة الى الطلبة بتلمسان عام ٥٤١هـ/١١٥٦م، حيث صنف المجتمع في ثلاث طبقات.

---

(١) - مجهول، الحلل الموشية، ١٢٥، ١٥٠

S.P. Scott, Ahistory of the moorish Empire,vol,11, p.297

؛ البيذق، اخبار المهدى، مختصر الانساب، ٤٨،١٠١

(٢) - ابن القطان، نظم الجمان، ٢٦، ٢٧، مجهول، الحلل الموشية، ٨٩

(٣) - المصادر السابقة

(٤) - انظر رسالة رقم ١٠ الصادرة عن الديوان المؤمني من انشاء كتاب الدولة المؤمنية ٥٣، ٥٤، نشر ليفي بروفنسال

والملحق رقم ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبقة الاولى: شملت السابقين الأولين الذين بايعوا ابن تومرت وصحبوه وغزوا معه وصلوا خلفه. والذين شاهدوا البحيرة ونعموا بفضلها، واشتملوا ببردة شرفها وارتقوا الى ذورة الخطوة فيها. وشهد لهم بالفضل التي لا يوازى، والرتبة التي تعادل.

الطبقة الثانية: ضمت الذين آمنوا بالدعوة، ودخلوا في حزب التوحيد (حزب الله) بعد موقعة البحيرة عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م، وحتى فتح وهران عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م.
الطبقة الثالثة: شملت الذين دخلوا في الدولة والدعوة بعد فتح وهران .. الخ، وبعد ضم افريقية، والأندلس، وتوحيدهما مع دولة الخلافة.

وقد أحكم التغيير والتنظيم بدقة وترتيب وروعيت فيه الزلف والقرب، والمنازل المعلومة. وبرر الخليفة إحداث التغيير والتنظيم كما جاء في رسالته(١)، "والتفت الى أحوال أهل النقوص، والثبوت، ومن تقاصر عن الكمال بالحظ المنقوص، على تحرير من النظر ووزن من العدل، وعرف الناس بسيماهم، ووقف بهم عند غاياتهم، وعلم كل مركزه، واحتل بمحطه، ووجد نفسه حيث وضعها العمل، وأهّلها السعي".

إن تنظيم دولة واسعة الأرجاء تشمل بلاد المغرب من برقة وطرابلس شرقا الى الاندلس غربا ليس بالأمر الهين، بل يتطلب ضم عدد من الدويلات. والمؤسسات التي وضعها المهدى لم تكن قادرة على استيعاب دولة مترامية الاطراف كالتي انشأها عبد المؤمن، مع أنه احتفظ بمجلسين هما: الجماعة، ومجلس الخمسين الذي يمثل القبائل.

فأنشأ الخليفة نظاما إداريا جديدا، يتمثل بتغيير هيكلية السلطة من مجالس الشيوخ والقبائل وصلاحياتهم الى سلطة أشبه بسلطة الملوك، يتمتع بها أفراد أسرته، ونفذ ذلك من خلال مجموعة من الاجراءات، فبدأ بادخال القبائل العربية (بنو هلال، الاثبج، زغبه، رياح، عدي) الى المغرب الاقصى بعد ان كان موطنها لا يتجاوز الجزائر، ولعل السبب وراء ذلك هو عزمه على الاستعانة بهم للجهاد

---

(١) - الرسالة رقم ١٢، ص ٥٥، الصادرة عن ديوان الدولة المؤمنية من انشاء كتاب الدولة، نشر ليفي بروفنسال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأندلس، ولربما كان ذلك أيضا لحسم الخلاف الذي ظهر في صفوف الموحدين، على أثر خروج أخوي المهدى، وحتى يكونوا قوة تدين له بالولاء لمحاربة أعدائه في الداخل، علاوة على استخدامهم للجهاد في الاندلس.

ولاية العهد(١):

استحدث الخليفة عبد المؤمن ولاية العهد في نظام الحكم الموحدى بتوليته ابنه محمداً، وأخذ البيعة له من كبار رجالات الدولة والولايات، وقد وضع لذلك شرط الكفاءة، والصلاح. وأصبح الحكم وراثيا، وانحصرت الخلافة في اسرة عبد المؤمن وبذلك يكون قد أحدث ثلمة في النظام لا يمكن تلافيها حيث تمخض عنه التنافس على السلطة، وايجاد التكتلات، وظهور الخلافات والمنازعات التي تؤدي الى وهن الدولة.

وقد تم ترسيخ هذا النظام عندما خلع ولي عهده محمداً، من ولاية العهد(٢) عندما ثبت عدم صلاحيته، وعين بدلا منه ابنه يوسف بن عبد المؤمن. ثم ادخل تعيين الخلفاء، وشجعه على ذلك شيوخ العرب من بني هلال، وزغبة وعدى وغيرهم، وكانت لذلك ردود فعل معاكسة من قبائل مصمودة التي جاهرت الموحدين بمعارضة كثير من أعمال عبد المؤمن، بل جرت محاولات لاغتياله، وكان ذلك دافعا لاستقدام قبيلة كوميه من الجزائر ليحمي بها ظهره.

---

(١) - رسالة رقم ١٣، مجموعة رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال

؛ ابن الاثير، الكامل، ٤١/٩

؛ ابن خلدون، العبر، ٥٣٨/٦

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٤

؛ الناصري، الاستقصا، ١٢٤/٢

؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤١

(٢) - ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٢

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨١/٨

؛ البيذق، اخبار المهدى، ١٢١

؛ الناصري، الاستقصا، ١٤٤/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعيين الولاة:-

عين عبد المؤمن بن على ابناءه على المناطق المختلفة(١)، وكان بجانب أبنائه على كل ولاية كاتب وشيخ، وهذا التعاون التام بين أفراد الأسرة الحاكمة، وشيوخ الموحدين أصحاب المهدى وأولادهم، كان الطابع المميز للتنظيم الاداري في عهده، ويتضح من ذلك أن الخليفة كان منظما بارعا، فجعل الشيوخ حوله مستشارين، وربما تحاشى استعمالهم في الولايات لمكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد هيأ لابنائه تربية مناسبة تجعلهم أهلا للقيام بمهامهم في الحكم، وهي مهام ادارية وعسكرية وثقافية، وذلك عن طريق مدرسة تكوين الطلبة (طلبة الحضر، وطلبة الموحدين)(٢). ثم ركز جهده على تربية صنف آخر يتمثل في الطلبة والحفاظ وقادة الجيش، وربطهم بشخصيته عن طريق التربية والتكوين الذي تحدث عنه كتاب الحلل الموشية(٣)، وكان الخليفة لا يتخذ قراراته الا بعد استشارة رجالات الدولة(٤). ومارست الدولة تطبيق النظام الاسلامي، وأوجدت المجتمع الذي تسوده وحدة الفكر، والمشاعر والنظام، حتى قال الخليفة(٥): "ليس إلا هذا وإلا فالسيف"، ويبدو أن الخليفة كان يستعمل القوة في

---

(١) - انظر الفصل الأول، ولايات أبنائه وأسمائهم:

الأبناء	المنطقة	الكاتب	الشيخ
أبو عمر بن حفص	تلمسان	ابو الاصبغ بن عياش	ابو محمد بن وانودين
أبو سعيد عثمان	غرناطة ،وسبتة وطنجة	أبو الحسن بن فردون	أبو عبد الله بن سليمان
أبو محمد عبد الله	بجاية	أبو بكر بن حبيش	أبو سعيد يخلف بن الحسين
أبو الحسن علي	فاس	أبو العباس بن مضا	أبو يعقوب بن سليمان
السيد يومئ	شلب واشبيلية		

؛ وانظر ابن ابي زرع، القرطاس ١٩٤، ١٩٥؛ مجهول، الحلل الموشية ١٩٥؛ البيذق، أخبار المهدي ١١٠.

(٢) - المراكشي، المعجب، ٣٤٢

(٣) - مجهول، الحلل الموشية، ١٥٠-١٥١

وانظر، تنظيم الولايات في هذا الفصل

(٤) - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١

(٥) - نفس المصدر، ١٣،١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنفيذ افكاره إذا لم تجد الحكمة والموعظة الحسنة، وكانت المراسيم والتعليمات تعلن من على المنابر، حيث شيدت الأبنية الدينية كالمساجد، وتمت زخرفتها وتزيينها، وأمّ الخليفة المسلمين بالصلاة.

الوزارة:-

كان جماعة المهدي العشرة بمثابة وزراء له باعتباره الزعيم الروحي للموحدين، وكانت لهم مهام يقومون بها:-

فكان عبد المؤمن إمام الوقت، وسليمان أخضر كاتبا للرسائل، وأبو ابراهيم الهزرجي قاضيا، وأبو عمر الجدميوى، أمين الجماعة، وأبو عبد الله محمد إمام الصلاة، وابو حفص عمر الهنتاتي اختصه بالورقة وايوب الجدميوى يقسم الاقطاع بين الموحدين(١)، وأهل خمسين وسبعين كانوا بمثابة مجلس أمة. وفي ايام الحرب تشترك جميع مراتب المجتمع في القتال، على اختلاف قبائلهم بقيادة المهدى ثم عبد المؤمن.

واستعان عبد المؤمن بعدد من الوزراء(٢)، ولكن يبدو أن الدولة الموحدية بشكل عام قد أغفلت الوزارة لغلبة البداوة عليها، واتخذت اسماء وألقابا تقليدا للدولة الاموية بالأندلس، فقد سموا الحاجب وزيرا، وعني بشؤون المراسيم وآدابها، ثم خصوا كاتب السلطان بالوزير كابن عطيه، وعبد السلام الكومي، وأضيف لهم الأشغال العامة والمالية. ثم أصبحت الوزارة لموظفي الدولة كابن جامع وهو من وزراء عبد المؤمن، ولم تكن أرقى المناصب في الدولة، وجمع بعض الوزراء بين الوزارة والكتابة، كجعفر ابن عطية، الذي بقي وزيرا حتى عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م ثم عبد السلام الكومي الذي تخلص منه الخليفة لسوء إدارته عام ٥٥٧هـ/١١٦١م(٣).

---

(١) - البيذق، اخبار المهدى، ٣٣؛ المراكشي، المعجب، ٢٢٧

؛ ابن خلدون، العبر، ٤٧٥/٦، القلقشندى، صبح الاعشى، ١٣٢/٥

(٢) - انظر وزراء عبد المؤمن، الفصل الثاني

(٣) - انظر ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٣٢٣، ١٣٦

؛ابن خلدون، المقدمة، ١٤٢؛ المقرى، نفح الطيب، ١٠٧/٤، ١١٠/٧

؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ١٩٤/٢، ٢٣٨؛ المراكشي، المعجب، ١٩٨، ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان الدولة:

اتخذ عبد المؤمن الديوان وشغله عدد من كتاب الدولة، لكتابة رسائل تتضمن تعليمات وأوامر موجهة الى الطلبة والحفاظ والشيوخ في الولايات.

وشغل كتابة الرسائل عدد من الموظفين في عهد المهدى كسليمان الاخضرى، وملول ابراهيم الصنهاجي، وعرف السريانية والرموزيات(١). ولما اتسعت الدولة في خلافة عبد المؤمن تطور الديوان عما كان عليه في عهد ابن تومرت وشغله عدد من كتبة(٢) الدولة، صدرت عنهم مجموعة من الرسائل.

وانقسم الكتاب الى قسمين: أرباب القلم، وأرباب السيف،

أرباب القلم: اختصوا بكتابة الرسائل والمخاطبات والصكوك والاقطاعات، والمحاسبات، وتشمل الجباية والعطاء(٣).

أرباب السيف: اختصوا بالحرب والشرطة وولاية الثغور. وعمل الكتبة المرافقون على تزويد مركز الدولة بمعلومات عن الأمن والسياسة والاقتصاد والحالة الاجتماعية.

الرسائل الصادرة عن الديوان:

وردت في هذه الرسائل إشارات الى عدد من الكتاب(٤)، وقد صيغت بأسلوب علمي متأدب، وتضمنت ترسيخ مفاهيم التوحيد، وأركان الاسلام، وتطبيق الأحكام الشرعية، واعتماد القرآن والسنة مصدري التشريع في تنفيذ الأحكام.

---

(١) - البيذق، اخبار المهدى، ٣٣، ٣٩، ١٠٧/٤، ١١٠/٧

(٢) - انظر، كتاب عبد المؤمن في الفصل الأول

(٣) - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣١؛ ابن بشكوال، الصلة، رقم ١١١٩؛ المراكشي، المعجب، ٢٤٢؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الابناء، ٧٦/٢؛ المراكشي عبد الملك، الذيل والتكملة، ٦١/١؛ ابن الاثير، الكامل، ٤٠٧/١٠؛ ابن خلدون، المقدمة، ١٤٠

(٤) - الرسائل من ١-٩، من ص ١-٣٤؛ الرسائل رقم ١١-١٥، من ص ٣٨-٧١ ؛ رسالة رقم ١٨، من ص ٩٣-٩٥؛ رسالة رقم ٢٠، من ص ٨٩-١١٣، ؛ رسائل رقم، ٢١، ٢٢، من ص ١١٣-١٢٦؛ الرسائل رقم: ٨،١٦،١٧ من ص ٨١-٩٣؛ رسالة رقم ٢٣ من ص ١٢٧-١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الرسائل توجه الى الطلبة والحفظة والأعيان والشيوخ والولاة، وتقرأ من على المنابر، وتعمم على نواحي الولايات المختلفة.

واعتبرت الرسائل من أرقى وسائل الاعلام لنقل الأوامر والتعليمات والمراسيم السياسية والإدارية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والاخبار العامة، وتقوم أجهزة الدولة في الولايات بتنفيذها.

واتبع الخليفة أسلوبا فكريا يرتبط بالعقيدة في افتتاح الرسائل (البيانات)، وركز على الدعوة الاسلامية التي جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام، وسير الخلفاء الراشدين، ثم التمسك بالدين، وأصول التشريع. ثم ينتقل الى دعوة التوحيد التي تبناها المهدي استمرارا للدعوة الاسلامية، وحث على التمسك بالتوحيد والقرآن والسنة، مبينا أنها جاءت لإحقاق الحق، وترسيخ العدل، بعد أن فشا الجهل وذوى العلم، وانحرف العلماء.

وكانت الأوضاع الادارية والأمنية المتردية في افريقية والأندلس، محورا لبياناته لما وصلت اليه من عدم الاستقرار، بعد هزيمة آل زيرى أمام روجار الثاني ملك صقلية وتفسخت عرى الوحدة الافريقية، واختلط الحابل بالنابل، وتسلطت القبائل العربية على المدن، واضطرب الأمن، فانهارت الحالة الاقتصادية والاجتماعية،، والسياسية، وزاد ظلم الولاة والخارجون على القانون في تحصيل الأموال عن طريق المكوس والقبالات والمغارم. ولم يكتفوا بتحصيل الزكاة والاعشار، بل ابتدعوا طرقا شتى. ومما زاد الأمر سواءً خروج سعاة البريد على وظيفتهم السياسية، وحجبهم الحقيقة عن الناس، ومساهمتهم في الظلم والاستغلال. ولم تكن الاندلس أحسن حظا في نهاية الحكم المرابطي، وانتقال الحكم الى الموحدين في سائر إفريقية.

---

(١) - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٩٣؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٥، ١٦٧، ٢١٠، ٢١٢؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٤، ١١٧، ١٢٢، ١٣١، ١٣٥؛ المراكشي، المعجب، ٢٩٤-٢٩٥ ؛ البيذق، اخبار المهدى، ١-١٠، ١٣-١٧، مجموعة رسائل الموحدين الارقام: من ١-٢٣ من ص ١-١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحفاظا على الأمن والاستقرار، واعادة البلاد الى سابق وحدتها، واستقرارها بعد أن اصبحت جزءا من الدولة الموحدية، ولقطع دابر الفتن، وجه الى الطلبة والحفاظ نقدا لاذعا ومريرا لتقاعسهم عن أداء عملهم، ولجوئهم الى قبول الوسطاء. وحثهم على زيارات الناس، والاحتكاك بهم، ومشاركتهم حياتهم ومعرفة مجريات الحياة اليومية، للقضاء على الغش والتدليس والقبالات، واعادة الحيوية الى الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية. ووجه الخليفة بيانات (رسائل) الى الطلبة على بجاية واشبيلية(١)، مذكرا اياهم أن الله بعث دعوة التوحيد لاعادة الأمر الى أهله، ومبينا سياسة الدولة. وحثهم على تعليمهم القرآن والسنة، والتوحيد للتخلص من الآفات المنتشرة، وركز على تخريج الدعاة من الذين انضموا الى الحزب(٢) ليتولوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح ما فسد.

وشدد على الوحدة بين الموحدين وبقية رعايا الدولة من المسلمين الذين لم يلتزموا بالدعوة والحزب، وظللتهم راية الخلافة، وأمرهم بمعاملتهم وفق تعاليم الاسلام، وأن ييسروا ولا ينفروا.(٣)

وتوعد الذين يخرجون على تعاليم الاسلام، ويبتدعون أنواعا من المظالم والفواحش، ويتسببون في قتل الناس، او يعتدون على اموالهم وأعراضهم، وذكرهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قتل عصفورا بغير حق عبثا، جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول: "يا رب، سل هذا فيما قتلني عبثا بغير منفعة، يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون"

---

(١) - مجموعة الرسائل الموحدية، ١٩-٢٢

؛انظر، ابن القطان، نظم الجمان؛ البيذق، اخبار المهدى، ١٣-١٧

(٢) - انظر ابن القطان، نظم الجمان، الرسالة التي أوردها من ١٥٠-١٦٧

(٣) - المصدر السابق

؛ وانظر عبد الرؤوف المناوى، فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأردف قائلا: ساء ما يفعلون، تا الله ليأتينهم من العقاب الاليم في أقرب أمد ما يهدهم هدا، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا، ويتأصلهم بصواعق الانتقام فقد جاؤا شيئا ادا"(١)

وبين تتابع اعلان البيعة للخليفة، واعلان الطاعة والولاء والالتزام بأمر الله، واعلان التوحيد.(٢)

وطلب فيها: اقامة الحدود، وحفظ الشرائع، والأخذ بأول بناء للاسلام: التوحيد، والاعتناء بالفروض، وحفظها بالعربية والبربرية، وحفظ المرشدة: (اعلم أرشدنا الله واياك)، ويشمل الرجال والنساء، وكل مكلف شرعا.

وأمر باقامة الصلاة، وأخذ الزكاة وملاحقة مانعيها(٣)، وبائعي الخمور، والبحث عن أماكن الملاهي، وذوي الضمائر الميتة، ومتابعة أهل النفاق، وحثهم على استنباط الأحكام من مشكاة النبوة، والدعوة الى الجهاد، واعداد القوة البرية والبحرية لتحرير الثغور المحتلة في افريقية والأندلس من قبل الصليبيين الاوروبيين، والممالك النصرانية في الاندلس، والاشراف على سواحل المتوسط الشمالية والجنوبية والمداخل الشرقية والغربية ونقاط الاتصال، وضرب مثلا بتحرير ثغر المرية في الأندلس، مبينا أهميته لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية والغربية،

---

(١) - المصدر السابق، وانظر عبد الرؤوف المناوى، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، للسيوطي.

(٢) - انظر الرسائل رقم ٣، ص ٦، ١٦، ١٧.

؛ رسالة رقم ٧، ص ٢١.

؛ رسالة رقم ٨، ص ٢٣.

؛ رسالة رقم ١١، ص ص ٤٤

؛ رسالة رقم ١٣، ص ٥٥

؛ رسالة رقم ١٧، ص ٨١-٩٣، مجموعة رسائل موحدية/ صادرة عن كتاب ديوان الدولة المؤمنية.

(٣) - انظر، رسائل الفصول، ١٢٦-١٣٨، مجموعة رسائل موحدية، رسالة الفصول، أخبار المهدى، ١٣-١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورابطة بين البلاد البرية والبحرية(١)، وشدد على مقاطعة العدو، وعدم الاتجار معه، وتغذيته، وطلب الى الولاة والطلبة والحفاظ التحري عنهم، وانزال العقوبات بهم، وأمر باقامة القواعد العسكرية(٢)

ووجه عبد المؤمن في الرسائل الى الولايات أخبار القضاء على المعارضين والمرتدين، وفتن الاعراب في افريقية، وهجرتهم الى أقاليم المغرب، وتكفيرهم عن خروجهم باعلان التوحيد، والالتزام بالجهاد في الاندلس.

وحذر المتعاونين مع الممالك النصرانية كابن مردنيش(٣)، ودعاه الى اتباع الحق، ودعوة التوحيد والتكفير عن زلاته. ودعا يحي بن غانية الى إنهاء المعارضة في قرطبة، والقائد المرابطي في غرناطة وتسليمها للدولة الموحدية.(٤)

وقد أبرزت الرسائل دقة التنظيم الاداري، وسرعة نقل الأوامر والتعليمات الى الولايات، ومعالم الطريق التي توضح المنهج الفكري والطريقة، والنظام المنبثق عن عقيدة التوحيد التي تحدد المسؤولية، والتعامل بين رعايا الدولة، والقضاء على المظالم والمفاسد لحفظ الأمن والاستقرار والوحدة، وسياسة الرحمة والتيسير وعدم التعسير، وعدم الرأفة في تطبيق الحدود.

---

(١) - مجموعة رسائل موحدية، ٧٣-٧٤

(٢) - ابن صاحب الصلاة، ألمن بالامامة، ١١٤، ١١٥، ١٢٢

؛ رسالة رقم ٥ (١٢-١٤)، مجموعة رسائل موحدية

؛ رسالة رقم ١٦ (٧١-٨١)، مجموعة رسائل موحدية

(٣) - رسالة رقم ١ (١-٣)، مجموعة رسائل موحدية

؛ رسالة رقم ١١ (٣٥-٤٦)، مجموعة رسائل موحدية

؛ رسالة رقم ٢٠ (٩٩-١١٢)، مجموعة رسائل موحدية

؛ رسالة رقم ٢١ (١١٣-١٢٠)، مجموعة رسائل موحدية

(٤) - رسالة رقم ١٠ (٣٥-٣٧)، مجموعة رسائل موحدية

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٤٣/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبينت ما كانت عليه الحياة الاقتصادية والاجتماعية السائدة في جو عدم الاستقرار والأمن، ومعاناة الرعية، ودور الحكام في تقصي أخبار الرعية، واعادة تنظيمها، ومنحه السلطات لرجال الدولة لتنفيذ الأحكام الشرعية. كما أظهرت شخصية عبد المؤمن كخليفة، وادارته للدولة، وتنفيذ سلطاته، وأوصت بالنواحي الايجابية في توحيد شؤون الدولة في السياستين: الداخلية والخارجية. **القضاء**: اعتبر من الوظائف الرئيسية في الدولة الموحدية، لاحقاق العدل. ولا ينفذ الحكم الا بعد تثبت القضاة من البيانات وعقد مجلس القضاء، ومن القضاة الذين تولوا هذا المنصب، ممن عرفوا بقوة الحجة، والدليل والعلم والأدب: أبو محمد عبد الله بن جيل من وهران، وعبد الله بن عبد الرحمن المالقي، وصهر أمير المؤمنين موسى بن سهل من اهل تنملل، وحجاج بن يوسف(١) قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها، والقاضي ابو عبد الله القرطبي، وكانوا من طلبة الموحدين. وأما قضاة الجماعة فأغلبهم مالكيون، كاحمد بن مضاء، وأحمد بن يزيد بن مخلد، وغيرهم.

وقد اتخذ عبد المؤمن سياسة الابقاء على قضاة الجماعة من المالكية لإرضاء العامة الذين الفوا هؤلاء القضاة، ولمكانتهم، ولضمان الاستقرار في بداية عهد الدولة، حيث اتسعت وضمت افريقية والاندلس اللتين كانتا تسيران على المذهب المالكي، وأبقى القضاة الفرعيين من الموحدين في المناطق التي غلب عليها الموحدون، ثم بدأ بالتغيير بعد الأمن والاستقرار.

وقد تولى الاشراف على القضاء ثلاثة وزراء يسمون قضاة في الوقت نفسه، وثلاثة قضاة يقومون بالنظر فيما يتعلق بالدين والتعليم والمعارف. وتولى المالية وزير يسمى والي الخزانة، ولم يكن عملهم مقتصرا على ذلك بل كانوا موظفين بديوان الخلافة، وكان منهم الطبيب والنديم والقارىء والأمين.(٢)

---

(١) - المراكشي، المعجب، ٧٥-٢٣٧،

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٤٠

؛ ابن عذارى، البيان، ٥٦/٣؛ ابن الابار، التكملة، رقم ٩٣

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٦/٢، ١٧٢

(٢) - هوبكتر، النظم الاسلامية، ٢٢٣؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الولايات:

وضع أمير المؤمنين نظاما اداريا جديدا للدولة، بعد اتساعها، لضمان سير العمل، والحفاظ على الامن والاستقرار، وذلك بايجاد الولايات، وتزويدها بالكفاءات الادارية.

وأنشأ مدرسة(١) في مراكش لتخرج الأطر اللازمة في ميدان السياسة، والادارة، وقادة الجيش، والدعوة، والطلبة، والحفاظ، وألحق بها أبناءه. ومدارس أخرى في المدن المختلفة. ووقف الحفاظ على دراسة كتاب الموطأ، وأعز ما يطلب، وكتب ابن تومرت الاخرى.

وكان المنهاج الدراسي يقوم على حفظ القرآن الكريم، ودراسة رسائل المهدي، وتعليم الطلبة السباحة، والرماية، وركوب الخيل، وصنع بحيرة في مراكش، وزودها بالزوارق والمراكب. وتولى الخليفة اجراء الامتحان للطلبة بعد صلاة الجمعة، وقدم لهم جميع النفقات، وقد أبدى الطلبة براعة حربية، ومعارف رفيعة.

وعقد الخليفة عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م اجتماعا لرجال الدولة (الطلبة والحفاظ والشيوخ والقادة العسكريون) وأدت المشاورات الى اجراء تقسيمات ادارية في الدولة لضمان النظام والأمن والاستقرار، بعد القضاء على الثورات والمعارضة في أرجاء الدولة. كما قرر المجتمعون اجراء مسح لأجزاء الدولة كافة من برقة حتى لمطة، ومن الصحراء الافريقية جنوبا الى الاندلس شمالا، لمعرفة طبيعة البلاد وحدودها وقبائلها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية. وكان المساحون من ذوي الكفاءة والخبرة، وعلى دراية بمهمة المسح والأهداف السياسية والادارية التي خطط لها الخليفة.

وأجرى تغييرات وتنقلات ادارية تلبية لمقررات المجلس، وولى أبناءه وعين معاونين لهم من الوزراء والحجاب والقادة والطلبة والحفاظ والكتاب الاكفياء. وولى ابنه يعقوب على الأندلس واشبيلية(٢) لأن امارة القيادة والقدرة

---

(١)- مجهول، الحلل الموشية، ١٥٠، البيذق، أخبار المهدى، ١١٦، ١١٧، اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٨-٢٤٩،

S. P. Scott, History of the moorish Empire, Vol,11,P.298.

(٢) المصادر السابقة

وانظر الفصل الاول: تولية ابناء عبد المؤمن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على التصرف، واتخاذ القرارات والحكم كانت بادية عليه، وفي ذلك إشارة الى منحه سلطات واسعة. وقسمت الولايات الى دوائر، لكل دائرة حاكمها وقاضيها(١).

وبهذه الاجراءات الادارية كسر الخليفة شوكة القبائل سياسيا، فلم يعد للمجالس التي ألفها المهدي ممثلة لقبائل الموحدين أي نفوذ في الدولة، ورغم ذلك فقد أبقى على النظام القبلي من الوجهة العسكرية، ولي يبق من ترتيب القبائل سوى وضع قبيلة كوميه في الترتيب العسكري بعد قبيلة هرغه.

التنظيم الحربي:

اتبع الموحدون في عهد الخليفة عبد المؤمن اسلوبين في نشر الدعوة:

الأول: يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، وعقد حلقات التدريس في المساجد للتثقيف والاعداد، وحضور المجالس الفقهية، وعرض الأفكار على العامة في الأسواق، وبيان الأحكام الشرعية للممارسات اليومية.

الثاني: استعمال القوة المادية لكسر وتحطيم القوة التي تحول دون انتشار الدعوة والقضاء على المعارضين والمرتدين، ويشار في هذا المجال إلى أن الدعوة في عهد ابن تومرت مرت بثلاث مراحل: الأولى: التنظيم والتثقيف والإعداد الفكري، والثانية: الصدوع بالأمر بعقد المناظرات الفكرية(٢)، والثالثة: استعمال القوة المادية.

لقد وضع ابن تومرت أسس تكوين الجيش، وأوجد النواة الفعلية له، وقام بتسع غزوات ضد الدولة المرابطية(٣).

---

(١)- أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي، ١٦٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥١؛ ابن أبي زرع، ١٩٤، ١٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٦/٦؛ الناصري، الاستقصاء، ١٢٣/٢.

(٢) انظر الغزالي، احياء علوم الدين ١٢٠٢/٢، ١١٥٢؛ ابن تومرت، اعز ما يطلب ٨٩؛ ابن خلكان، وفيات ٤٦/٥.

(٣) البيذق، أخبار المهدي، ٦٥- ٧٦، تحقيق حاجيات؛ مجهول، الحلل الموشية، ٩٠، ابن خلدون، العبر، ٤٧٠/٦؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٨١- ٨٢- ٨٤، ١١٨- ١٢٥، ١٩٥، ١٠٢، ١٠٤؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٤، ١٢٥؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٩٧/٨، ٢٩٨؛ الناصري، الاستقصا، ٨٨/٢؛ الهرغي، المقتبس من كتاب الانساب، ٣٥- ٣٧؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٤؛ المراكشي، المعجب، ١٩٢- ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدرك الخليفة عبد المؤمن أهمية القوة العسكرية لاقامة الدولة الموحدية، ونشر افكار الدعوة باعتبار القرآن والسنة مصدري التشريع ونبذ الخرافات والبدع والتركيز على التوحيد، فأعد جيشا إعدادا فكريا وعقائديا، ووفر القيادة العسكرية المدربة الواعية، وركز فيهم مفهوم الجهاد، وأنهم يقاتلون أناسا مجسمين مارقين، وأن من قتل فهو شهيد، وتولى القيادة بنفسه، ووضع الخطط وادارالمعارك الحربية، وأوجد البنية التحتية للتكوين والامداد والسلاح والمدارس لتخريج ذوي الكفاءات.(١)

وتألف الجيش من قوتين رئيسيتين هما:

القوات البرية والقوات البحرية.

القوات البرية:

أجرى الخليفة تخطيطا للدولة، ومسحا لها، فحصل على احصاءات دقيقة من الولاة عن السكان، وخواص كل ولاية(٢)، وثرواتها وغلاتها، ليقرر عليها الضرائب والجند حسب عدد السكان، بالاضافة الى المتطوعة وجند القبائل العربية، وفرض على المناطق التي تظهر فيها معارضة الضعف. ورفدت المناطق الصحراوية الغنية الجيش بالحيوانات كالخيول، ودواب الحمل كالجمال.

وأوفدت قبيلة كومية الجزائرية التي تربى فيها عبد المؤمن آلافا من الجنود للخدمة العسكرية ومنهم: الفرسان والمشاة والمتطوعون، واتخذ قسما منهم ليكون حرسه الخاص وهم خؤولته(٣)، وتألف من هذه المجموعات الجند النظامي خيرة الجيش المعد للقتال، وزود بأفضل أنواع السلاح.

وانضم الى الجيش جند القبائل من المشاة والفرسان، وأمن التمويل للجهاد ضد الممالك النصرانية في الاندلس.

---

(١)- مجهول، الحلل الموشية، ١١٤، اشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٨- ٢٤٩

S. P. Scott, History of the moorish Empire, Pvol,11, p.297

(٢)- ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٩

(٣)- ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٢٨؛ المراكشي، المعجب، ١٠٩؛ الناصري، الاستقصا، ١/١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظمت فرق الجند، وأصبح لكل واحدة رايتها الخاصة، ولها مواقعها وأماكنها الخاصة، ووجدت المدارس لتخريج الجند البارعين في مراكش وفاس والرباط،وتعلموا فنون الحرب البرية والبحرية، وقدم الخليفة الجوائز للمتفوقين، وتخرج من هذه المدارس كبار القادة والضباط(١).

التسليح:

وضع الخليفة سياسة حكيمة للتزود بالأسلحة في كل وقت، وتطويرها حسب الحاجة ومقتضيات الحرب، وأمر بايجاد مصانع السلاح في الولايات المختلفة(٢)، لتوفير الادوات العسكرية ولوازمها، وتجهيز الجيش بحاجاته، وايجاد المخازن لحفظ الانواع المختلفة، وفي ذلك اشارة الى الحركة المستمرة للجهاد في البر والبحر، وتزويد القوات بحاجاتها في المغرب وافريقية والاندلس لقتال الصليبيين الأوروبيين والمتحالفين معهم والخارجين على الدولة، كابن مردنيش، وابراهيم ابن همشك، وبقايا المناطق الموالية للمرابطين كآل غانية في جزر البليار.

الصناعات العسكرية:

اهتم الخليفة بتنويع الأسلحة كالقسي والنشاب والخوذات والدروع والسهام وغيرها من أسلحة الدفاع والهجوم، واشتهرت مدينة لمطة بصناعة الدرق، والسيف والرمح. وصنع منها استعدادا للجهاد في الأندلس عشرة قناطير من السهام(٣)، واستعملت آلات الرمي وخرق الأسوار وآلات رمي النار المشتعلة، ووجدت صناعة الأخشاب لبناء الأسطول والصناعات العسكرية كالجسور(٤)، والصناعات النسيجية العسكرية، وصناعة التعدين التي ارتبطت بها الصناعات العسكرية، ودور صناعة السفن، وذلك لتوفر المعادن في مناطق مختلفة من الدولة.

---

(١)- مجهول، الحلل الموشية، ١٥٢- ١٥٣، أشباخ، تاريخ السدولتين، ٥٠، ٥١، ٤٧، ٤٨،

(٢) (٣)- ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠١؛ الناصري، الاستقصا، ١٤٣/٢، أشباخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٧-٢٤٨.

(٤)- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٤٤، ٤٤٣، الجزنائي، زهرة الاس، ١٠؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ١٣٥؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ١٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التدريب:

كان الجيش في حالة استنفار دائم، وتمارين عسكرية مستمرة، وقد اعتنى الخليفة بالجند وتدريبهم على فنون القتال، ورأى أن قيمة الجيش ليست بكثرة العدد، وانما في تدريبه وقدرته وفائدته.

وكانت القوات الرئيسية تتألف من المشاة على ان تكون حسنة التدريب والتسليح باعتبارها وسيلة الحسم في المعارك، واقتحام المدن، وقد تم تزويدها بالآلات الرامية لقذف الحمم الملتهبة، وخرق الأسوار. وقد سهل لها المسؤولون الطرق، وزودوها بالآبار، ومخازن الغلات ووسائل نقلها لتموين الجيش(١). وكانت هذه الاعمال جميعها تتم من قبل الولايات بدعم من الدولة.

اساليب القتال:

كان الخليفة قبل البدء بالعمليات القتالية يضع خططاً عسكرية تقضي باتباع الاجراءات التالية:

كان يعقد مجلسا للحرب لبحث خطة القتال مع قادة الوحدات المختلفة في الهجوم والدفاع، وارسال قوات استطلاع لرصد تحركات العدو، ثم معرفة مواطن قوته وأماكن الضعف فيه، وكان يحمل مصحف عثمان(٢)الذي صنع له صندوقا خاصا في كل المعارك الحربية التي خاضها في المغرب وافريقية لحث الجند على الجهاد في ظل راية القرآن.

واعتمد الموحدون الخدعة في الحرب باتباع اسلوب التظاهر بالفرار مع وجود الكمائن الثابتة لمفاجأة العدو، وظهر ذلك خلال زيارة

---

(١)- ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٥ وما بعدها؛ الحلل الموشية، ١٢٧، وما بعدها، المراكشي، المعجب، ٢٢٨- ٢٢٩، ٢٣٠؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٤٠؛ ابن الاثير، الكامل، ٦٣/٩- ٦٤؛ التيجاني، رحلة التيجاني، ٣٣٢، ٣٣٣؛ ابن عذارى، البيان، ٣٩- ٤١؛ ابن صاحب الصلاة، أمن بالامامه، ١١٩- ١٢١؛ ابن خلدون، انعبر، ٤٩٤/٦؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ٦، ٧ ٨.

(٢) انظر الملحق رقم ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمير المسلمين الى الاندلس[١] ٥٥٧هـ/ ١١٦١م.

وكان الخليفة اذا اتخذ قرار الحرب يستعرض الجند، وينظمهم ويخطب فيهم، وتنصب له القبة الحمراء التي يدير منها سير المعارك، ويرتدي لأمة الحرب، ويجلس على درعه، ويحمل باحدى يديه سيفه وبيده الأخرى المصحف، وهي إشارات بدء المعركة[٢]. وكانت عملية الغزو تتم في سرية وكتمان ولهذه الغاية كانت الطرق تخلى من المارة. واستعمل أسلوب المربعات في القتال الذي قابل به القوات المرابطية عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م في وهران، وقسم الجيش الى اقسام يتولى كل قسم قائد خاص، والقوة الرئيسة تتألف من المشاة، وتوضع في الصفوف الأمامية وتسلح بحراب طويلة، يتبعها جند يتسلحون بالسيوف، ويتقلدون الدروع، ثم حملة القسي، والنبال. ويوضع الفرسان في وسط المربع، ويراعى أن تكون لها مخارج سريعة للاغارة، وذلك تحت قرع الطبول وصوت الأبواق، والأعلام الخضراء. واذا تمكن العدو من اختراق الخط الأول، يواجه بدفعات قوية من الجند، مزودة بقوات احتياط[٣].

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١٠٤.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٦٨ - ١٦٩.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٧٧.

؛ المراكشي، المعجب، ١٠٣.

؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ١٣.

؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ٢٧٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٨.

٢ - اشياخ، تاريخ الاندلس، ٢٤٤ - ٢٤٥.

٣ - انظر تفاصيل ذلك في الحلل الموشية، ١٣٢ وما بعدها.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٦٥ - ١٦٦.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٩١.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ٧١.

؛ وانظر، هذه الدراسة، الفصل الأول، الشكل في المعركة الفاصلة مع المرابطين عام ٥٣٩هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حققت القوات الموحدية النصر في كثير من المعارك، وكانت هذه القوات محصنة في دفاعاتها ضمن سلاسل حديدية، لا تبرز منها الا الحراب الطويلة التي تخش العدو بالجراح. ولعب الاسلوب القتالي دوراً بارزاً في ردع قوات الفرسان التي اعتمدها المرابطون، وتفوقوا عليهم بفن الحصار، واختراق أشد المدن تحصناً بآلاته. وبالقذف، وسرعة تغيير الأساليب القتالية، كما حدث في فتح فاس(١) المحصنة بالأسوار المنيعة، ومدينة وهران(٢) ذات الابراج ومدينة مراكش(٣)، وأكثر حصون الأندلس مناعة، وكانت آلات الحصار تقذف الحجارة، وكرات الحديد الملتهبة.

ويقول اشياخ "ونستطيع القول، ربما عرف الموحدون، البارود الذي دخل الى اوروبا عن طريق المغرب في القرنين (السابع والثامن الهجريين) الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حتى شاع بين مسلمي افريقية استعمال الآلات القاذفة للكرات الملتهبة، ووصفها لا يدع مجالاً للشك بأنهم عرفوا البارود"(٤).

ولكن أشياخ لم يذكر مصدره في هذه الرواية، وقد عاش في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ويتحدث عن احداث في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

---

١ - مجهول، الحلل الموشية، ١٣٦.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٠٠.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٩.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٧.

٢ - مجهول، الحلل الموشية، ١٣٣.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٩٨.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٨٨.

٣ - مجهول، الحلل الموشية، ١٣٧، ١٣٨.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٠٢.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٠٩.

٤ - انظر اشياخ، تاريخ الأندلس، ٢٤٦ -، ترجمة محمد عبد الله عنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف الجيش:-

برزت الدقة في تنظيم الجيش وتدريبه واستعداده خلال حركته للجهاد، سواء أكان في افريقية أم الاندلس، وقد أظهر مدى شغف عبد المؤمن بالجيش ذلك الجهد الكبير الذي بذله في اعداده وتنظيمه وتدريبه، وايجاد المدارس لتخريج الأطر الخاصة به، ولا غرابة في ذلك، فقد كان الجيش هو يده في حفظ الدولة، وتحرير الثغور الافريقية والأندلسية من الاحتلال الصليبي. وكانت اقامة العروض العسكرية ومرور الجيش أمامه دليلين على مدى اهتمامه به كدعامة للكيان السياسي والاداري والاقتصادي والاجتماعي، وعمادٍ للأمن والاستقرار.

لقد ورد في الحلل الموشية[١] وصف لحركة الجيش الى افريقية لتحرير المهدية، ومما جاء فيه: "وكانت كل قبيلة تتبع علمها الخاص مطوياً خلال السير، وترفع علم الطلائع المكون من اللونين الابيض والازرق، وعليه هلال ذهب وتحمل الجمال والدواب الأمتعة والعتاد، ويتبع الجيش الغنم والبقر".

ويضيف ويتقدم في السير مائة من القادة والشيوخ، وهم يمتطون الجياد بأسلحتهم الفاخرة، ويرتدون ثياباً فخمة، وهم يحملون مصحف عثمان[٢]، وصنع له تابوتاً عجيباً، وغلفه بغلاف صفائحه من الذهب، ورصعه بالياقوت الأحمر والاحجار الكريمة، وكان من أغرب ما فيه، الحافر الأحمر من الياقوت على شكل حافر فرس، وفيه نفيس الدرر، والياقوت، والزمرد".

وهذا الوصف الذي يبين مدى تقدير الخليفة عبد المؤمن لمصحف عثمان يبين أيضاً أن مبالغ كبيرة تم صرفها على صنع التابوت للمصحف، ويعطي ذلك دلالة على مناهضة سياسة التقشف التي سار عليها الامام المهدي، وحض أصحابه عليها. وفيه إسراف لأموال الأمة التي تجمع كضرائب لخزينة الدولة، كي تنفق على الجهاد ومشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. وتقدير المصحف

---

١ - انظر تفاصيل سير الجيش في الحلل الموشية، ١٥٢، ١٥٣، الزحف الى افريقية؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٣ - ١٤٤، الزحف الى الأندلس،

؛ اشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدون، ٢/ ٥٥ - ٦١، ترجمة محمد عبد الله عثمان.

٢ - انظر الملحق رقم ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشريف لا يكون بانفاق الاموال الطائلة على زخرفته، وحفظه، وإنما بالعمل بما جاء فيه. وعلى كل حال يدل هذا الانفاق أيضاً على أن الدولة في عهد الأمويين كانت كثيرة الدخل، ومزدهرة اقتصادياً.

وكان الجند يسيرون وفق نظام محكم، واذا حان وقت الراحة، نزلت كل فرقة بالمكان المخصص لها، وعلى ترتيبها. وكان الجند مرتبطين بقائدهم العسكري. وقد تعود الخليفة في تحركاته العسكرية أن يصطحب معه الصناع، وكل ما يلزم الجيش من الخدمات.

وكان الخليفة يشهد العروض العسكرية وخاصة لقوات قبيلة كومية، حرسه الخاص، حيث تظهر فنون الفروسية والعاب الخيل(١). كما كان يستعرض القوات المتجهة للجهاد وفق تنظيمها القبلي وهي تقوم بالعروض تتقدمها من قبائل البربر: هرغه، وتنملل، وهنتاته، وكومية، وجنفيسه، ومن قبائل العرب: بنو زغبه والهلاليون، والرياحيون والجشميون.

لقد أمضى الخليفة حياته في عمليات حربية ضد الدولة المرابطية حتى قوضها عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م واقام الدولة الموحدية، وجاهد ضد النصارى من الصليبيين في افريقية وحرر المناطق والمدن منهم، وقضى على الفتن والثورات، وكان يعتز بذلك ويفضله على كل منجزاته الأخرى.

ومما يدل على حب الخليفة للجيش ذلك العرض العسكري الذي استعرض فيه الوحدات العسكرية في مراكش، وهي تمر أمامه، حيث كانت كل وحدة أفضل من سابقتها جودة وسلاحاً، وفراهة خيل(٢).

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢١؛ المراكشي، المعجب، ١٠٩.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٢٨.

٢ - المراكشي، المعجب، ٧٦، ٧٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٢، ط منصور، الرباط، وانظر، الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٣، ١٤٤، عرض توجه الجيش للجهاد في الأندلس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتدل العروض العسكرية على مدى اهتمام الخليفة بهذا الجيش من حيث الاعداد والتدريب والتسليح، وعلى تقديره له لما قام به من دور في البناء المتكامل للدولة وفي إقرار الأمن والإستقرار. وكان على رأس الجيش قادة محنكون، على رأسهم عبد المؤمن والشيخ ابو حفص عمر، فضلاً على القادة الكبار من ابناء الخليفة أمثال: أبي محمد، وأبي حفص، وأبي سعيد، وأبي يعقوب

القوات البحرية:-

اهتم الخليفة عبد المؤمن بالبحرية، فقد اعتنى بإنشاء الأسطول الموحدي الذي كان سبباً في مجد البحرية الموحدية التي ذاعت شهرتها في الآفاق ولا سيما في عهد الخلفاء من بعده، مثل حفيده يعقوب المنصور، الذي طلب صلاح الدين الايوبي(١) عونه لمنازلة الأساطيل الصليبية الاوروبية على سواحل بلاد الشام. ولم يكتف بما انضم اليه من القوات البحرية المرابطية، والمملكة الحمادية، بل عمل على تطويرها وتدعيمها.

وكانت قطع الاسطول الموحدي موزعة بين أهم موانئ الدولة، منها ثمانون في الأندلس، ومائة شمال المغرب، ومائة وعشرون بالمهدية، وفي افريقية والجزائر مائة.

وأشهر الموانئ في العهد الموحدي: قادس في الأندلس، وسبته والمهدية وباديس ووهران وطنجه وعنابه وهنين في المغرب(٢).

وكانت دور صناعة السفن موزعة في انحاء الدولة، فهناك دار صناعة في قصر المعمورة(٣) تختص بصناعة المراكب والحراريق المعدة للنقل الى الأندلس، ودار صناعة الهبالات (الحبلات)(٤)، قرب وادي فاس، وكانت تهتم بصناعة القوارب والمراكب الصغيرة، ثم الحراقات التي كانت تحمل المنجنيقات، وتنبري

---

١ - المقدسي، الروضتين، ٢/ ١٧٣؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٨٢.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١٢ - ٢١٥؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٩، ؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٣؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٤٥، ١٤٦.

٣ - ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢١٠ - ٢١١.

٤ - الجزناوي، زهرة الاس، ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإنقاذ السفن الصغيرة في حالة الخطر، ثم الشلنديات، وهي سفن كبيرة تحمل الأسلحة او الجنود، والطرادات وهي سفن صغيرة وسريعة، ثم الشونات وهي سفن كبيرة تنصب فيها أبراج للدفاع.

وكان من كبار قادة الاسطول في عهد عبد المؤمن علي بن عيسى بن ميمون المرابطي الذي انضم الى الدولة الموحدية، ثم عبد الله بن سليمان، ومحمد ابن عبد العزيز بن ميمون.

وقد تلقى قادة البحر تدريباً خاصاً في التجذيف وقيادة السفن، واشتركوا مع قادة الجيش والموظفين الاداريين في الدراسة في مدرسة الأطر والكوادر الفنية في مراكش(١).

وبرزت أهمية القوات البحرية بدعم القوات البرية عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م في ضم بجاية وهزيمة القبائل العربية في سطيف عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وعام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، حيث تمكن الاسطول في افريقية من فرض حصار بحري على المهدية، وقطع جميع الامدادات عنها، ثم هزم أسطولاً صقلياً قدم لنجدتها، وأسر عدداً من سفنه. كما تبرز أهمية هذه القوات في تحرير تونس وسوسه وصفاقس وطرابلس والقيروان من النفوذ الصقلي، والأمراء الموالين للصليبيين(٢). وفي إحكام الحصار

---

١ - مجهول، الحلل الموشية، ١٥٢ - ١٥٣.

؛ اشياخ، تاريخ المسلمين، ٥٠، ٥١، ٢٤٧، ٢٤٨.

S.P. Scott, History of the Moorish, Vol. 11, p. 298.

٢ - ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٢٣٠.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٢.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٤٨.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١١٣.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٩٢، ١٩٣.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٢٠ - ١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حول المهـــدية[١]، حتى استسلمـــت، وفتحـــت أبوابهـــا عـــام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.

وأبرزت الحملات البحـرية على افـريقية أهمية الأسطـول في تحرير الثغور، وحماية السواحل من الخطر الأوروبي، ومدى الحاجة اليه لردع الأساطيل الصليبية الأوروبية المعادية في البحر المتوسط، وحماية ثغور الأندلس.

وقد انتجت دور الصناعة التي انشأها عبـد المؤمن عام ٥٥٧هـ[٢]/ ١١٦٢م اربعمـائة قطعـة بحـرية في المـوانئ الآنفـة الـذكر المنتشـرة على الســواحل المغـربية والافريقية، والأندلسية.

ولدعم الأسطول أمر الخليفة بمسح أراضي الدولة لمعرفة الامكانات البشرية والاقتصـــادية والعسكـــرية لتزويد القـــوات البحـــرية باحتيـــاجاتها مـــن البحـــارة، والتموين[٣].

وأقام سلسلة من القلاع والحصون والقصبات بالرباط وسلا، واجرى عليها المـاء مـن عين غبوله، ونقش عليهـا آية الجهاد "يا أيهـا الـذين آمنوا هل أدلكم على تجـارة تنجيكم من عذاب أليم ..." وأقام جسراً من السفـن بين القصبة وسلا لتمر عليها الجيوش الى الأندلس[٤].

---

١ - مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ١١٠، ١١١؛ المراكشي، المعجب، ١٥٩، ٢٠٠؛ التيجاني، الرحلة، ٢٤٧؛ ابن الاثير، الكامل، ٦٣، ٦٤، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٠ - ١٢١؛ النـــويرى، تاريخ الغـرب الاسلامـــي، ٤٢٣، ٤٢٤، الجـزء الثـالث مـــن البحـــث، تحـرير المهـدية.

٢ - ابن صـاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١٢ - ٢١٥؛ ابن ابي زرع، القرطاس ١٢٩، ٢/ ١٦٤ - ١٦٥، النـــاصرى، الاستقصـــا، ٢/ ١٤٧؛ أندريه جوليـــان، تاريخ افـــريقيـــة الشمـــالية، ٢/ ١٤٥ - ١٤٦.

٣ - المصادر السابقة.

٤ - ابن صـاحب الصلاة، المـن بالامـامة، ٤٥٠، ٢١٨؛ ابن ابي زرع، القـرطاس، ٢/ ١٦٧؛ النـاصرى، الاستقصا، ٢/ ٢١٨،

، القرآن الكريم، سورة الصف، الآية ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أمر بانشاء القاعدة البحرية في جبل طارق التي عرفت بمدينة الفتح على مدخل البحرين، وزودها بكل أسباب الحياة(١). ولما زار الخليفة المدينة عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م بعد إنشائها، استعرض القطع البحرية فيها، وزود الأسطول بالقيادات والكفاءات، والجند الفنيين، وتمكن به من تحرير المرية ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، في الأندلس من الاحتلال الصليبي الاوروبي، الذي وقع عليها عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وسيطر على البحر المتوسط الى صقلية ومداخله الى المحيط الاطلسي، ومنع امدادات الأوروبيين الى الحملة الصليبية على المشرق الإسلامي(٢)، وقمع حركة القرصنة التي كانت قائمة بين الأوروبيين والسفن الاسلامية في البحر المتوسط(٣).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشعراء مدحوا الأسطول الموحدي وكانت لأشعارهم قيمة تاريخية الى جانب قيمتها الأدبية، ومنهم الشاعر القرطبي المعروف بابن طليق(٤) الذي قال مادحاً الأسطول في مدينة الفتح عام ٥٥٧هـ/ ١١٧١م:

يرمي بهم ظهر طرف ببطن سابحة ... فالبر في شغل والبحر في صخب
وطود طارق قد حل الامام به ... كالطور كان لموسى أيمن الرتب
والجيش تختطف الارواح راحته ... من سابق زبد او عانم درب

والشاعر الرصافي الذي قال في مدح الأسطول أيضاً(٥):

---

١ - رسالة رقم ١٩ (ص ٩٥ - ٩٨) مجموعة رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٤٤؛ الحميرى، الروض المعطار، ١٢١ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ١١٩ - ١٢٩؛ المراكشي، المعجب، ٢١٢.

٢-٣- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٢٧، ٢١٨، ٢٢١.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٦٣ - ٦٤، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢٦٦، ٢٦٧؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٢٥؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٢/ ٥١، ترجمة محمد عبد الله عنان.

٤ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٥٩ - ١٦٤؛ المراكشي، المعجب، ٢١٦ - ٢١٧؛ المقرى، نفح الطيب، ٥/ ١٣٠.

٥ - الرصافي، الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن غالب البلنسي، وقد استوطن مدينة مالقا، المراكشي، المعجب، ٩٣ - ٩٧.

؛ ابن الآبار، التكملة، ٢/ ٥٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٢٦٦ - ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسنم الفلك من شطر المجاز وقد تودين يا خير أفلاك العلا سيرى
فسرن يحملن أمر الله من ملك بالله منتصر في الله منصور
لما تسابقن في بحر الزقاق به تركن شطية في شك وتحبير
أعدى المياه وأنفاس الرياح لها ما في سجاياها من لين وتعطير
وربما خاضت التيار طائرة بمثل أجنحة الفتح الكواسير

الشرطة الموحدية:-

وجدت الشرطة في كل ولاية إلى جانب الوالي والقضاة والموظفين لتطبيق القانون وحفظ الأمن والاستقرار. وتولى قيادتها كبار رجال الموحدين الذين كان لهم الحكم على أهل المراتب السلطانية(١)، ولعبت الشرطة دوراً بارزاً في القضاء على الاضطراب والفوضى، كما كانت أداة الخليفة عبد المؤمن في إقرار العدل، وقمع الظلم، والتنكيل بالخارجين على القانون، والعابثين بالأمن والاستقرار.

هذا وقد أشرف على الجيش الموحدي (الجيش البري والقوات البحرية) في عهد الخليفة عبد المؤمن ديوانان: ديوان العسكر: الذي يرأسه أحد القادة العسكريين وديوان التمييز: الذي يختار الجند الصالحين للحرب.

وكان الخليفة ينعم بالاعطيات على الجند الذين يفوزون بصلاحية القتال، ويلحق بهم ديوان الانشاء الخاص بالجيش.

الطراز:-

تورع الموحدون عن لبس الذهب والحرير، لما ألفوه من بساطة الحياة وتقشفها، ولم يأخذوا بأنواع الطراز. ولبس الجند الأكسيه، والغفائر، والبرانس، والقبطيات، والعمائم، والمقاطع(٢). وكان لأصحاب الحرف الصناعية طراز خاص(٣).

التنظيم الاقتصادي:-

حقق الخليفة عبد المؤمن الأمن والاستقرار والعدل في أرجاء الدولة، ووفر النقد، وسبل المواصلات، وطوّر الحياة الزراعية، والصناعية، والتجارية.

---

١ - ابن خلدون، المقدمة، ١٩٩، ٢٦٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٣.

٢ - المصادر السابقة.

٣ - المراكشي، المعجب، ٢٨٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقد:-

وقد وجدت في النظام الاجتماعي الموحدي الذي وضعه ابن تومرت طبقة خاصة عرفت بالسكاكين(١) الذين يضربون العملة، وكانوا ثلاثة نفر: تنملالي، هنتاتي، جنفيسي.

واتخذ ابن تومرت الدرهم المربع الشكل، وكتب على الوجه الأول: (لا اله الا الله، الأمر كله لله، لا قوة الا بالله). وعلى الوجه الثاني: (الله ربنا محمد رسولنا المهدي امامنا)(٢).

وقد أجرى الخليفة عبد المؤمن تغييراً على نقد ابن تومرت، حيث استعمل: الدينار الذهبي، والدرهم الفضي، والمثقال وله وزن الدينار(٣)، والاوقية(٤)، ولها وزن الدرهم، ومن الشكل المربع الى المستدير. وكان وزن الدينار الموحدي الذهبي ٧٢٩ غراماً. وكتب على الوجه الاول:

حافة الدائرة: أبو محمد عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين.

داخل المربع الصغير: المهدي امام الأمة الاسلامية بأمر الله.

داخل المربع الكبير: على الحافة العليا والسفلى اسم المدينة.

الوجه الثاني:-

حافة الدائرة: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

داخل المربع الصغير: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

داخل المربع الكبير: على الحافة العليا والسفلى اسم المدينة(٥).

---

١ - السكة: دار ضرب النقد بالختم عليها بطابع حديد ينقش عليها صور أو كلمات مقلوبة، انظر، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٢٢٢، ٢٢٣.

٢ - مجموعة رسائل موحدية، ٤٧، نشر ليفي بروفنسال.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ٤٧.

؛ ابن خلدون، المقدمة، ٢٠٥.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٦١.

٣ - انظر، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ١٦٤.

؛ قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٢١٢.

٤ - انظر، قلعجي، قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٩٧.

٥ - ابن خلدون، المقدمة، ٢٠٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٥٥، ٥٦، ٢٩٢؛ هوبكتر، النظم الاسلامية، ١٧٨،

؛ حسن عبد الوهاب، النقود العربية في تونس، ٣٥.

ويرى حسين مؤنس أن الدينار الموحدي كان يساوي ٢٫٣٥ غراماً ولما ضاعفه المنصور أصبح ٤٫٧٠ غراماً ابو يوسف الحكم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة تحقيق حسين مؤنس، ص ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجزائر في التاريخ

العهد الوسيط من الفتح الى بداية العهد العثماني

ملحق الصور

د. رشيد بورويبه ، د. مولاي لعنان

د. عبد الحميد حاجيات ، د. لطايبية دحمينية

د. محمد بلقراد

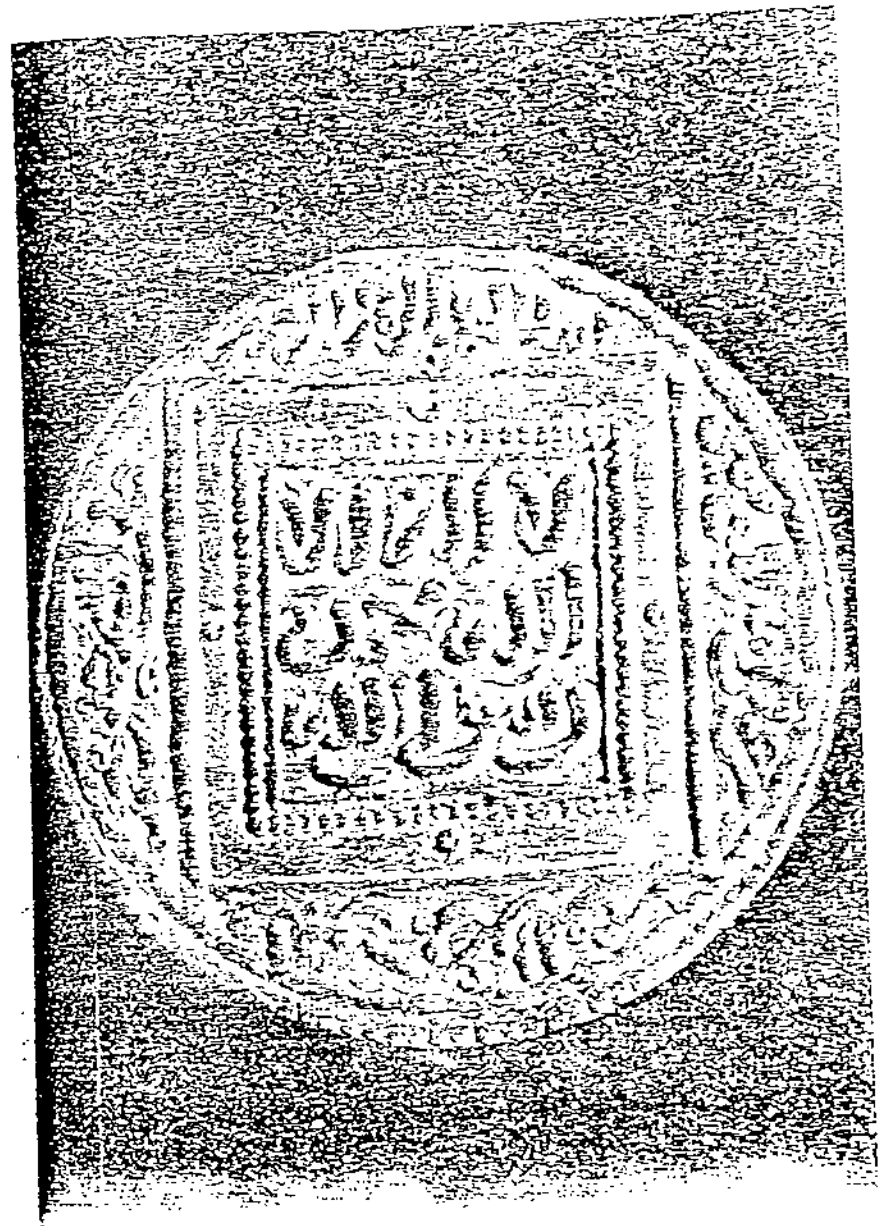

وزارة الثقافة / المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر ١٩٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجه درهم موحدي

ظهر درهم موحدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان بفاس داران للسكة، تسكان النقد الرئيسي للدولة المكون من الذهب والفضة، وأما الدرهم فقد سك في الولايات بمختلف الأوزان على أساس الدينار والدرهم. وضربت عملات مختلفة حسب تعاقب الأمراء، وأشير اليها بالدينار المؤمني، والدرهم المؤمني، والنقود المؤمنية(١).

وتم الاهتمام بالسكة بعد أن وزع الخليفة على رجال الاسطول اثني عشر ألف دينار بعد الانتصارات التي حققوها على الاسطول الصقلي خلال تحرير المهدية، عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وأوجدوا قطع صرف العملة: "الدرهم والربع والثمن والخراريب".

وكان الدرهم المؤمني نصف درهم النصاب، ومربع الشكل، تزن الأوقية منه سبعين درهماً على اختلاف الكتابات عليه(٢).

وذكر ابن جبير "أن الدينار المؤمني يعادل نصف الدينار المصري في ذلك التاريخ" (أيام صلاح الدين الايوبي)، وأما مثاقيل الذهب فأوزانها لا تختلف. وأما الدراهم فان معاملها درهمان: درهم كبير، ودرهم صغير، فالدرهم الكبير قدر بثلث درهم من الدراهم(٣) النقرة بمصر والشام، والدرهم الصغير على النصف من الدرهم الكبير، ويكون قدر سدس درهم نقرة بمصر والشام، وعند الاطلاق يراد الدرهم الصغير دون الدرهم الكبير الا بمراكش وما جاورها فانه يراد بالدرهم عند الإطلاق (الدرهم الكبير).

وكان كل مثقال ذهب عند الموحدين يساوي ستين درهماً كبيراً، وعشرين درهماً من الدراهم النقرة بمصر. وأما رطلها فيساوي ست عشرة أوقية، وكل أوقية واحد وعشرون درهماً من دراهمها(٤). وهناك إشارتان الى دينار أو مثقال يزن عشرة دنانير أو عدداً من الدنانير. ونتيجة لاختلاف الدنانير تختلف نسبة الدرهم إلى الدينار(٥).

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٦١.

؛ الوزير الاندلسي، الحلل السندسية، ٢٥٢، وانظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ص ٣٠٠.

٢ - المراكشي، المعجب، ١٣٤، ٢٠٧.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ١٤٢.

؛ ابن جبير، الرحلة، ١٢، ١٩، ٢٥.

٣ - الدراهم النقرة: يتكون ثلثاها من الفضة وثلثها من النحاس، وتطبع بدور الضرب السلطانية، انظر، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي. ١٦٠.

٤ - القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٧٧؛ وانظر، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ١٩٦، قلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٢٢٣.

٥ - انظر، مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، ١٦١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتنى الموحدون بسك الدراهم ومراقبة تزويرها حتى لا تؤثر على التعامل اليومي، وسعر الصرف، ونوع العملة، وبينوا مكان ضربها في وثائق بيوعاتهم(١). ومع ذلك لم يتمكنوا من وضع حد لعبث الصرافين، والتعامل بالذهب والفضة، والتحكم بسعر نسبة الدرهم الى الدينار، وتفاضل العملات، ومعرفة تزويرها، لأن ذلك يتطلب معرفة بالعيار والوزن، وقد قبض على عددٍ ممن يزورون العملة الموحدية(٢).

وقد استغل الصرافون جهل الناس بالعملات في النصف الأول من القرن السادس للهجرة، وباعوا العملات المتفاضلة وزناً وعياراً ومراطلة(٣).

وكان استعمال الذهب والفضة أساساً للنقد من قبل الدولة الموحدية يدل على متانة الاقتصاد والثقة به، وقدرته على ثبات الأسعار، والحفاظ عليه من التقلبات المتأرجحة بين العرض والطلب للانتاج، واتزان السوق، والقوة الشرائية للدرهم، كما يدل على ارتفاع دخل الأفراد والنمو الاقتصادي، ويقظة الدولة على العملة، ومحاولة منع التزوير، وتقلب سعر الصرف. ويبرز دخل الدولة في البركة(٤) التي كانت توزع على الجند ومستحقيها التي قدرت بنصف مليون من الدنانير الموحدية(٥).

العوائق الاقتصادية:-

قضت الدولة الموحدية على العوائق الاقتصادية التي عانى منها الناس في شرق المغرب والأندلس ومراكش، كالمغارم والمكوس والقبالات التي كان يأخذها الولاة ظلماً بالاكراه. وبعث الخليفة عبد المؤمن برسائل الى الطلبة والحفاظ والشيوخ والولاة توعد فيها الظلمة، وطلب اليهم ملاحقة المتسببين بالقبائح بالضرب على أيديهم. وطلب ألا يؤخذ من الناس إلا ما أقره الشرع، ولا يلزموا

---

١ - الونشريسي، المعيار، ٦/ ١١٦، ١٣٦ - ١٣٧، ١٨٨.

٢ - انظر أبو يعقوب التادلي، التشوف ٢٢٩ - ٢٣٠.

٣ - الونشريسي، المعيار، ٦/ ٢١٢، ٣١٠، ٣١٧ ٥/ ١٠، ١٠/ ٢١٦؛ وانظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي ٣٠١، ٣٠٢.

٤ - انظر بشأن البركة، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٥١.

٥ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكساً ولا مغرماً ولا قبالة[١].

وأكد عبد المؤمن بن علي على حماية التجار، وتأمين الطرق مهدداً بقتل من يخالف هذا الأمر[٢]، وأنزل العقوبات بقطاع الطرق[٣]. وقد سيطر الاسطول الموحدي على سواحل البلاد الغربية والشرقية فساد الاطمئنان، وخافه الأعداء[٤].

وقد حرص الموحدون على تسييل الجسور دون قبالة أو اجارة[٥]، وعوضوا التجار عما يفقدون في الكوارث[٦]. كما حرصوا على بناء الأسواق وتشييد الفنادق للمسافرين والتجار، وتمهيد الطرق وتزويدها بالماء. وكانت رواتب الجند توزع بصورة منتظمة مما أنعش الأسواق[٧].

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان؛ الرسالة الموجهة الى الاندلس، ١٥٠ - ١٦٧، الرسالة، رقم ٧، (٢١ - ٢٢) من مجموعة الرسائل الموحدية، نشر ليفي بروفنسال.

؛ المكس: في اللغة الجباية، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية، والماكس هو العشار، ويقال له صاحب مكس، وفي الحديث "لا يدخل الجنة صاحب مكس" والمماكسة في البيع انقاص الثمن.

؛ انظر الونشريسي، المعيار، ٢/ ٤٩٢؛ والشرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، ٤٣٦.

؛ القبالة: الضريبة التي تدفع لبيت المال، وقد اطلق هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع، وكانت تستخدم في المغرب للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف او بائعو السلع الرئيسية.

؛ انظر، دوزى، ملحق القواميس العربية، ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦،

؛ الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٣٧٦،

؛ قلعجي، وقتيبة، معجم لغة الفقهاء، ٣٥٥.

٢ - مجموعة رسائل موحدية ٥ - ٦؛ ابن القطان، نظم الجمان ١٦٧.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ٣٦٧ - ٣٦٨؛ أبو يعقوب التادلي، التشوف ٣١٩، ٣٨٧ الحميري، الروض المعطار، ٦٧؛ المقرى، نفح الطيب ٣/ ١٠٧.

٤ - ابن الاثير، الكامل ١٢/ ١١٤؛ المراكشي، المعجب ٢١٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ٧/ ٦٠ ابن واصل، مفرج الكروب ٢/ ٤٩٦؛ ابو شامه، الروضتين ٢/ ١٧٠. تحقيق جمال شبال.

٥ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٣٤، ٢٣٥؛ الرسائل الموحدية ١٣٨.

٦ - رسائل موحدية ٢٣٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٨٥، ٤٨٦.

؛ مجهول، الاستبصار، ١٨٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس ٣٤.

٧ - البيذق، اخبار المهدي، ١١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٤١ - ٤٤٦

؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٥٩؛ المراكشي، المعجب ٢٣٢؛ ابن ابي زرع، القرطاس ١٤٣.

؛ رسائل موحدية ٧٣ - ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمكن عبد المؤمن - بهذه السياسة - من القضاء على الفساد الإداري والاقتصادي، مما نمّى الاقتصاد، وطمأن الأفراد على أموالهم، فتمتعوا بثمرة جهودهم.

النشاط الزراعي:-

اختلف الفقهاء في حكم أرض المغرب هل هي عشرية أم خراجية صلحية أم خراجية عنوية أم مختلطة؟ وقد امتلك الموحدون أراضي المعارضين لدعوتهم بحكم تكفيرهم من يخالفهم واعتبار دمهم ومالهم حلالاً(١). كما آلت ملكية أراضي الدولة المرابطية إلى الدولة الموحدية بالإضافة الى تملك أراضي الأمراء المتنفذين من المرابطين وجندهم. ونظراً لاتساع أراضي الدولة فقد أنشأت ديواناً خاصاً لإدارتها.

وفي عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، حافظ الخليفة على الملكية الخاصة، وأمر الفارين بالعودة الى بلادهم(٢)، وتظهر هذه السياسة الجديدة تراجعاً عن خطة الموحدين السابقة بالاستيلاء على الأرض، ويبدو أن ذلك ناتج عن توقف عجلة الحياة الاقتصادية. وضعف دخل الدولة ومشاريعها وخدماتها العامة. وقد ميز الموحدون بين الأراضي التي ضمت صلحاً والتي فتحت حرباً، فأرض تونس بقيت بأيدي أصحابها على أن تدفع نصف الانتاج، وبلاد الأندلس الربع(٣)، وأما قفصه فقد بقيت على المساقاة تدفع النصف. وكانت الملكية الخاصة في عهد عبد المؤمن إما عن طريق التمليك من قبل الدولة أو عن طريق الوراثة(٤).

---

١ - انظر المهدي، اعز ما يطلب، ٢٤٥؛ البيذق، اخبار المهدي، ٣٩، ٤٠؛ المراكشي، المعجب، ١٩٥، ١٨٨، ٢٤٤. ؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١١٤؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٩٤.

؛ ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٥٧٢.

؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ١٩٢، وبشأن المساقاة، انظر؛ الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٤٢٣؛ قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٤٢٥.

؛ وانظر بشأن نظام الاراضي، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ١٢٩، ١٣٠ وحاشية رقم ١.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٦.

؛ مجموعة رسائل موحدية، ٤٤، نشر ليفي بروفنسال.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٥، ٤٤٦ - ٤٤٧.

؛ أبو يعقوب التادلي، التشوف ١٩٤؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ١٣٨.

٣ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٤.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٧٠. ؛ ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٢٤٢.

؛ المراكشي، المعجب، ٢٣٠. ؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢١١.

٤ - البيذق، اخبار المهدي، ٥٤، ابن سعيد، المغرب، ١/ ١٦٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عامل عبد المؤمن اقطار افريقية والأندلس وكأنها تفتح لأول مرة ثم يعتنق اهلها الإسلام، علماً بأن سكانها قد اعتنقوا الاسلام منذ الفتح الأول ... في عهد الدولة الاسلامية ايام خلافة عثمان والدولة الأموية(١).

وقد اوقفت الدولة الموحدية كثيراً من الاراضي احباساً على المساجد وللمستضعفين من الاولاد، والنساء والمرضى(٢)، وقد اعطى عبد المؤمن اقطاعاً من الأراضي للمعارضين تسكيناً لأنفسهم واستجلاباً لطاعتهم، وفعل ذلك مع قبائل بني هلال في الشرقية.

وبعد ضم افريقية، أمر الناس الذين فروا بالعودة الى املاكهم الزراعية(٣)، وتأثرت الحالة الزراعية في الأندلس من خروج ابن مردنيش على الدولة وحدوث الحرب المستمرة، وقد اتبع عبد المؤمن سياسة الإكرام والود مع الثوار السابقين كي لا يثوروا مرة أخرى.

وتوجه الخليفة الى استصلاح الاراضي، واقامة السدود، وتنويع المزروعات في السهول والجبال، في الرباط ومراكش وفاس وجبل طارق(٤). وقدم الموحدون المساعدات للمزارعين كالطعام حين الحاجة، وفي سنوات القحط.(٥) كما كانوا

---

١ - انظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي ١٢٩، ١٣٠،

٢ - المراكشي، المعجب، ٢٣١، ٢٢٥.

؛ الونشريسي، المعيار، ٧/ ٨٠، أبو يعقوب التادلي، التشوف ٢٧٣.

٣ - ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٣٤، ١٥٩، ٢٤٥؛ المراكشي، المعجب ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٥٥؛ ابن القطان، نظم الجمان ١٣٧.

؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ٦١.

؛ الونشريسي، المعيار ٢/ ١٧٥، ١٧٨، ٨/ ١١٤، ٩/ ١١٥؛ ابو يعقوب التادلي، التشوف ٩١، ١٦٦، ١٨٣.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٨٦.

؛ ابن الخطيب، الاحاطة ١/ ٣١١.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٠٦، ١٤٣، ١٢٦.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٣٠.

؛ وانظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ١٤٢ - ١١٥٠.

٤ - البيذق، اخبار المهدي، ١٢٠.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٤١، ١٤٢، ابن عذارى، البيان، ٤/ ٧٤.

؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٣٧٨.

٥ - ابن عذارى، البيان، ٤/ ٧٤.

؛ المقري، نفح الطيب ١/ ٣٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقدمون البذار. وأدى الاهتمام بالزراعة الى وجود مناطق متخصصة في زراعة أنواع معينة، ففي الأطلس الشرقي يزرع القمح والشعير وقصب السكر،وفي قابس الحرير، وفي قسنطينه القطن، وفي متيجه القمح والشعير والحنطة. وعرفت بجاية وتونس بأنهما منطقتا أخشاب وشجعوا زراعة الحبوب، والفواكه في فاس وتلمسان ومراكش، واتسعت زراعة قصب السكر بالسوس، وأصبح انتاجها يصدر للخارج، وذلك دلالة على حسن الادارة والتخطيط الاقتصادي حيث يتم تنويع المزروعات حسب مناخها، وحسب حاجات السوق الخارجي، وفي ذلك زيادة في دخل الدولة ودخل الافراد مما أدى إلى دفع عجلة الحياة نحو النمو والتقدم واقامة المشروعات الاقتصادية المختلفة(١).

وعمل الموحدون على حفظ مياه الأمطار في الآبار، ومد القنوات إلى المدن مثل مراكش وسلا والرباط، وبنوا الصهاريج وأقاموا النواعير، وشيدوا القناطر والسدود(٢). واعتنوا بصيانة أماكن المياه، وزرعوا حولها الأشجار لتقليل التبخر. وقد أدت هذه السياسة الزراعية إلى زيادة الانتاج، وزيادة دخل الدولة من الضرائب كالعشور والخراج، وخاصة من الزيتون والتمور.

وقد انتج بستان الخليفة في مراكش عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م من الزيتون، ٣٠٠ر٠٠٠ درهم، ومن زيتون مكناس ٣٥٠ر٠٠٠ درهم، ورأى ابن سعيد بسجلماسه صكاً بـ ٤٠ر٠٠٠ درهم من انتاج الزيتون ايضاً، مما زاد من دخل الدولة وساهم في دفع رواتب للجند، وجوائز للشعراء والأدباء وطلبة العلم(٣).

---

١ - مجهول، الاستبصار، ٢١٠، الزهرى، الجغرافية، ١٢٥.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٤٨.

؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٠٣، ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٥٨١؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٥.

؛ مجهول، الاستبصار، ٢١٠؛ المراكشي، المعجب ٢٨٧، مسالك الابصار، ٤/ ٤٩.

؛ الحميرى، الروض المعطار، ١٢١، ١٢٥؛ مجهول، الاستبصار، ٢١٠.

٣ - القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٦٤، مجهول، الحلل الموشية، ١٠٠.

؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/ ٨٩١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤١٦.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣١؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٨٢، ٩١.

؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/ ٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزاد الاهتمام بتربية الخيول لأغراض عسكرية وخاصة بتلمسان وسجلماسه وافريقية، وفي جبل زغوان، والمسيلة، والزاب. واستعملت هذه الخيول في حملات الدولة الموحدية على الأندلس(١)، كما استعملت الابل في تنقلات العسكر(٢)، واهتم الموحدون ايضاً بالمراعي وتربية الدواجن والنحل والصيد(٣).

الجباية:-

وضع الخليفة عبد المؤمن نظاماً دقيقاً للجباية، لتمويل ايرادات الدولة من الزكاة، والأعشار والخراج وأخماس الغنائم والمعادن، وفق سجلات خاصة، وسمي القائم عليها الجابي (صاحب الاعمال). وقد تولى أمرها الموحدون، وتابع تنفيذها الولاة والعمال والجباة الذين كان يتابعهم الموحدون أيضاً في المناطق التي يحلون بها. وتولى الجباية في بعض الجهات موظفون من غير الموحدين(٤) لخبرتهم بجغرافيتها البشرية والاقتصادية. ومما يذكر أن الموحدين جبوا واردات الدولة نقداً وعيناً، حيث كانوا يجمعون الغلات ويحفظونها في مطامير لاستعمالها في تموين الجيش أثناء الحملات العسكرية. وقد اشار ابن صاحب الصلاة إلى أن القمح في سلا والمهدية كان بكميات كبيرة جداً.

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤١٩؛ رسائل موحدية ٩٠، ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣١، ١٨٧.

٢ - ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣٠.

٣ - ابن عذارى، البيان المغرب ٤/ ٧٧؛ رسائل مغربية ٦٧، ٩٨، ١١١، ١٧٥؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٨٢

؛ ابن خلدون، العبر ١/ ٩١؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافية ١٠٧، ١٢٠.

٤ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٣٨، ١٧٧ - ١٧٩، ١٨٧؛ رسائل موحدية ١١٦.

؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣٥؛ البيذق، اخبار المهدي ١٤١ - ١٤٢.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٢، ١٢٩.

؛ ابن سعيد، المغرب، ١/ ٢١٩، ابن خلدون، المقدمة، ١٩٣.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٦٦، وبشأن الجباية، انظر الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٩١، انظر، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ١٧٣ - ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الادارة المالية:-

نظم عبد المؤمن بن علي الادارة المالية، ودعم الزراعة، وحافظ عليها. وكان ديوان الجباية يشرف على التحصيل، ويضبط الأموال، ويختمها. وأوجد سجلات خاصة، تتعلق بالزراعة والصناعة والتجارة. وكان يجري تنقلات بين الجباة من وقت لآخر حفاظاً على حسن العمل وادارته، ومردود دخل الدولة، مما كان له أثر في الاستقرار(١).

المكاييل والموازين:-

استعمل الموحدون أنواعاً من الموازين والأوزان كالأوقية والرطل والقنطار والربع والعدل. ومن المكاييل: المد والوسعة والقلة والقفير والصحفه. ثم عملوا على توحيدها واستخدموا كيلاً اكثر من الوسعة مقداره ستون صاعاً بالصاع النبوي(٢).

الرواتب:-

كان لزيادة دخل الدولة من الانتاج الزراعي اثر في دفع الرواتب كالبركة، و المواساة. ووزعت البركة على الجند وعرفت باسم الجامكية(٣)، ودفعت رواتب شهرية، وأعطيت للقبائل العربية لتأليف القلوب.

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٨، ١٨٢.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٥٩، ٤٥١؛ مجهول، الاستبصار، ١٨؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٤٤، ١٤٧؛ وانظر الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٤٧، ٣٦٠، ٣٠٨، ١٢٧، قلعجي وقنيبي، معجم الفقهاء، ٤٥٠، ٥٠٢، ٣٦٨، ٢٢٣.

؛ انظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ٢٩٧.

٣ - المراكشي، المعجب، ٢٩٠؛ وانظر قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ١٥٨.

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٣٧. وعرفها المراكشي راتب الجند وعطاؤه، وتخرج ثلاث مرات في العام

؛ وانظر مسالك الابصار، بشأن المواساة، ٤/ ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعطيت الاراضي اكراماً للامراء؛ لأمير بجايه، المهدية، وبني امغار (اخوى المهدى)[١] وذلك لضمان استقرارهما وولائهما للدولة بعد أن شك الخليفة في تحركاتهما واتصلاتهما بالقبائل وشيوخ الموحدين، وحتى يكونوا تحت المراقبة.

واردات الدولة:-

كان الخليفة عبد المؤمن يحصل الضرائب وفقاً للشريعة الاسلامية، وقد أشار الى ذلك بقوله "من دخل في طاعة الموحدين، لا يطالب الا بما توجبه السنة، ولا يلزمون مكساً، ولا مغرماً، ولا قبالة، ولا سيما ما يسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه"[٢].

وتتمثل واردات الدولة في الزكاة والعشور والأخماس والغنائم والخراج، والأراضي التي فتحت صلحاً حيث تدفع نصف انتاجها كتونس، وحرباً كقفصه تدفع النصف على المساقاة، والأندلس تدفع الربع.

وكان القاضي يتولى توزيع الزكاة على مستحقيها، ويعاد الباقي الى خزينة الدولة[٣].

وأما الخراج، فقد نظم في عهد عبد المؤمن بعد تحرير الثغور الافريقية: بونه والمهدية وقفصة وتونس وطرابلس وبنزرت، وضمها. ولهذه الغاية تم مسح الأراضي من برقة حتى لمطه على المحيط الأطلسي.

---

١ - البيذق، اخبار المهدي، ١١٦؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٥٩.

؛ المراكشي، المعجب، ٢٢٥؛ العمرى، مسالك الابصار، ٤/ ٣٥.

٢ - مجموعة رسائل موحدية، ٢٢، نشر ليفي بروفنسال، ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٦؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٣.

؛ المراكشي، المعجب، ٢٢٧.

٣ - مجموعة رسائل موحدية، ٢١، ليفي بروفنسال.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمر عبد المؤمن بتكسير (مسح) بلاد افريقية، والمغرب، وقد كسر من بلاد افريقية من برقة الى بلاد نول في السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء، والأنهار والسباخ، والطرقات، والخروق، وما بقي قسط عليه الخراج، والزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك في المغرب(١). وظهر من ذلك أنه استثنى من هذه المساحة الثلث المتكون من الجبال والأنهار والسبخات والقفار، اما الثلثان الآخران فقد وظف عليهما الخراج، وضبط لكل قبيلة ما يجب عليها دفعه من الحبوب والأموال.

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥٨؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ١١٢.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٩؛ اندريه جوليان، افريقية الشمالية، ٢/ ١٤٦،

الشعراء: الارض كثيرة الشجر الملتف، انظر، ابن منظور، لسان العرب، م ٥، ٦/ ٧٨ - ٧٩؛ ابراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ١/ ٤٨٤.

السباخ: جمع سبخه: الارض المالحة لم تحرث او تعمر، انظر، ابن منظور، لسان العرب، م ٣، ٤/ ٥٠٠؛ ابراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ١/ ٤١٣.

الطرق: السبيل، ابن منظور، لسان العرب، م ١١، ١٢/ ٩٠ - ٩١؛ ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ٢/ ٥٥٦.

الخروق: الريح الباردة شديدة الهبوب، كأنها اخرقت وتخللها المراضع، انظر، ابن منظور، لسان العرب، م ١١ - ١٢ - ٣٦٠، ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ١/ ٢٢٩.

القسط: قسط الشيء، جعله أجزاء معلومة، تؤدى في أوقات معينة، انظر، لسان العرب، م ١٩، ١٠/ ٢٥٢، ابراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ٢/ ٧٣٤.

الورق: بكسر الراء معناها الفضه، والورّاق، الرجل كثير الورق، أي المال، والورق كانت مضروبة دراهم، وقال ابو عبيد معناها الفضة المال، ويقال الذهب والفضة، وقيل أن الكلمة مأخوذة من ورق الشجر، ويقال انها فارسية او يونانية.

انظر، الشرباصي، معجم الاقتصاد الاسلامي، ٤٧٦، ٤٧٧؛ قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٥٠١؛ ابن منظور، لسان العرب، م ١١، ١٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥

؛ ابراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت تلك أول محاولة لتنظيم الجباية المقدرة على الدخل دون النظر الى طبيعة الأرض والموقع والأمطار، ولا يعلم لماذا استثنى الجبال التي قد تكون مزروعة بالاشجار المثمرة، وقد تكون رياً وبعلاً، وربما كان ذلك اجتهاداً منه وفقاً لفهمه للشريعة الاسلامية.

وقد اعتبر الموحدون أنفسهم المؤمنين حقاً، واعتبروا غيرهم مجسمين يشك في عقيدتهم، ويحق انتزاع املاكهم، وحبسها، وأخذ الخراج عليها لخزينة الدولة.

هذا، وقد استعمل بنو هلال مشرفين على أراضي الموحدين بالمغرب، وبنو عبد الواد من زناته على الأراضي الواقعة على الملوية، وكان لهذه القبائل عبيد يخدمون الأراضي، ويتصرفون بالمراعي بكل حرية، ومقابل هذه الامتيازات، كلفوا بالخدمة العسكرية(١).

ولا ريب في أن ما قام به عبد المؤمن بن علي من مسح البلاد لتقدير الضرائب على اراضيها قد احتاج الى خبراء في المساحة، وربما كان ابن حسان القضاعي أحدهم.

وجمع الخراج - كما ذكرنا - عيناً ونقداً، وحفظ العين في مطامير. وقد حمل من إفريقية ١٥٠ بغلا ذهباً سنوياً، وما يماثلها من إشبيلية وتلمسان(٢). وورد من خيل تلمسان ١٠٠٠ فرس وإفريقية ٤٠٠٠(٣)، واعتبر ذلك مورداً أساسياً ودائماً من موارد خزينة الدولة ليصرف منها على جميع المرافق العامة والمؤسسات

---

١ - انظر ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٧٤.

هوبكتر، النظم الاسلامية في المغرب؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ١٤٦ - ١٤٧.

٢ - مجموعة رسائل موحدية، ٢٦، نشر ليفي بروفنسال.

؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٢٤١.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤١٤، ٢١٩، ٤١٩.

؛ النويرى، تاريخ الغرب الاسلامي، ٢١٠، ٢٢١.

؛ المراكشي، المعجب، ١٦٧، ٢٥٥.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤١٩.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٠٠.

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العسكرية والتعليمية. والسياسة الزراعية التي اتبعها الخليفة باستصلاح الأراضي، وجمع مياه الامطار، ومد القنوات ورفع المكوس، والمغارمة، والقبالة، ومسح الأرض، وتنظيم الجباية، تدل على وجود خبراء وفنيين أكفاء، أسهموا في تحسين النشاط الزراعي، وزيادة دخل الافراد، والدولة، وفي الرفاه الاقتصادي بشكل عام.

النشاط الصناعي:-

أولى الخليفة عبد المؤمن الجانب الحرفي الصناعي اهتماماً كبيراً، وقد عفا عن أرباب الصناعة من المرابطين حينما فتح مراكش عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م،(١) وذلك لتنمية الصناعات الزراعية والمعدنية، وتوفير حاجة السوق وتصدير الفائض، ولتوفير دخل للافراد والدولة. واستعمل القوة ضد سكان مكناس الذين قتلوا الفحامين في الغابات، والذين كانوا يمدون الصناعة في فاس - أعظم المدن الصناعية - بالفحم الذي يلعب دوراً مهماً في تطوير المعادن الى مواد مصنوعة حسب حاجة الأسواق، وللتصدير، مما يساهم في دخل الأفراد ورفاههم الاقتصادي والاجتماعي. ويبدو أن قتلهم من قبل المعارضة كان يرمي إلى شل الحياة الاقتصادية ثم الاجتماعية.

ولشدة شغف الناس بالعمل كان بعضهم يحترف المهنة كراهية العطالة، حتى أن النساء العاملات كن يشترطن في عقود النكاح الا يمنعن من ممارسة صنائعهن(٢).

وقضى عبد المؤمن على العوائق كالمكوس والقبالة التي كانت تفرض على الانتاج الصناعي، وشجع الفنيين على تطوير صناعتهم وزيادة الانتاج كابن يعيش، وابن بايسه، وابن النقرات الذين برعوا في الكيمياء، وابن جعفر الذهبي في الطب والصيدلة(٣). وزاد الاهتمام بالصناعات العسكرية، والمعمارية، وادوات الزخرفة(٤)؛ وبرز في العهد الموحدي عدد من المغاربة في الصنائع المختلفة(٥). كأبي الحسن علي بن

---

١ - ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٥٨٤.

٢ - ابن الآبار، التكملة ١/ ٩٣ - ٩٤؛ الونشريسي، المعيار، ٦/ ٢١٢.

٣ - البيذق، اخبار المهدي، ١٠٩؛ مجموعة رسائل موحدية، ٢٢، ٩٧، نشر ليفي بروفنسال، الغبريني، عنوان الدراسة، ١١٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٣٩، ٤٨٢؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٥١؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ٣٥؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الاطباء، ٢/ ٦٦.

٤ - القلقشندي، صبح الاعشا ٥/ ١١١؛ مسالك الابصار، ٤/ ٤٨.

٥ - ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ١٥٠ - ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوسف بن عبد المؤمن في البناء وهندسة الري، وعلي الغماري في البناء، وسعيد الغماري في الطب، وأبي علي المراكشي في الهندسة.

وكان لكل صنعة أمين ورئيس يدعى عريفاً، وكان هؤلاء يعملون على تطوير الصناعة وجمع الضرائب من أرباب حرفتهم(١)، وكان أرباب كل حرفة يرتدون زياً خاصاً بهم.

وصنفت الاسواق حسب المنتجات والأصناف المعروضة، كالعطارين، الفخارين، الدباغين، الصباغين، الوراقين(٢). وتدل الاسواق التخصصية على مدى الاهتمام بالحرف والصناعات، وتشجيعها من قبل الدولة، واقبال الناس على امتهانها بايجاد أسواق حسب الاصناف الانتاجية، وحسب العرض والطلب، وتصدير الفائض عن الاستهلاك المحلي إما للأسواق الداخلية أو الخارجية. ويظهر ذلك مدى اشراف الدولة على تنظيم مثل هذه الأسواق وعلى مدى النشاط والنمو الاقتصادي.

المراكز الصناعية:-

اشتهرت عدة مدن بصناعة النسيج كالصوف والقطن والحصر، والبسط مثل تلمسان ومديوفه وسلا وسجلماسه، ولمطه، وقفصه ونفراوه. ويبدو أن الدولة الموحدية قد شجعت على شراء المنسوجات لاتخاذ البنود والاعلام والخلع التي قدموها للعامة والخاصة. والكسوات التي جعلوها جزءاً من رواتب الجند.

واستخرج أهل صفاقص نوعاً من نباتات البحر استعمل في النسيج، كما نسجوا البسط من الصوف، وشجعت الدولة تلك الصناعات(٣).. ونمت صناعة الورق وازدهرت حتى قال المقرى(٤) واصفاً دقة صنعه: "رقعة في ورقة بيضاء، ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وان قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود".

---

١ - المراكشي، المعجب، ٢٨٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٧٤؛ عنوان الدراسة، ١١٥.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١١٨؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٦؛ المقرى، نفح الطيب، ٣/ ١٥٢. ؛ انظر الونشريسي المعيار ٦/ ١٤٢؛ موسى، تنظيمات الموحدين، ٢٨٢؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ٢٩١، ٤٣٧.

٣ - مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ١٥٤، ١٥٩؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٩١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٠٤، ١٤٢؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٢٠١، ٣/ ٢٢١.

٤ - المقرى، نفح الطيب، ٤/ ٣٢٦، ٣٢٧، وذكر المقرى "حكي أن بعض المغاربة كتبها الى الملك الكامل بن العادل بن ايوب، وفيها ابيات من الشعر:

لئن صدني البحر عن موطني ... وعيني باشواقها زاهره
فقد زخرف الله لي مكسة ... بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا ... وبالملك الكامل القاهره

وقال واظن ان المقري اندلسي لقوله لئن صدني البحر عن موطني، ولذلك، ادخلته في اخبار الأندلسيين، ولست على تحقيق ويقين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشـارة المقـرى هـذه تدل ايضـاً على توافـر المـواد الخـام والقـدرة على استغلالهـا وتصنيعها بدقة واتقان. وقد اعتنت الدولة بهـذه الصناعة حيث استعمل الـورق في المراسلات، وعزز حركة الترجمة والتأليف وازدهـرت الصناعات الجلدية والدباغة في عدة مدن مثل: بنزرت حيث ازدهرت صناعة الفراء، وفي لمطة الدرق، اضـافة الى السيـوف والـرماح وفي مـالقه الحـزم والأغشيـة الجلـدية، وفي بجـايه، واشبيلية وفاس الأحذية، وبرزت ظاهرة التجليد(١)، والزخرفة في مصحف عثمان، وبرع في ذلـك المهنـدسون، والصنـاع، والصبـاغون، والنقـاشون، والـزواقون، والمـرصعون، والنجارون، وصنعـوا له صندوقاً مرصعاً بالياقوت الأحمـر والأصفر، والأخضر، والزمرد.

وأتقـن الموحدون الصبـاغة ومزج الألوان، وكانت مـدينة فاس من أعظم المدن في صناعة الصباغة حيث وجد فيها ١١٦ مصبغة(٢)، وقد تنوعت المنسوجات وألوانها حسب حاجة الأسواق الداخلية، وأذواق المستوردين.

واعتنى الخليفة بتصنيع الأخشاب(٣) لبناء الأسطول، والصناعات العسكرية، وقد أقام دوراً لصناعة السفن على السواحل الشرقية والغـربية في سبته، وتونس، وغيابه، وباريس، وسلا(٤).

---

١ - الادريسي، نزهة المشتاق ١١٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى ١١٤، المقري، نفح الطيب، ١/ ١٥٩.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٤٣٩، ٤٤٥.

؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٦١١.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٦؛ العمري، مسالك الابصار، ١/ ١٤٢.

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ٢١٩.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٤٤، ٤٤٣.

؛ الجزنائي، زهرة الاسى، ١٠.

؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ١٣٩.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣١.

؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ١٠٣.

؛ الحميرى، الروض المعطار، ١٠١.

؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٢٠١.

وذكـر الادريسـي، والحميري ١٢٤، استعمـل اخشـاب الصنوبر في صناعة السفـن لتميز الاخشـاب بطـولها وغلظها، وصفاء بشرتها، ودسامته بحيث لا يفعل به السوس ما يفعله بغيره، ومنـه كانت تتخذ الصواري والقرى، وانظر د. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية ٣٦ - ٣٧.

٤ - موسى، تنظيمات الموحدين ٣٠٨ - ٣٠٩؛ الجزنائي زهرة الاسى ١٠؛ الـزهرى، كتاب الجغرافية ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتهر الموحدون في عهد الخليفة عبد المؤمن بصناعة الطبول للبشرى او لتسيير الجيش، حتى بلغت ٧٠ طبلاً مما دفع صاحب الحلل الموشية إلى وصف طبل الحرب "طبل كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً منشأ من خشب اخضر اللون مذهب، فاذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم أنه طبل الرحيل وكان يرحل الناس، وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه"(١)

كما اشتهر الموحدون باقامة الجسور ومراكب النقل، وبناء المساجد، والمستشفيات.

ومن اشهر صناعاتهم منبر الجامع الذي بناه عبد المؤمن في مراكش والذي جاء آية في دقة الصنعة والجمال، على يد المهندس الحاج ابن يعيش المالقي والذي توفي بعد عام ٥٤١هـ/ ١١٥٦م، وصنع من خشب الصندل الأحمر والأصفر، وصفائح الذهب والفضة، وصنع مقصورة من الخشب من ستة اضلاع تتحرك ميكانيكياً عند دخول الخليفة الى المسجد والخروج منه.

وقد وصف أبو بكر بن مجبر يحي هذه المقصورة بقصيدة جاء فيها:

طورا تكون بمن حوته محيطة ... فكانها سور من الاسوار

وتكون طورا عنهم مخبوءة ... فكانها سر من الاسرار

وكانها علمت مقادير الورى ... فتصرفت بهم على مقدار

فاذا أحست بالامير يزورها ... في قومه قامت الى الزوار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده ... فتكون كالهالات للاقمار(٢)

وقد بين الشاعر دقة الصنعة الهندسية للمقصورة، والتقدم العلمي الذي تجلى في تصميمها وحركاتها، كما في صندوق مصحف عثمان، الذي يتحرك تلقائياً ذهاباً وجيئة على كرسي وتفتح ابواب الصندوق، وتغلق بصورة تلقائية(٣).وأبرزت

---

١ - انظر مجهول، الحلل الموشية، ١٢٦ - ١٢٧.

٢ - مجهول، الحلل الموشية، ١٤٤، ١٤٥.

؛ الغرناطي، شرح المقصورة، ١/ ٧٠.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٢٨.

؛ عبد العزيز بن عبد الله، مجلة البينة، الرباط، ص ٧٤، العدد التاسع.

٣ - المقرى، نفح الطيب، ١/ ٦١٣، ٦١٤.

؛ الناصري، الاستقصا، ٢/ ١٢٦ - ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دقة الصنعة للمقصورة وجود مهندسين وفنيين اكفاء في المغرب والاندلس، وما وصلت اليه الدولة من التقدم في هذا المضمار، كما أبرزت مساهمة المهندسين والفنيين الأندلسيين كابن يعيش الذين مزجوا فنهم بالفن المغربي.

وأقام الخليفة عبد المؤمن طواحين تدار بالماء على الأنهار لطحن الحبوب وقد تمكن المهندس الحاج ابن يعيش من اقامة طاحونة تدار بواسطة الرياح في جبل الفتح (طارق)(١). وأقيمت مصانع لانتاج الصابون في المدن كمكناس وتنملل ومراكش وفاس لكثرة انتاج الزيتون(٢). ويبدو أن كثرة المشاريع المائية قد دفعت الموحدين الى ادخال الأرحاء المائية باعداد كبيرة الى مراكش.

وشجع زيادة المساحات الملائمة لزراعة قصب السكر، وقدم الحوافز لزيادة الانتاج واقامة المعاصر(٣)، وتضاعف انتاجه في السوس وكان يصدر الى جهات المغرب.

المعادن:-

ازدهرت صناعة التعدين تبعاً لإنشاء دور صناعة السفن والصناعات العسكرية، ولتوافر المعادن في مختلف انحاء الدولة.

وقد وجد الذهب في وادي حدره (غرناطة)، والحديد في اشبيلية والمرية، ودانية ووهران. والرصاص في المرية، والفضة في فاس، والنحاس والتوتيا في السوس. واستغل المرجان والعنبر والملح(٤) من بلاد جاجة ومراكش، والشب من السوس والصدف من نهر فاس، وكان يقوم مقام الجوهر النفيس(٥).

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٢؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ١١٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٥٥.

٢ - مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ٢١٠؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ١١٦؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٧٠.

٣ - مجهول، الاستبصار، ٢١٢؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٧٦

؛ الادريسي، نزهة المشتاق ٦٥، مجهول٤، الاستبصار/ ١١٧؛ القلقشندي، صبح الاعشا ٥/ ١٧٦.

٤ - الزهرى، كتاب الجغرافية، ٩٥ - ١١٥؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٢٠١؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٩، ١٧، ١٨.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٦١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ١٦٨،

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ٢١٩.

؛ أبو يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة ٢٣، ابن سعيد، المغرب ٢/ ٢٢٨

٥ - رسائل موحدية ٣٥، الزهرى، كتاب الجغرافية ١١٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس ١٧.

وانظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي في القرن السادس الهجري ٢٤٤ - ٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتهرت بجاية وتونس وفاس في افريقية بالصناعات المعدنية حتى أن فاس وحدها كان فيها ١٢ داراً لصناعة النحاس والحديد. بينما كانت المرية وبسطة داري الصناعة في الأندلس.

وقد تميزت بعض المدن بصناعة الأسلحة والدروع وأجهزة الخيول. واستخدمت المنتجات المعدنية في تأثيث المساجد والقصور بعد تطعيمها بالذهب والفضة. كما استخدمت في صناعة الأنابيب والقناطر والجسور في المغرب والأندلس (١).

التجارة:-

نجح الموحدون في إشاعة الأمن في جميع أرجاء الدولة مما كان له أثر على ازدهار التجارة، كما ساعد على ازدهارها ما شهدته الدولة الموحدية من نمو زراعي وصناعي، ولتوافر الأسواق الداخلية والخارجية، ورفع العوائق كالضرائب، والعناية بالطرق التجارية، واقامة القناطر والجسور، ومحطات الاستراحة، والآبار والاسواق (٢).

---

١ - المقرى، نفح الطيب، ١/ ٢٠١؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ١٤٠.

؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ١٥٩؛ بوجندار الرياض، مقدمة الفتح، ٢/ ١٣٩.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٣٧، ١٤٠؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٤؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٨٩؛ البيذق، اخبار المهدي، ١٢٨؛ ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٧٥٣؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ٢٠٨.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس ٢٦؛ وانظر القلقشندي، صبح الاعشا ٥/ ١٦١، رسالة موحدية ١٤٥ نشر بروفنسال ٥ - ٦.

٢ - مجموعة رسائل موحدية، ٢٢، نشر ليفي بروفنسال، ٥ - ٦.

؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٣٤، ٣٦٧، ٤٤١، ٤٤٧.

؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٧، ١٥٠ - ١٦٧؛ مجهول، الاستبصار، ١٠٧، ١٨٩؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢/ ٣٤؛ البيذق، اخبار المهدي، ١١٣.

؛ عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، ٢/ ٤،

؛ ابن الاثير، الكامل، ١١/ ١٥٩؛ المراكشي، المعجب، ٢٣٢.

؛ أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية، ٣٨٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونشطت التجارة الى داخل افريقية عن الطريق الصحراوي باتجاه الواحات الى مصر، وأصبحت مالي مركزاً لتعدين الذهب، بالاضافة الى غانه(١). واصطدمت التجارة في الشرق مع الدولة الفاطمية ثم الأيوبيين والصليبيين الذين وضعوا على تجارة المغاربة المكوس، وشددوا على منع وصولها الى اسواق الشام لمشاركتهم في الحرب الى جانب المسلمين ضدهم، واعترضت الطريق التجاري عبر طرابلس، القبائل العربية التي كانت تسكن تلك المناطق(٢).

وسمحت الدولة لتجار من بيزه وجنوه بالرسو في الموانئ المغربية، وكانت تحمل جلود اللمط(٣)، مقابل ٨٪ ضريبة عشورة وقد لجأ النورمان الصقليون الى كسب ود الموحدين بدفع إتاوة لهم فازدادت الواردات، والحركة التجارية. وكثرت المحلات التجارية على الموانئ، ودفع ذلك كبار رجال الدولة كالفقهاء، والملاكين، والصناع، وحتى النساء للعمل بالتجارة(٤)، ولعب اصحاب رؤوس الأموال، والوكلاء، والشركاء دوراً بارزاً في تشجيع التجارة ورواجها عن طريق تسليف الأموال، مما أدى الى السيولة النقدية(٥). ولعب اليهود المغاربة دوراً بارزاً في قطاع الصيرفة(٦)، وقد مهد يهود أوروبا والمشرق السبيل لليهود المغاربة في مجال التجارة الخارجية مع اسبانيا ومصر والهند وخاصة ان العلاقات العائلية قد ربطت بين اليهود المغاربة والمشارقة(٧).

---

١ - المقرى، نفح الطيب، ٣/ ١٠٥، ٥/ ٢٠٥؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ٢٨٧.

٢ - ابن جبير، الرحلة، ٥٦، ٢٧٤؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٦٨.
؛ موسى، تنظيمات الموحدين ٥٦.

٣ - د. حسين مؤنس، اطلس تاريخ الاسلام، ٢٩٨، واللمط جلد حيواني سميك لا تعمل فيه السيوف فكانت تصنع منه الدروع؛ انظر ابن الاثير، الكامل، ١١/ ٤٤، ٤٦٨؛ المراكشي، المعجب، ٢٥٢.

٤ - المقرى، نفح الطيب، ٥/ ٢٠٥.
؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٧.
؛ الونشريسي، المعيار، ٢/ ٤١٩.

٥ - المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٦٢٨، والتسليف الذي لا منفعة منه للمقرض ويرد كما أخذ؛ انظر؛ الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ٢٢٤، ٢٢٥،
؛ قلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٢٤٨.

٦ - المقرى، نفح الطيب، ٧/٢٧٠-٢٧١؛ الغبريني، عنوان الدراية ١٤٨؛ ابن قنفذ، انس الفقير، ٨.

٧ - انظر، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي،٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدى ظهور قطاع الصرافة، والعلاقات التجارية مع المدن الايطالية، الى انتشار الاسواق ذات الصناعات العسكرية، فكان البيع اما نقداً، أو عن طريق الحوالة المالية، والمقايضة، والسلف.

وشُكلت إدارة للأسواق لتشرف على سير العمل، والتعامل اليومي(١)، وكان تعامل التجار المغاربة مع البلاد الاوروبية يقوم على التعامل بالعملة الذهبية التي كان الأوروبيون يعيدون سكها، لتعادل العملة الذهبية عندهم(٢). وقامت الوكالات بدور بارز في التعامل، وبيع المنتجات، وحفظ الاموال(٣).

وارتبطت الطرق التجارية، بأماكن الانتاج الزراعي، والصناعي والتسويق، والأماكن ذات الكثافة السكانية، والموانئ.

ففي المغرب طريق ساحلي بين نول وتنس، مارابسلا وسبته، ثم باديس فوهران تنس الى طرابلس(٤). وطريق جبلي يربط بين مكناس وفاس وتلمسان. وطريق الصحراء عبر الواحات الى مصر(٥). وفي الاندلس بقيت الطرق التجارية ولم يحدث عليها تغيير جذري(٦).

---

١ - المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٥٨، ٢٣٩، ٧/ ٢٠٧.

؛ البكرى، المغرب، ١٠٧.

؛ الادريسي، المشتاق، ٥٢؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٧٦.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٠٩؛ الونشريسي، المعيار، ٦/ ٢١٢.

٢ - مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ٢١٧؛ البكرى، المغرب، ١٧٣.

؛ الونشريسي، المعيار، ٦/ ٢١٢؛ انظر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي ٢٧٨ - ٢٨٤.

٣ - المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٦٢٨.

٤ - البيذق، اخبار المهدي، ١١٣.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٤٩.

٥ - مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ٢٠٣.

٦ - الادريسي، نزهة المشتاق، ٢٠٨.

؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ٨٠.

؛ المقرى، نفح الطيب، ٣/ ٢١٩، ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعبت الطرق النهرية في المغرب والأندلس دوراً بارزاً في نقل المنتجات(١)، كنهر سبو في المغرب، ونهر شقر في الاندلس، ونشطت حركة السفن التجارية من الساحل الغربي في المغرب من اسفي، ولمطه، ونول الى طرابلس(٢). والاسكندرية، ودمياط، وعسقلان وقيساريه ويافا وحيفا وعكا حتى اللاذقية. بالاضافة الى طريق يأتي من الاسكندرية حتى المرية بالاندلس مارا بموانئ افريقية وصقلية.

وتنوعت الصادرات والواردات بين ولايات افريقية والأندلس، وشملت الصناعات الفخارية والزجاجية والجلدية والخشبية والمعدنية والورق والبسط والمواد الاولية(٣).

واستوردت افريقية من المغرب القمح، وصدرت اليها المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والفستق(٤).

---

١ - البكري، المغرب، ١٠٧، ١٤٨، ٧، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ١٠٩، ١١٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٢٠٨؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ٨٠؛ المراكشي، المعجب، ١٢٥؛ مجهول، الاستبصار، ١٣٤؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٩٨.

٢ - مجهول، الاستبصار في غرائب الامصار، ١٤١.

؛ د. حسين مؤنس، اطلس تاريخ الاسلام، ٢٩٦، ٢٩٨.

؛ انظر، خريطة الطرق التجارية البحرية بين افريقية والأندلس والمشرق الاسلامي.

٣ - الزهري، كتاب الجغرافية، ٩٣.

؛ الحميري، الروض المعطار، ١٦٥.

؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ٢١٩.

؛ المقري، نفح الطيب، ١/ ١٤١، ٢٠١.

٤ - الزهري، كتاب الجغرافية، ١٠٨.

؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصدرت المغرب الى السودان ومصر والعراق والهند: القمح والتين واللوز والزئبق والكبريت الأحمر والسكر والشبة والنيله[١].

دور العرب في الحياة الاقتصادية:-

استقرت القبائل العربية التي شاركت في الجهاد ونشر الاسلام في المغرب، كقبائل بني هلال وسليم ومعقل بالقرب من موطن البربر في مناطق المغرب المختلفة، وأثروا فيهم وتأثروا بهم، وساهموا بنشر اللغة العربية بينهم، مما سهل عملية الدمج الاجتماعي فاستعرب كثير من قبائل البربر.

واستقدم الخليفة عبد المؤمن بعضاً من القبائل العربية مثل: رياح وزغبه وعدي والاثبج عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وتوزعت في مناطق مختلفة من المغرب. ووصل بنو هلال الى الصحراء، وتبعتهم بنو سليم، وقبائل بني حسان من معقل، واستقروا جنوب الساقية الحمراء[٢]. وحافظت القبائل على أنسابها وأصولها، وكانت كثيرة الترحال بحثاً عن منتجعات الغذاء، واتخذت لخيولها أسماء كالازور، واشهرها خيول هلال بن عامر، وهي من الخيول العرب العشاق الأحساب المدربة. وقد أمر الخليفة بالمحافظة على هذه الخيول، ونقلها للمغرب.[٣]

واستقرت القبائل من برقة الى المغرب كقبائل رياح التي استوطنت بلاد الهبط والخلط وسفيان، والأثبج في تامسنا وتاولا وعرب معقل في البوادي والاودية، وذبابة بين برقة وقابس. وقدموا خدمات للحجاج في الطرق الصعبة، وحدث تفاعل بين البربر والعرب، وانتقلت الخيول اليهم، وقد اعتنى العرب في

---

١ - المصادر السابقة، وانظر:

؛ ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية، ٣٣٠،

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ٢/ ١٥٩.

٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١٦٤، ١٧٣، ٢٠٨، ٢٠٩.

؛ ابن خلدون، المقدمة، ٢٦٧؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٤٠، ١٥٠.

؛ مصطفى ضيف، اثر العرب في الحياة المغربية، ٢٦٩.

٣ - ابن عذارى، البيان، ٣٦٣/١، ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢١٥، ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افريقية بالزراعة، واستخدموا اليهود والبربر في العمل(١)، وزرعوا السفرجل الذي اشتهرت به نغزاوه وتاجره، والنخيل الذي عرفت به بلاد الجريد. واشتهرت بلاد الجريد بالموز والتمور والرطب والسمك وعسل التمر والفستق والزيتون والحناء، وصناعة الثياب.(٢)

وسكن العرب الهلاليون الزاب على اطراف الصحراء، وامتازوا بتربية الخيول والابل والبقر. وامتزجت القبائل العربية في جبل درن مع السكان وعملوا بالتجارة والفلاحة والرعي.

وساهمت القبائل في التجارة عن طريق الواحات بنقل السلع وحماية القوافل التجارية الى السودان ومصر، وعن طريق سجلماسه - درعا - اوغشت - النيجر التي اختصت بها قبائل معقل(٣)

وعملت ذبابة من بني سليم في منطقة طرابلس بتجارة الملح الذي يستخرج من باطن الارض، واحتكر العرب هذه التجارة عبر الواحات الى السودان ومصر، والنيجر، وغانة. وكانت القوافل تعود محملة بالصمغ، والصوف، والخرز.(٤)

ووجدت المعادن في أماكن سكنى العرب من برقة الى طرابلس وفزان، مثل الكبريت والحديد والفضة(٥) التي لعبت دورا مهما في الصناعات المختلفة،

---

(١) - القلقشندي، صبح الاعشى، ١١٣/٥، ١٥١، ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ١٦٨/٣؛ ابن سعيد، بسط الارض في الطول والعرض، ٧٥، ٧٩،

؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ١٠٨؛ ابن خلدون، العبر، ٧٠/٦.

(٢) - التيجاني، الرحلة، ٣٠٧، وما بعدها، ١٥٧؛ مجهول، الاستبصار، ١١٢، ١٥٠، ١٥٢؛ ابن خلدون، العبر، ٤١٢/٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ١٠٦/٥، ١٠٧.

(٣) - ابن خلدون، العبر، ٥٧/٦، ٤٠٥؛ مجهول، الاستبصار، ٢١٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٥٦ وما بعدها.

(٤) - ابن خلدون، العبر، ٨٧/٦، القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٨٦/٥.

(٥) - ابن سعيد المغربي، بسط الارض، ٦١، ٨٠

؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ٣٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

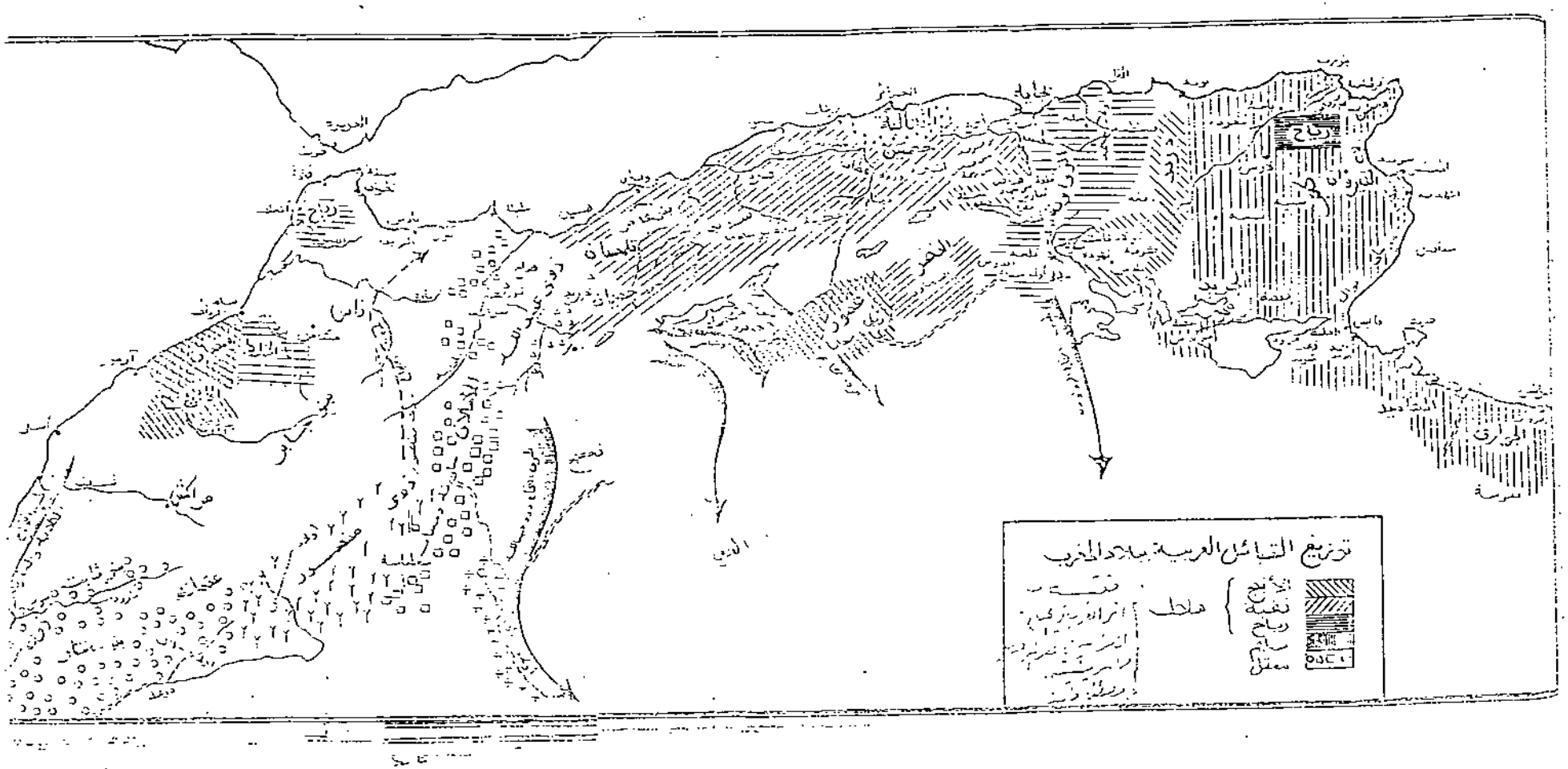

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكمادة تجارية في المراكز الصناعية المختلفة، كدور صناعة السفن، والصناعات العسكرية، والجسور، والقناطر.

وانفرد العرب بتزويد المدن الداخلية بالمواد الغذائية كالحبوب والعسل والسمن حتى غمرت الاسواق، وبتجارة الأغنام والعسل والقطران بين الاسكندرية وطرابلس، وازدهرت عندهم دباغة الجلود البقرية.(١)

وكان لاستقرار القبائل العربية في مناطق مختلفة من المغرب وافريقية أثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وفي نشر الاسلام واللغة العربية. وساهموا بالجهاد في الأندلس، واستشهدت اعداد منهم. وقد ساهموا بحفظ الأمن والاستقرار في المناطق المختلفة التي توزعوا فيها في عهد عبد المؤمن، وأقاموا اقتصادا زراعيا مناسبا لحياتهم، وصدروا فائضه الى اسواق المدن الداخلية، بتشجيع من الدولة للحفاظ على الاستقرار، والأمن، وكانوا يد الدولة وعينها، والتفوا حول الدولة وناصروها وبذلك حقق الخليفة عبد المؤمن أهدافه السياسية في ضمان عدم ظهور المعارضة، او التوراث.

---

(١) - الادريسي، نزهة المشتاق، ١١١، ٩٤، ١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس
التنظيم الفكري والثقافي

- المنهج الفكري
- الأفكار السياسية
- السياسة التعليمية والحياة الثقافية
- علاقة الموحدين بالشرق الإسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنظيم الفكري والثقافي:-

المنهج الفكري:-

ركز الموحدون[١] في دعوتهم على مفهوم عقيدة التوحيد، وعلى أن القرآن والسنة هما مصدر التشريع، وأن إعداد الإنسان فكرياً ونفسياً إنما يكون انطلاقاً منهما، ووفقاً لما تضمناه من مبادئ. وهذا المنهج الذي اختطّه محمد بن تومرت سار عليه خليفته عبد المؤمن بن علي عاقداً العزم على تحقيق تلك الثوابت كبنية تحتية لبناء الأفراد.

لقد بدأ ابن تومرت دعوته عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وذلك خلال رحلة عودته من المشرق الإسلامي إلى المغرب بعد أن أدى فريضة الحج لذلك العام؛ متخذاً من المساجد في مكة المكرمة ثم مصر فإفريقية فالمغرب مكاناً لانطلاقة تلك الدعوة، مؤكداً بذلك على إحياء دور المسجد في مجال اعداد المسلمين وتربيتهم فكرياً وسياسياً.

وعقدت لابن تومرت في بجاية وفاس ومراكش مناظرات فقهية حولها إلى منبر إعلامي شرح من خلاله أسس التغيير الفكري والثقافي والسياسي للدعوة، ووضح منهجه في الحياة.

وعلى الرغم من أن ابن تومرت بربري من قبيلة هرغة، إلا أنه استخدم في دعوته ومناظراته اللغة العربية التي استخدمها أيضاً خليفته عبد المؤمن بن علي وربى أبناءه عليها، مما يشير الى اعتبارها اللغة الرسمية للعلم والمعرفة.

لقد عاد ابن تومرت عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م إلى موطنه ايجليز حيث قبيلته هرغة التي ناصرته، فاتخذ من موطنه نقطة ارتكاز لدعوته ولأصحابه الدعاة. وأحيا لدى الناس فكرة التعبد بغار هناك، وبايعه أصحابه تحت شجرة خروب معيداً إلى الأذهان بيعة الصحابة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيعة الرضوان[٢].

---

١ - انظر ملحق رقم ٣، ٤.

٢ - ابن كثير، التفسير، ٤/ ١٨٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٣/ ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتخذ ابن تومرت من المهدية والعصمة سلاحاً فكرياً وسياسياً ليقنع العامّة بصدقه، كما أخذ عن التيارات الفكرية كالمعتزلة والأشعرية والأمامية. ويبدو أنه كان انتقائياً في أفكاره، إلا أنه بلور منهجاً خاصاً بدعوته[١] أخذه عنه خليفته عبد المؤمن.

ثم هاجر ابن تومرت مع أصحابه إلى تنملل التي أصبحت داراً للهجرة حيث آخى بين أصحابه ومؤيديه من القبائل (المهاجرين)، وأهل تنملل (الأنصار)، ونظم المجتمع على أسس دقيقة، وأصدر رسائل[٢] (بيانات) حدد فيها سياسته الفكرية ومبادئ دعوته، مقارناً بين حزب الله (التوحيد) وحزب الشيطان مبيناً منهجه في التغيير كحزب سياسي مبدؤه الاسلام، والثوابت الأساسية المستمدة من القرآن والسنة للإعداد والتربية.

وحض ابن تومرت أتباعه على تعلم فاتحة الكتاب وسورة معها، وفهم معانيهما، لأن الصلاة لا تتم الا بهما. وعلى المحافظة على الصلوات، وتعليم الأبناء، واجتناب المحارم، ورد المظالم، وألا يأكلوا أموال الناس بالباطل، ولا يخونوا ولا يغدروا، ولا يتحاسدوا، وأن يصلوا ذات بينهم. وفي ذلك تكوين لعقلية الإنسان ونفسيته لإيجاد المجتمع المسلم الذي تتوحد فيه الأفكار والمشاعر والأنظمة. وصياغة حياته بطريقة تمكنه من قياس الأمور على التوحيد والأصول. وذلك بعد أن بين مفهوم حزب التوحيد، وحزب الشيطان، والرشد من الغي، وأن من يكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً. وقد تمكن بهذا المنهج الفكري من إخراجهم من الحياة المادية الى الحياة الروحية، وأصبحت افكاره تسري في عروقهم، وأصبح الجهاد والاستشهاد أمنيتهم.

---

١ - انظر الملحق رقم ١.

٢ - الرسالة (البيان) رقم ١، البيذق، اخبار المهدي، ١ - ٨؛ الرسالة رقم ٢؛ البيذق، اخبار المهدي، ٨ - ١٣؛ وانظر، ابن تومرت، أعز ما يطلب، ١ - ٤٠٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٢٧ وما بعدها؛ وانظر، الفصل الاول من البحث، الهجرة الى تنملل عام ٥١٩هـ، وتنظيم المجتمع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأفكار السياسية:-

حدد ابن تومرت القواعد السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية التي سار عليها، ورسم الطريق لخليفته عبد المؤمن وللموحدين وبين موقفه السياسي من الكفار الذين يبغون في الارض الفساد، وأنهم إن تركوا على ذلك تقع الكارثة(١)، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجا الناس جميعاً.

وحدد نظرته السياسية في التعامل معهم وفقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي رواه كعب بن عجرة: "قال: أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدي، فمن غشي أبوابهم، وصدقهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولست منه، ولا يرد عليّ الحوض. ومن لم يغش أبوابهم، ولم يصدقهم على كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني، وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض"(٢).

وذكرهم "أن الله منّ عليهم بالاعتصام بدينه، في زمن عم هوله، وأشرب قلوبنا الحق واليقين بوعده ونصره، لا يضرنا من ناوأنا، وعادانا، أو خالفنا او خذلنا ما دامت أرواحنا في اجسادنا، وما دامت السموات والأرض، ونحن على ذلك ثابتون لا نمله ولا نيأس، حتى نلقى ربنا غير مبدلين ولا مغيرين، فمن كان على ذلك فهو من حزبنا"

وتربى أصحاب ابن تومرت ومنهم عبد المؤمن بن علي في هذه المدرسة. وقد عمل عبد المؤمن على تحقيق الأفكار ونقلها، وتثقيف الناس بها قولاً وعملاً بالحكمة والموعظة الحسنة، ورفع راية الجهاد لتحطيم القوى التي تقف أمام الدعوة ولا ينفع معها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

١ - الرسالة (البيان)، رقم ١، (٤ وما بعدها)؛ الرسالة (البيان) رقم ٢، (٩ وما بعدها).

٢ - الرسالة (البيان) رقم ١، (١، ٦، ٧، ٨)؛ ابن القطان، نظم الجمان، ٤٢ - ٤٣ وما بعدها؛ وانظر، النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ١، ٦٨/٢؛ البخارى، الصميم ٩/ ٤٦؛ النسائي السنن شرح السيوطي وحاشية الامام السندى)؛ السيوطي، الجامع الصغير شرح المناوى الفيض القدير، ٦/ ٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اتخذ عبد المؤمن من الرسائل[١] (البيانات) وسيلة اعلامية لنشر الأفكار، وبيان التعليمات والانظمة في كل ولاية، وكانت تلك الرسائل تلقى من على منابر المساجد وتشرح ويتم توضيحها، ثم تعمم على الحواضر والبوادي. وكانت تكتب بأسلوب أدبي متين، ينمّ عن دقة في اختيار الألفاظ الملائمة للمفاهيم والمعاني مما يجعل منها وثائق تاريخية.

وتبدأ هذه الرسائل بالصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان دعوته الى الحق، وتتضمن بعضاً من سِيَر الصحابة، وتوضح كيف أن فكر الاسلام وثقافته قد ضربت جذورها في الأرض، وارتفع ساقها وفروعها في السماء. وأن العلماء بعد أن تركوا علمهم، وركنوا الى الدنيا، غطت عقولهم غشاوة وجاءت دعوة التوحيد لاستئناف الدعوة إلى الاسلام بإعادة فهم أفكاره وأصوله، في زمن عم فيه الظلم والجهل[٢].

وكتب عبد المؤمن على قصبة رباط الفتح بسلا على ضفة وادي الرمان (أبي الرقراق)، الآية: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[٣].

وأقام الحدود على تاركي الصلاة، وشاربي الخمر، وقطع دابر المكس، والمغارم، والقبالات، وطلب تطبيق تلك الاحكام الشرعية في الرسائل[٤] (البيانات) الموجهة الى الطلبة في الأندلس وقسنطينة بافريقية.

---

١ - رسالة أوردها ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠، ١٦٧.

٢ - انظر رسائل عبد المؤمن من رقم ١ - ٢٣ (١ - ١٣٨)؛ مجموعة رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال.

٣ - القرآن، سورة الصف، الآية رقم ١٠.

٤ - الرسالة، اوردها ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠ - ١٦٧.

؛ رسالة موجهة الى طلبة قسنطينه، ٢٢، نشر ليفي بروفنسال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وساد الأمن[١]، وازدهرت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وازداد دخل الدولة، وشيدت المدارس، وانتشرت العلوم، وعقدت المناظرات الفكرية، وقدمت الجوائز التقديرية للمبدعين، ووجد التعليم الإجباري، وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية، ولكن سمح لذوي العجمة المستعصية من البربر بالتعلم بالبربرية[٢]. وتم تشجيع الكتاب الذين عرفوا بقوة المنطق وعمق الفكر بالرد على الكتاب الذين حملوا على الدعوة. ودفعت رواتب للأطباء والشعراء[٣].

السياسة التعليمية والحياة الثقافية:

أنشأ الخليفة عبد المؤمن المدارس والمعاهد في المدن لتخريج الأطر الفنية والادارية لتسلم القيادة، وفقاً لسياسة الدولة، وكان يلحق بكل مدرسة بيتا للطلبة[٤]، وشارك الأفراد في فتح المدارس؛ فقد أسس أبو الحسن الشاري الغافقي مدرسة بسبته على نسق مدارس المشرق الاسلامي. واحتوت المساجد على المدارس وكثرت الكتاتيب، وسارت على مناهج التوحيد والأصول.[٥] وأعدت المدارس بدقة واتقان، وفقاً للثوابت الأساسية للبنية التحتية للحياة الفكرية التي اختطها الموحدون.

---

١ - ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٨.

٢ - المراكشي، المعجب، ١٦٧، ٢٢٨، القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٥٧.

؛ الناصرى، الاستقصا، ١/ ١٦٦.

٣ - ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/ ٨٩١.

؛ أشباخ، تاريخ الاندلس، ٢/ ٥٢.

٤ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٣/ ٤٧.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٥٠.

؛ مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، ٤٢، ٦١، ط الرباط.

؛ المقرى، نفح الطيب، ١/ ٣٦٩.

؛ الكعاك، المراكز الثقافية في المغرب، ٥٥.

; S.P.Scott,History of the Moorish Empire,Vol.11,p.297

٥ - ابن خلدون، المقدمة، ٤٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وصف صاحب الحلل الموشية منهج الخليفة عبد المؤمن بقوله: "وكان الخليفة عبد المؤمن باراً بما انضوى إليه عالماً بأقدار الناس مكرماً لأعيانهم، وأهل البيوتات منهم، عالماً بمقادير العلماء، ينزل الناس على قدر منازلهم ورتبهم، ووقف الحفاظ على كتاب الموطأ، وأعز ما يطلب، وغير ذلك من تواليف المهدي، فيأخذهم يوماً بتعلم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه، ... بأن يجذفوا على قوارب، وزوارق، وكانت نفقتهم، وسائر مؤنهم من عنده، وعدتهم وخيلهم كذلك"(١). وكانوا يتعلمون المرشدة في التوحيد، أي: (اعلم أرشدنا الله)(٢).

وكان لكل تخصص رئيس يختاره الطلبة ليطالب بحقوقهم(٣)، مما يشير الى أنهم كانوا ينظمون أنفسهم في ما يشبه الاتحادات الطلابية المعروفة اليوم. وكانت السياسة التعليمية لا تسمح للطلبة بدراسة المنطق والفلسفة الا بعد أن يعدّوا فكرياً بحفظ القرآن، وقراءته وتفسيره، ودراسة الفقه والحديث كصحيح مسلم، وسنن ابي داود، والترمذي، والنسائي، والبزار، وموطأ مالك، وكتب الغزالي(٤). وكان

---

١ - مجهول، الحلل الموشية، ١٥٠-١٥١.

؛ وانظر، أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢/ ٥١-٥٢.

٢ - الرسالة رقم ٢٣، الفصول ١٣٢ مجموعة رسائل موحدية.

؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢/ ٢٥٢.

٣ - السيوطي، بغية الوعاة، ١٧٠.

؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ٢/ ٧٧.

؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ٢٩٩.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٢.

؛ الكعاك، مراكز الثقافة في المغرب، ٥٧.

٤ - ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ٢/ ٦٩، ٧٠.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ٥٠.

؛ ابن الخطيب، الاعلام، ٣٢٧.

؛ المراكشي، المعجب، ٣٢٧.

؛ الزيز، صلة الصلة، ٣٠٠.

؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢/ ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسمح للطلبة باختيار المدرس الذي يريدون، ويناقشون بما شاءوا. وقد عرفت الدولة الموحدية إلزامية التعليم لجميع الناس ذكوراً وإناثاً[١]، وفي ذلك دلالة على ما وصلت اليه الحركة الثقافية في عهد الخليفة عبد المؤمن من تعميم للتعليم، أسفر عنه تطور الحركة الفكرية والثقافية في جميع المجالات الأدبية والعلمية وكانت تقوم على التدريس والخطابة لشرح الدعوة، ونشرها بين القبائل طائفة مختارة من تلامذة المهدي الذين بشروا بمبادئه ونشروها. وكان الخليفة عبد المؤمن نفسه شاعراً وأديباً وناقداً، وتبارى مع العلماء في ميادين الشعر والبلاغة. واعتنى بالحركة الفكرية والثقافية كل عناية، حتى أصبح أدباء المغرب ينافسون زملاءهم الأندلسيين.

وبرع الموحدون في النثر، وقد بلغت الكتابة النثرية في عهد عبد المؤمن عصرها الذهبي وخاصة في مجال الرسائل والخطابة. وقد جمع المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال رسائل موحدية بلغت سبعاً وثلاثين رسالة منها ثلاث وعشرون صادرة عن ديوان عبد المؤمن. ومن أشهر كُتابه: أبو جعفر بن عطيه وأخوه عقيل بن عطيه، وأبو القاسم القاني، وأبو الحسن بن عياش، وأبو الحكم المرضي. ومن هذه الرسائل: الرسالة الموجهة الى الموحدين[٢] بالأندلس، والى الطلبة بتلمسان[٣] وبجاية[٤] ...، ثم الرسائل الاخوانيه، ثم رسائل التوقيعات، ومنها

١- ابن الآبار، التكملة رقم ١٠٩٨.

؛ ابن بشكوال، الصلة، ١٢٦.

؛ ابن خلدون، المقدمة، ٣٤١.

؛ الرسالة رقم (٢٣)، مجموعة رسائل موحدية، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧.

٢ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠ - ١٦٧.

؛ ماهر، وثائق ادارية، ٣٤٧، ٣٥٦.

٣ - رسالة رقم ١٠، مجموعة رسائل مؤمنية، ٥٣ - ٥٤، نشر ليفي بروفنسال.

٤ - رسالة رقم ٧، مجموعة رسائل مؤمنية، ٢١ - ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توقيع عبد المؤمن على قصيدة للكاتب أبي جعفر بن عطية يستعطف بها الخليفة وهو في سجنه، ومطلعها:-

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد بان العزاء لفرط البيت والحزن

حيث وقع الخليفة عليها: "الآن، وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين"(١).

وظهر فن النثر في المناظرات التي عقدها ابن تومرت مع فقهاء المرابطين، ومنها تلك المناظرة الخيالية التي وضعها عبد الرحمن بن طاهر بين النفس المطمئنة والنزوعية.

ونبغ في عهد الموحدين الكثير من الشعراء من الرجال والنساء، ونقلوا لنا صورة عن واقع الحياة. ومنهم ابن تومرت(٢) الذي قال مناجياً نفسه:

أخذت باعضادهم اذ نأوا وتسمع وعظا ولا تسمع

والخليفة عبد المؤمن(٣) وابن حبوس(٤)، وأبو العباس الجراوى(٥) الذي نال

---

١ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٢٣، حاشية رقم ٤،

؛ المراكشي، المعجب، ١٩٨ - ١٩٩؛ ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ٢٦ - ٢٧؛ ابن الآبار، التكملة، ٢/ ٢٢٥؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٣٨ - ١٣٩؛ الناصري، الاستقصا، ٢/١٣١-١٣٤.

٢ - ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥/ ٥٤، ٥٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ٥/ ٥٤؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٩٤، ٩٥، ٩٦.

٣ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ١١٩؛ المراكشي، المعجب، ٢٢٧؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢٠٣، ٢٠٤؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣٤.

٤ - ابن حبوس: عبد الله بن حبوس ولد سنة ٥٠٠هـ وتوفي سنة ٥٧٠هـ وهو أول من هنأ الخليفة بمدينة الفتح.

؛ انظر المراكشي، المعجب، ٢١٣ وما بعدها؛ ابن القطان، نظم الجمان، ١٣٤

؛ ابن دحية، المطرب، ١٠٩؛ التجيبي، زاد المسافر ١ - ٦.

٥ - انظر ابن عذارى، البيان، ٤/ ٤٩، ٥٤، ١٥٥، واعتبر الجراوى قمر الدولة الموحدية، واكبر شعرائها، وعظم شعراء المغرب الاخلاص، وعاصر الخلفاء عبد المؤمن، وابنه يوسف ويعقوب المنصور والناصر، ولقب بشاعر الموحدية واشاد به عبد المؤمن فقال له: يا أبا العباس انا نباهي بك شعراء الاندلس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حظوة عند الخليفة حيث سماه شاعر الخلافة المهدوية بعد أن تصدر طائفة الشعراء الذين قدموا من أنحاء المغرب والأندلس لتهنئته بتحرير المهدية بجبل طارق.

وتناول الشعراء المغاربة المدح، والشعر الديني المهدوى، ووصف المعارك، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الغزل فكان محدوداً ومتحفظاً، إذ إن الخليفة كان ينفر من الغزل المكشوف.

وفيما يلي عدد من الشعراء والشاعرات، ونماذج من شعرهم:-

الشاعرة حفصة بنت الركونية(١):-

التي مدحت الخليفة عبد المؤمن ارتجالاً بقولها:

يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس(*) ... يكون للدهر عده
تحط يمناك فيه ... الحمد لله وحده

وأسماء العامرية(٢):-

التي مدحت الخليفة بقصيدة جاء فيها:

عرفنا النصر والفتح المبينا ... لسيدنا امير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي ... رأيت حديثكم فينا شجونا
رويتم علمه فعلمتموه ... وصنتم عهده فغدا مصونا

وأبو بكر محمد بن زهر(٣):-

الذي أوصى بأن يكتب على قبره أبيات من شعره، تكون عبرة لزائره:-

تأمل بحقك يا واقفا ... ولاحظ مكانا وفعنا اليه
تراب الضريح على وجنتي ... كاني لم امش يوما عليه
اداوي الانام حذار المنون ... وها أنا قد صرت رهنا لديه

---

١ - حفصه: شاعرة أديبة بنت الحاج الركونية الغرناطية، انظر ابن الخطيب، الاحاطة ٤٩٩/١، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١٣٨، المقرى، نفح الطيب، ٤/ ٤٧١.

(*) طرس: ترس.

٢ - اسماء العامرية، من أهل اشبيلية، كتبت الى الخليفة رسالة تبين له فيها، نسبها العامري، وتسأله رفع الانزال عن دارها؛ انظر: المقري؛ المقرى، نفح الطيب، ٤/ ٢٩٢.

٣ - أبو بكر محمد بن زهر، برع في الموشحات والشعر، الحل، جنثالث، تاريخ الفكر الاسلامي، ١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تبنى الخليفة الأدباء والشعراء، ودفع لهم رواتب، وعقد لهم مجالس أدبية وعلمية كمجلس مدينة الفتح(١) الذي تجمع فيه الادباء والشعراء، وسجلوا أحداث المدينة شعراً يعتبر من المصادر التاريخية لما وقع في تلك المدينة. ويبدو أن أولئك الكتاب ورجال الأدب والشعراء كانوا موالين للسلطة ويكتبون من وجهة نظرها مع تمجيدها، وقد ذكرهم ابن صاحب الصلاة الذي حضر المجلس، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

أبو محمد القاسم ابو مسعود:-

حنانيك مدعوا ولبيك داعيا ... وكل ما ترضاه أصبح راضيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا ... ومن سيفك المنصور نبغي التقاضيا

وأبو بكر الشلبي:-

فافتح بلاد الشرق واعتمد الغربا ... فإن نسيم النصر في الشرق قد هبا
أمرتم اليه الخيل وهي أجادل ... فسالت بكم بحرا وطارت بكم ركبا
ودستم بها هامات كل مضلل ... ولا تتركوا عجما هناك ولا عربا
ورامو فرارا والرماح تنوشهم ... فما قطعوا فجا ولا سكنوا شعبا

١- المقرى، نفح الطيب، ٣/ ٤٤٩، ٥٣٣، ٥٣٤، ٤١٩.
؛ المراكشي، المعجب، ٨٧، ١٠٣.
؛ ابن الآبار، التكملة، رقم ١٧٢٣.
؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦.
؛ المقرى، ازهار الرياض، ١/ ٤٧، ٤٩.
؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١/ ٢٥٧، ٢٦١، ١٦١.
؛ انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاسلامي، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٢٩، ١٣٨.
؛ ابن صاحب الصلاة، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ٢٠٢، ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرشي الأمي القرطبي (ابن طليق):-

ما للعدا جنة أوقى من الهرب كيف المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة اذا رمته سماء الله بالشهب
حدث عن الروم في اقطار أندلس والبحر قد ملا العبرين بالعرب
وطود طارق قد حل الإمام به كالطور كان لموسى أيمن الرتب

والشيخ ابو الحسن:-

تلالا من نور الخلافة بارق ضاءت به الآفاق والليل غاسق
الى جبل قد كان للفتح منزلا ولاذ به بالفتح موسى وطارق
فطاف بأرض الكفر حتى أعادها الى الحق، وانقاد الابي المشاقق
ولا زال أمر الله للدين هاديا وأنت لدين الكفر ماح وماحق

وابو العباس، الشاعر الاشبيلي:-

هذي الخلافة لا خلافة بعدها جاءت على الهدي الكريم الاوجب
عصفت بأقصى الشرق منه عزفة حنّت لشرواها بأقصى المغرب

وابو الوليد الشواش:-

يا سعد دين الله أفلح حزبه وهوت عداه في عذاب واصب
يمضي لامر الله غير معرج متوجهاً بالنصر ضربة لازب
امضي الى الشرق القصي عزيمة نالت قياد أعاجم وأعارب

ومكث المجلس الذي عقده الخليفة في مدينة الفتح عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م بجبل طارق عشرين يوماً، وقدم لهم البركات، وأجاز الشعراء[١]، وكان يحضر مجالس المناظرات بين العلماء والفقهاء، ويشاركهم المناقشات ويغدق عليهم الأموال.

وفي مجال التقدم العلمي، أشار المنوفي[٢]، نقلاً عن مخطوطة عقود الجمان

---

١ - لسان الدين الخطيب، الاحاطة، ١/ ٢٧١،
؛ لسان الدين الخطيب، اعمال الاعلام، ١٦٦ - ١٦٨.
؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ٢٠٢ - ٢٠٩، ١٦٧.
؛ المراكشي، المعجب، ٢١٣.
؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٣٠؛ ابن بطوطه، الرحلة، ٤/ ٣٦١.
؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٣١ - ١٣٤.

٢ - المنوفي محمد، العلوم والآداب والفنون، ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى حركة الأرض، حيث قال:
أن المهدى، كان ينشد:

ومن أعجب الاشياء انك قاعد على الارض في الدنيا وانت تسير
وسيرك هذا مثل سير سفينة بقوم قعود والشراع تطير

وذكر محي الدين بن العربي دوران الارض حول نفسها، وقال غيره أن حركة الارض خفيفة عندنا، وحركتها نحو الوسط لانها كرة.

وأشار العمرى(١) إلى أن الموحدين عرفوا منابع النيل. كما أن المهندسين في عهد الموحدين أبدعوا في مسح أراضي الدولة في افريقية والمغرب، وفي تصميم منبر ومقصورة مسجد عبد المؤمن في مراكش، وصندوق مصحف عثمان، وطاحونة الهواء في جبل الفتح (طارق)، ومن هؤلاء المهندسين: الحاج يعيش، وابن باسه(٢).

وقد وجدت على باب مسجد الكتبية الذي بناه الخليفة عبد المؤمن ساعة بلغ ارتفاعها في الهواء خمسين ذراعاً(٣).
وشجع الخليفة عبد المؤمن علم الطب(٤)، والصناعات المختلفة(٥)، وشيد القصور، ومنها قصره في جبل الفتح الذي زاره الشاعر أبو جعفر بن سعيد وقال فيه:-

---

١ - العمرى، مسالك الابصار، ١/ ٦٨.

٢ - مجهول، الحلل الموشية، ١٠٩؛ بيان موحدى (رسالة) ٩٧، مجموعة رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ٣٧.

؛ المقرى، نفح الطيب، ٢/ ١٦٣؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢٦ - ١٣٠.

٣ - القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ١٦٢، ٥/ ١٠٩، ط بيروت.

٤ - ابن ابي اصيبعة، عيون الاطباء، ٢/ ٦٦.

٥ - الجزنائي، زهرة الأسى، ٣٣.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ٢/ ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصر الخليفة لا أخليت من كرم وان خلوت من الاعداد والعدد
حزنا عليه فلم تنقم مهابته والفيل يحلو وتبقى هيبة الاسد(١)

وأثرت المدينة الأندلسية في الفن المغربي، وخاصة في بناء المساجد، كمسجد تازا والكتبيين ومسجد تنملل ومقصورة ومنبر جامع عبد المؤمن بمراكش وصندوق مصحف عثمان، وفي بناء المدن والقصبات، وصناعة الأنابيب الحديدية والرصاصية(٢).

العلوم العقلية:-

ازدهرت حركة التأليف التاريخي وظهر عدد من المؤرخين الذين كانت كتاباتهم المادة الأساسية لمصدر البحث مثل:-

١ - أبو بكر الصنهاجي، المعروف بالبيذق الذي وضع كتاباً أسماه "أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين".
٢ - عبد المالك بن محمد بن صاحب الصلاة، الذي وضع كتاب "المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين".
٣ - ابن القطان، وضع كتاب "نظم الجمان".
٤ - عبد الواحد المراكشي وضع كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب".
٥ - العلامة أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال صاحب كتاب الصلة.
٦ - ومن مؤرخي الأنساب أبو محمد بن علي بن عبد الله اللخمي المعروف بالرشاش، المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وضع كتاب "اقتباس الانوار، والتماس الازهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار" ... الخ.

---

١ - المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٣٠٠.

٢ - ابن خلدون، المقدمة، ٣٧٠.

؛ اندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ٢/ ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجغرافية:-

اشتهر المغاربة بحبهم للرحلة والاطلاع على أحوال الأمن، فظهر عدد من الرحالة أشهرهم:

ابن جبير الذي وضع رحلة ابن جبير. والشريف الادريسي السبتي، وهو أشهر جغرافي في العصور الوسطى، وضع كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بعد أن قام برحلة طويلة وشاقة في آسيا وافريقية واوروبا، ودون معلومات جغرافية واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، واستدعاه ملك صقلية فوضع له كرة أرضية من الفضة. ومن هؤلاء أيضاً صاحب كتاب "الاستبصار وعجائب الامصار".

الفلسفة:-

ظهرت الفلسفة الكلامية على يد ابن تومرت بعد رحلته العلمية الى المشرق الاسلامي، ولم تظهر الفلسفة اليونانية الا في عهد أبناء خليفته عبد المؤمن، ومن أشهر الفلاسفة المسلمين في ذلك العهد: ابو بكر بن طفيل، صاحب رسالة حي بن يقظان، وابن رشد، والصوفي محي الدين بن عربي.

علاقة الموحدين بالشرق الاسلامي:-

العلاقات الفكرية والثقافية:-

تلقى ابن تومرت شيخ عبد المؤمن واستاذه الذي تأثر به وتربى على يديه العلم على عدد من الفقهاء خلال رحلته العلمية الى المشرق من عام ٥١٠هـ/ ٥١٠٧هـ- ١١٠٧م- ١١١٦م كالغزالي والكياهراسي وفقهاء الاشعرية، والشيعة الامامية. وتجول في عدد من المدن الاسلامية مثل مكة والشام وبغداد وقرطبه.

وقد أخذ عن الأشعرية التأويل والانتصار للعقائد السلفية، والذود عنها بالحجج العقلية. وعن الشيعة الامامية: المهدية والعصمة وأخذ علم الكلام عن الغزالي، وقد تمكن بعلم الكلام والمنطق اللذين كانا محور دعوته من هزيمة فقهاء المالكية في المناظرات الفقهية، الذين رفضوا علم الكلام والخوض في التوحيد، وأقروا المتشابهات(١)

---

١ - الدباغ، معالم الايمان، ٢/ ١١، ١/ ٨٥، ٨٦، ٨٧.

؛ الخشني، طبقات علماء افريقية، ٢٥٢؛ انظر، مجهول، الحلل الموشية، ٨٩، ٩٠، ٩٦؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٦، ١٧٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستطاع ابن تومرت بعقيدة التوحيد وطريقته في التفكير ان يزلزل أركان الدولة المرابطية، مما سهل على خليفته عبد المؤمن قلعها من جذورها وذلك بعد أن عزز روح الجهاد الذي ترسخت فكرته لدى المغاربة، فأقاموا في روابط الثغور، وفي المشرق، والاندلس.

وكانت الاسكندرية محط ركب الحج المغربي، والتقاء العلماء المغاربة، والأندلسيين والمصريين، وقد عقدت بينهم المناقشات الفكرية، وانتشرت افكار الدعوة الموحدية وتعاليم المرشدة في المشرق، كمصر، وكان الناس يتحدثون عنها سراً وعلناً كطريقة للخلاص من الظلم والفساد.

وتجول المغاربة في المشرق الاسلامي لطلب العلم، ونقلوا أخبار المغرب، كما نقلوا أخبار المشرق، وأخذ عنهم المؤرخ ابن القلانسي(١).

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات التجارية في عهد الدولة الموحدية لعبت دوراً بارزاً في التبادل الفكري والثقافي، فقد أقام المغاربة سوقاً تجارياً في الاسكندرية، عرضت فيه المنتجات المغربية، وكان ميناء الاسكندرية يغص بالسفن والمراكب، والزوارق المحملة بأنواع السلع(٢).

وكانت القوافل التجارية تخترق الصحراء الى طرابلس، ثم مصر، وتتوزع على ثغور البحر الأحمر وجزيرة العرب، وأقصى الشرق. ومن الاسكندرية

---

١ - ابن جبير، الرحلة، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٤ - ٦٦.

؛ العبدري، ابو عبد الله محمد التبحي، الرحلة المغربية، ٩٠، ط فاس الرباط، ١٩٦٩.

؛ ابن بطوطه، تحفة النظار، ١، ٢/ ١٢.

؛ المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٤٠٦.

؛ ابن عذارى، البيان، ٣/ ٤٥.

؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ٢/ ٩٩، ٣/ ١٥٠، ط بولاق.

٢ - ابن بطوطه، تحفة النظار في غرائب الامصار، ٢٤٦.

؛ سعد زغلول، الاثر المغربي في المجتمع الاسكندرى، ٢٠٩، ٢٢٩، ٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى موانئ بلاد الشام. بينما كانت تجارة الذهب تمر عبر السودان الغربي وتمبكتو والتكرور، ومن مراكش الى تونس وطرابلس ومصر ثم العراق وبلاد الشام، ونقلت عبر الطريق نفسها الحبوب والزيوت، والقطن، والخشب، والملح والتمور والعسل والسكر والنحاس والشموع والجلود والزئبق والسمك والمرجان والزيتون(١).

دور المغاربة في جهاد الصليبيين:-

شارك المغاربة في الجهاد بقتال الصليبيين في مصر والشام، وانضموا الى جيش نور الدين، وأقاموا زاوية بجامع دمشق (الزاوية المالكية) وقد شارك نور الدين وكبار التجار في فك الأسرى المغاربة الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة وقد أشار ابن جبير الى ذلك بقوله: "فلما استشفى من مرضه (نور الدين)، أرسل في فدائهم، فسيق نفر ليسوا مغاربة، وكانوا من حماة، فأمر بصرفهم واخراج عوض عنهم من المغاربة، وقال هؤلاء يفكهم أهلوهم وجيرانهم، والمغاربة غرباء لا أهل لهم، فانظر الى لطيف صنع الله تعالى لهذا الصنف المغربي".

واستمرت مشاركة المغاربة في الحرب الصليبية في عهد صلاح الدين، واشتركوا في معركة طرابلس الشام حيث استشهد عدد منهم، وكذلك استشهد بعضهم في مصر(٢).

وكانت السياسة التي اتبعها نور الدين في افتداء الأسرى حافزاً على إقبال المسلمين في شتى أقطارهم على الجهاد ضد الصليبيين.

---

١ - الادريسي، نزهة المشتاق، ٨؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٢٤، ٥٨.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٤١٨؛ البكرى، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ٥، ٣٠، ٤٧، ٤٩، ٨٢.

٢ - ابن جبير، الرحلة، ٢٥٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ٤/ ٨٢، تحقيق محمد مصطفى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة :-

يتبين من هذا البحث أن دعوة ابن تومرت لم تكن اصلاحية أو مذهبية وحسب بل كانت منهجاً سياسياً وفكرياً تبنى الاسلام مبدأً بالرجوع الى الأصول "القرآن والسنة" مصدري التشريع، وعمل على تغيير أنظمة الحكم التي كانت تعتريها الخلافات السياسية والصراعات، كالخلافة العباسية في بغداد، والفاطميين في مصر، ولدى السنة والشيعة، مما أدى الى ضعف الكيان الاسلامي ووقوعه فريسة سهلة أمام الحملات الصليبية التي اجتاحت جناحي العالم الاسلامي الشرقي والغربي. وقد تبلورت هذه الأفكار خلال رحلته العلمية الى الاندلس والمشرق الاسلامي، فتبنى حزباً سياسياً قائماً على التوحيد، ومنظماً تنظيماً خاصاً، يعمل على اقامة خلافة اسلامية تشمل العالم الإسلامي بأسره. وقد بلغ من خطورة الأفكار التي ضمنها كتبه ورسائله أن قام النصارى في اسبانيا بترجمتها الى لغتهم للاطلاع عليها واتخاذ الاسلوب المناسب في مقاومتها.

ولعب عبد المؤمن بن علي بعد ابن تومرت دوراً بارزاً في حمل الدعوة ونشرها، وتحقيق اقامة الخلافة الموحدية، وأصبح في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد الشخصية الاسلامية التي يرجى على يديها الخلاص. وانتظر الناس في المشرق مقدومه، ولهج الشعراء بذكره وتمنوا وحدة المسلمين على يديه، بضم مصر، والحجاز والعراق، وخراسان. ويرجع الفضل إليه في توحيد المغربين الاقصى والاوسط وافريقية حتى برقة والأندلس في دولة واحدة.

وحرر عبد المؤمن الثغور التي كانت ترزح تحت الاحتلال الصليبي الصقلي والاوروبي، كالمهدية في افريقية، والمرية في الأندلس. وكان يسجد لله باكياً وطالباً أن يكون التحرير على يديه، وكلما حزب عليه أمر لجأ الى الله. وعرب عبد المؤمن الدولة بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية ولغة العلم والمعرفة، ونقل عدداً من القبائل العربية ووزعها على انحاء المغرب، حيث تمت المصاهرة بينهم وبين البربر مما ساعد على نشر العربية وتثبيت الإسلام.

وجعل عبد المؤمن الخلافة الموحدية وحيدة الديانة "الاسلامية" وتخلص من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليهود والنصارى بعد أن كشف تعاونهم مع أعدائه الصليبيين.

ولما كان شعار الدولة الرسمي هو الجهاد فقد أمضى عبد المؤمن حياته في جهاد الصليبيين في المغرب والأندلس، ثم القضاء على الخارجين على الدولة. وحارب العوائق الاقتصادية والاجتماعية، كالمكوس، والقبالة، والمغارم، ووجه الرسائل الى الطلبة والحفاظ في المغرب والأندلس وافريقية آمراً باجتثاثها، وعدم أخذ سوى الزكاة. وطالبهم بتنفيذ الأحكام الشرعية، وملاحقة المارقين والمتعاونين مع الممالك النصرانية كابن مردنيش، فساد الأمن والاستقرار، وازدهر الاقتصاد، وزاد دخل الدولة والأفراد.

وشجع الزراعة ونوّعها، كما شجع الصناعة وأمر باستغلال الثروات المعدنية فانتشرت الصناعات في المدن، وأصبحت هناك أسواق خاصة بكل سلعة.

ونشطت التجارة الداخلية والخارجية مع المشرق الاسلامي والمدن الأوروبية.

واهتم بالجيش وما يلزمه من تجهيزات وأسلحة، وأنشأ أسطولاً من أربعمائة سفينة هيمن على شرق المتوسط في صقلية الى غربه في بوابة جبل طارق.، ومنع السفن الصليبية الأوروبية من الابحار شرقاً لتزويد الامارات الصليبية في المشرق الاسلامي بالامدادات، وكان لذلك أثر بعيد على انتصارات المسلمين في عهد نور الدين وصلاح الدين. وساهم المغاربة في عهده بالانضمام الى قوات نور الدين زنكي لمحاربة الصليبيين في المشرق الإسلامي حيث استشهد العديد منهم وأسر آخرون.

وخطط لسياسة تعليمية اعتبرت فريدة، وشجع التعليم، وأوجد المدارس الخاصة لتخريج الأطر من الطلبة والحفاظ والاداريين والقادة العسكريين، ووضع لها مناهج خاصة ليتمكنوا من حمل الأفكار الموحدية ونشرها. وجعل التعليم اجبارياً للذكور والإناث، وقدم الاموال المجانية والقروض لطلبة العلم، ولم يسمح بدراسة المنطق إلا بعد الإعداد الفكري وذلك بدراسة القرآن والحديث والتفسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يعقد للطلبة مجالس للحوار بعد صلاة الجماعة في قصره، ويقدم الجوائز. وقد سمح باقامة (اتحادات) الطلبة وأعطاهم الحرية في اختيار مدرسيهم. وبرز في عهده عدد من الادباء والشعراء والفقهاء والعلماء. وكان يعقد لهم مجالس خاصة يناقشهم في شتى العلوم، ويقدم لهم الجوائز العلمية تحفيزاً لهم وتشجيعاً مما أدى إلى تنشيط الحركة الثقافية والفكرية والعلمية، وتقدم العلوم وخاصة الهندسية.

وفي المجال الإداري مسح أراضي الدولة لتنظيم الجباية عليها وتقديم الجند، وقسمها الى ولايات عين أبناءه عليها، وحصر ولاية العهد والحكم في أسرته، مما أدى الى ظهور المعارضة الموحدية من اكثر أنصار الدعوة إخلاصاً في قبيلة هرغه وتنملل وأخوي المهدى، واستعمل القوة لإخماد المعارضة فأراق الدماء، وكانت تلك أول ثلمة في جسم الخلافة الموحدية، تلك الثلمة التي خمدت ظاهرياً في ظل شخصية عبد المؤمن القوية، إلا أنها كانت مجالاً للعمل في الخفاء واستغلال الظروف للإطاحة بأشد أنصار الدولة، كما حدث لجعفر بن عطيه، وعبد السلام الكومي.

وأعاد قرطبة في الأندلس الى ما كانت عليه كحاضرة لها ومركز إداري. وكان لهذا العمل أثره في سرعة القضاء على الفتن في الأندلس وملاحقة ابن مردنيش، وتلقي الامدادات من المغرب.

وباختصار، يمكن القول أن شخصية عبد المؤمن كانت تطغى على كل الأحداث، وكان يحسب حسابه في الولايات. حيث كان يتابع الولاة والطلبة والحفاظ والشيوخ والأعيان بتوجيه الرسائل اليهم لضبط الامور، وحفظ الأمن، وتطبيق الأحكام الشرعية، والاحتكاك بالناس وعدم الاعتماد على الوسطاء، ومراقبة سعاة البريد، واستبدال ذوي الدين والأخلاق بهم.

ومن الجدير بالذكر أن عبد المؤمن كان ذا شخصية متعددة الجوانب، واسعة الاهتمامات، وكان يشار اليه كرجل من أعظم القادة في عصره، ومع أننا - في هذه الدراسة - قد بذلنا الجهد لرسم صورة واضحة لتلك الشخصية، إلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أننا نعتقد أن هناك ملاح ما تزال مخفية في بطون الكتب والمخطوطات المفقودة التي سيمكن العثور عليها من ابراز تلك الملاح، وهو أمر نتمناه لكشف صفحة أخرى من صفحات الحضارة الاسلامية العريقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحـــق

١ - الفـرق الاسلامية التي انتقى منها ابن تومرت بعض أفكـاره الرئيسية لتكوين منهج الدعوة الديني والسياسي.

٢ - المذاهب الاسلامية التي انتشرت في المغرب الاسلامي (المغرب والأندلس) قبل دعوة ابن تومرت.

٣ - دعوة ابن تومرت الى التوحيد، واقامة دولة الخلافة الموحدية على يدي عبد المؤمن ثم أبنائه.

٤ - رسـالة ابن تومرت في التـوحيد، التي يوضح فيها تحـديد افكـاره في سياسته الداخلية والخارجية. وكانت منهاجاً سياسياً لعبد المؤمن.

٥ - رسـالة ابن تومـرت الى المـوحدين (المعـروفة بالمنظمة) التي حض فيهـا على الجهـاد، وحدد طـوائف ثلاث: أهـل التجسيم، والبرابر المفســدين، والمكـارين المبلسين مـن الطلبـة لما قامـوا به من أفعال أشد طغيـاناً وعنـاداً من الجبابره والفـراعنة. وقـد التزم عبد المـؤمن في تطبيقهـا باستعمـال القـوة للقضاء على الطوائف الثلاث، وكانت مادة لتدريس الطلبة والحفاظ.

٦ - رسـالة عبد المؤمن المعـروفة بالفصول الموجهة الى أهـل بجاية، بشكل خاص، والى الـولايات بعامة، يوصيهم فيها باقامة الحدود، وحفـظ الشرائع والاحكام الاسلامية، واظهار الحق والالتزام بالواجبات.

٧ - رسـالة عبد المؤمن الى أهـل الاندلس بخاصة والى الـولايات بعامة التي حدد فيهـا الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكر، وشدد فيهـا على متـابعة المفـاسد، والقضـاء على المكـس، والقبـالة، والمغـارم. وتوضـح هــذه الـرسالة الاحوال السيـاسية والاقتصادية في الاندلس، وما آل اليه الوضـع بسبب اعتماد الطلبة على الـوسطاء، وحثهـم على النزول والعيـش مـع النـاس، وتحســس واقعهم، واخبارهم بأنه يتابع الأوضاع عن كثب.

٨ - رسالة عبد المؤمن الى الموحدين مبيناً فيها الظروف التي تستدعي اعادة تنظيم المجتمع في ثلاث طبقات.

٩ - وصـف المصحـف العثماني بقـرطبة الـذي كان سلاحاً يحملـه عبـد المؤمن في المعارك الحربية ضد النصارى الصليبيين الصقليين مذكـراً الجند بضرورة الجهاد في ظل راية القرآن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم (١)

الفرق الاسلامية التي انتقى منها ابن تومرت أفكاره الرئيسية

المعتزلة	الاشعرية	الامامية	اهل السنة	الظاهرية	اهل المدينة	راي ابن تومرت
رايهم في التجسيم						اخذ ابرايهم
التاويل						اخذ ابرايهم
نفي اثبات الصفات لله تعالى						اخذ ابرايهم
	الامرو النهي يدل على الوجوب وعدم الامتثال يؤدي الى عقاب الله ، التاويل او الانتصار العقائد السلف او الذود عن ذلك بالحجج العقلية .					اخذ ابرايهم
				الا تاخذ بالراي او التقليد		اخذ ابرايهم
				الظن من اصول الضلال		اخذ ابرايهم
الامر بالمعروف او النهي عن المنكر باستعمال السيف فما دون						اخذ ابرايهم
					ياخذ اهل المدينة بالحديث المتواتر النقلهم عن رسول الله	اخذ ابرايهم
		يقولون بالعصمة للامام				اخذ ابرايهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٢)

المذاهب الاسلامية التي انتشرت في المغرب الاسلامي (المغرب والاندلس) التفقه على مذهب أهل السلف والحديث على رجالات الفقه في الفتح والتابعين(١)

٨
|
مذهب الاوزاعي (ابو عبد الرحمن بن محمد بن عمر الاوزاعي)(٢) ٨٨ - ١٥٧هـ

٨
|
المذهب الحنفي (النعمان بن ثابت)(٣) الكوفي المجتهد

٨
|
مذهب مالك دخل عام ١٥٠هـ وساد في المغرب عام ٤٥٠هـ(٤)، على يد

---

١ - الضبي، بغية الملتمس، ١٠؛ ابن الفرضي، تاريخ الأندلس، ١/ ١٢٢؛ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عطار، ١/ ٢٠٥؛ سليمان، حسين نجم، رسالة ماجستير، المذهب المالكي، ٦٤.

٢ - عياض، المدارك، ١/ ٢٦، ٢٧؛ المقرى، نفح الطيب، ٣/ ٢٣؛ النووى، تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٢٩٨؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ١٢٧؛ الذهبي، اعلام النبلاء، ٧/ ١٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهره، ٢/ ٣٠؛ ابن كثير، البداية، ١٠/ ١١٥ - ١٢٠ سليمان، حسين نجم، رسالة ماجستير، المذهب المالكي، ٨٠ وما بعدها.

٣ - عياض، المدارك، ١/ ٢٥، ٢٦.
؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣/ ٢٢٣.
؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٢.
؛ ابن الفرضي، تاريخ الاندلس، ١/ ١٥٦.
؛ ابن بشكوال، الصلة، ١/ ١٢١.

٤ - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ١٨٢؛ ابن حجر، التهذيب، ٦/ ٢٤٢
؛ المجذوب، الصراع المذهبي في افريقية، ٢٤٠؛ عزوز، التطور المذهبي في المغرب، ٢٢؛ ابن خلدون، المقدمة، ٨٠٥ - ٦-٨، استقرار المذهب المالكي في المغرب؛ عياض، المدارك، ٢/ ١١٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٣٧٠؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٧-١٨؛ المقرى، نفح الطيب، ٢/ ٤٥؛ ابن عذارى، البيان، ٤/ ٩-١١، ٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٣٧٤، سليمان نجم، مذهب مالك، ٨٧ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين الذي كانت له اليد الطولى في تأسيس الدولة المرابطية.

٨

|

مذهب ابن مسره، الذي تأثر بالاعتزال عام ٢٦٩ - ٣٠٥ (محمد بن عبد الله بن مسره بن يحيى من قرطبه)(١)

٨

:

مذهب الشافعي، دخل عام ٢٧٦هـ(٢)، على يد قاسم بن محمد بن سيار (محمد بن ادريس الهاشمي القرشي ابو عبد الله).

٨

|

المذهب الظاهري (أبو داوود الظاهري، عام ٢٧٠هـ، دخل الاندلس عام ٢٩٢هـ(٣))

٨

|

مذهب ابن حزم عام ٣٨٤ - ٤٥٦هـ(٤) (ابو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم)

---

١ - الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٥٥ - ٥٧؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ٢/ ٣٩؛ ابن حيان، المقتبس، ٥/ ٢١، سليمان نجم؛ مذهب مالك، ١٨٦ وما بعدها.

٢ - الشيرازي، طبقات الفقهاء، ٧١؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٧/ ٢٨١؛ السبكي، طبقات الشافعية، ١/ ٩٢ - ١٠٠؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ١٥٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٤/ ١٧٦؛ اخل، تاريخ الفكر الاسلامي في الاندلس، ٤٣١.

٣ - ابن خلكان، وفيات الاعيان؛ ٢/ ٢٥٥، الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/ ١٤؛ السبكي؛ طبقات الشافعية، ٢/ ٤٢؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٢/ ٤٢٢.

٤ - الحميدى، ضرورة المقتبس، ٢١٨؛ ابن بشكوال، الصلة، ٢/ ٤١٥،

؛ الضبي، بغية الملتمس، ٤١٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/ ٣٢٥،

؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ٥/ ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذهب الشيعي(١)

كانت سرية بالمغرب لسيادة المذهب المالكي

مذهب الاعتزال(٢)

٨ وملاحقته للمذاهب الاخرى، وحجر عليها الظهور

!

مذهب الخوارج(٣)

٨

!

سيادة المذهب المالكي في المغرب (المرابطون).

دعوة التوحيد/ الموحدون

وبدأ يسود المذهب المالكي في عهد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين(٤)، ويوسف بن تاشفين في عهد الدولة المرابطية، وساعده فقهاء المالكية على خلع ملوك الطوائف(٥)، وشجع الفقهاء نشر المذهب حتى سمي عصره بعصر الفقهاء(٦)، وحظر الظهور على أي مذهب، فأخذت المذاهب تعمل سراً كمذهب الشيعة البحيلة في السوس(٧)، والاعتزال في قبيلة أوروبه(٨)، والخوارج في ساهرت(٩) وسلجماسة، واستمرت سيادة المذهب المالكي في عهد أمير المسلمين على بن يوسف من عام ٥٠٠هـ - ٥٣٧هـ، وشجع الفقهاء، ورفع من مكانتهم(١٠).

١-٢-٣- انظر المصادر رقم ٧، ٨، ٩.

٤ - المصادر السابقة في رقم (٤).

٥ - ابن عذارى، البيان، ٤/ ٢٦؛ الثعالبي، الفكر السامي، ٢/ ٦٤.

٦ - حركات، المغرب عبر التاريخ، ١/ ٢٤٥.

٧ - ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٧٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ٢٢، ٢٣.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ١٨٣

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ١٢ وما بعدها؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٩٠، ٩٤، ٩٩.

٨ - اليعقوبي، تقويم البلدان، ١٢٨؛ البكرى، المغرب، ١١٨؛ العبادى، دراسات، ١٠٧.

٩ - ابن حوقل، صورة الارض، ٩٣، ٩٤؛ زغلول، حركات التجديد في المغرب والاندلس، ٨.

١٠- ابن الاثير، الكامل، ١/ ٤١٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧/ ١٢٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتخذ ابو عبد الله المنتصر لقب الخليفة وأمير المؤمنين بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، بيد المغول، وأيده شريف مكة ابو نمي محمد الأول(١).

---

١ -ابن القطان، نظم الجمان.

؛ ابن الاثير، الكامل، ٨/ ٢٠٨، ٢٥٤، ٩/ ٨١، ١٦٥، ٢٤٥.

؛ مجهول، الحلل الموشية، ١٠٣ - ١٤٢.

؛ ابن ابي زرع، القرطاس، ١٧٢ وما بعدها.

؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٢٨٠، ٣٢٠.

؛ الناصرى، الاستقصا، ٢/ ٧٥ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٣)
الدعوة الى التوحيد(١)

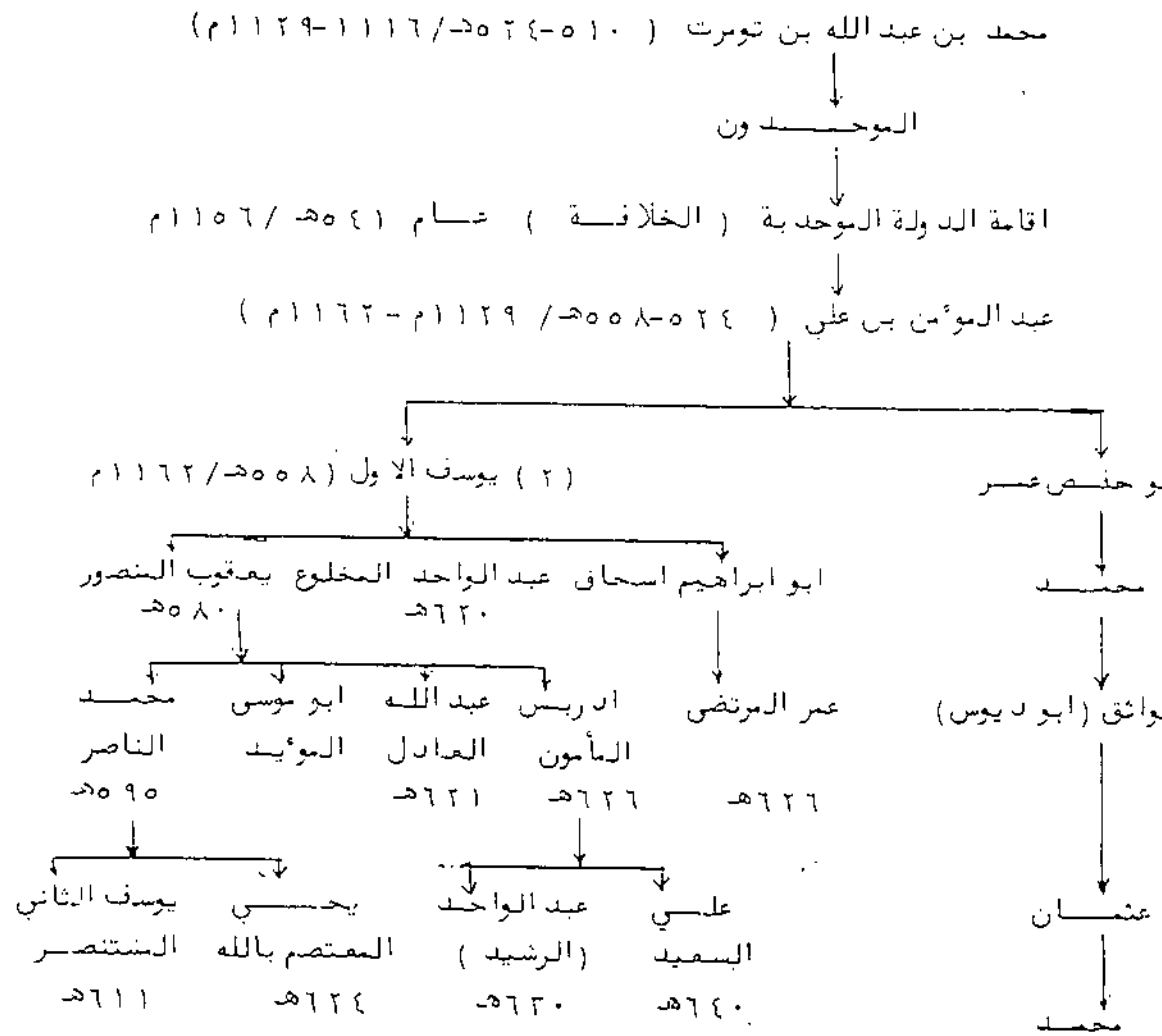

انقسمت الدولة عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م واستولى بنو مرين على مراكش عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م فانتهت الدولة الموحدية في المغرب الاقصى، وأقام بنو حفص الدولة الحفصية الموحدية بتونس، وتنسب هذه الدولة إلى أبي عمر الحفصي الهنتاتي من صحابة ابن تومرت، وقد استقل بها ابو زكريا الاول، وانفصلت عن الدولة الموحدية عام ٦٢٥هـ/ ١١٢٧م، وبقيت حتى ضمها العثمانيون عام ٩٨٢م/ ١٥٧٤م(٢)

---

١ - زامباور، معجم الاسرات والانساب في التاريخ الاسلامي، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦.

٢ - المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٤)

رسالة ابن تومرت الى الموحدين عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م[١]

توضح السياسة الخارجية والداخلية والتثقيف الفكري والحزبي للموحدين

وهذا الوعيد العظيم والعذاب الأليم فيمن ركن اليهم، فكيف بمن أعانهم بنفسه وماله على سفك دماء المسلمين، وأخذ أموالهم ومعونتهم على ظلمهم ولو بدرهم واحد، لما روى كعب بن عجرة عن النبي صلعم قال: أعينك بالله يا كعب ابن عجره من أمراء يكونون بعدي فمن غشي أبوابهم وصدقهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يغش أبوابهم ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض.

واجمعت الأمة قاطبة خلفها وسلفها أن الظالم لا يعان على ظلمه ولا يجوز طاعة في معصية الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلعم أنه قال: على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة الى غير ذلك من الاخبار الصحيحة مما يطول تتبعها. وتحرم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الامة ضرورة ولا يحتاج فيه الى بسط الأدلة، فكل من أطاعهم في معصية الله وأعانهم على ظلمهم في سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم، وكل من أعانهم من القبائل فادعوهم الى التوبة والانابة والرجوع الى الكتاب والسنة، وترك معونة المجسمين والمرتدين والمعتدين، فإن قبلوا منكم ورجعوا الى السنة وأعانوكم على جهاد الكفرة فخلّوا سبيلهم، وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله، وان عاندوا الحق واصروا على معونة أهل الباطل والفساد فاقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً. وكل من امتنع من الرجوع الى السنة فهو عدوكم الى الممات، وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد، وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة لقول رسول الله صلعم: من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، وهذا ما لا شك ولا ريب

---

١ - البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ٢ - ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه. واعلموا وفقكم الله أنكم في قتال الكفرة على الحق المبين، لا ترتابوا في ذلك لأنكم إنما قاتلتم على دين الله الذي قاتل عليه الرسول عليه السلام وأصحابه، فاجهدوا في قتال الكفرة وأعوانهم، واطلبوا غرتهم بالليل والنهار، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، فإذا صبر الكفرة على القتال على الظلم والفساد فكيف نحن لا نصبر على ديننا ونتمسك بسنة نبينا كما صبر الرسول وأصحابه، ولنا أسوة حسنة فيهم الاقتداء بهم، واتباع سبيلهم في صبرهم على البأساء والضراء، وجهادهم على دين الله بأموالهم وأنفسهم محتسبين، حتى انمحت بهم آثار الكفر وانطمست بهم مراسم الباطل والعاطل، حتى أجلى الله بهم الحق، وأعز بهم الدين، ففازوا بذلك عند الله فوزاً عظيماً، وبقي بعدهم الذكر الجميل والثناء الحسن، فكانوا لمن بعدهم نجوماً يهتدون بها، فاهتدوا بهديهم، واقتدوا بفعلهم، رضي الله عنهم أجمعين.

واعلموا وفقكم الله أن الدّين الذي جاهدوا عليه هو هذا الدين لا تبديل ولا تحويل حتى ينفخ في الصور، والصبر على إيحاء هذا الدين فرض علينا كما صبروا، والاجتهاد في المسارعة الى الخيرات فرض علينا كما اجتهدوا، والله يسلك بنا سبيلهم ويحشرنا معهم، فأخلصوا نياتكم، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، ولا تقاتلوا للدنيا الفانية والأغراض الزائلة، فإنه من قتل على ذلك فقد بطل جهاده وذهب أجره، ولكن من قتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر على الله أجره.

واعلموا - وفقكم الله - أن العدو لا يغلب بالعدد ولا بالعدد وانما يغلب بحسن النية والتقوى والأعمال الصالحة والتوكل على الله، كما قال أبو الدرداء: "انما تقاتلون بأعمالكم" يعني إذا صلحت الأعمال انهزم الأعداء ولا يستقر لهم قدم في مقابلة الحق، فاتقوا الله وسارعوا الى مغفرة من ربكم، وبادروا الى الأعمال الصالحة، وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، واعتصموا بحبل الله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعلموا - وفقكم الله - أن الموحدين في الأمن والأمان ونصر من الله وعافية وفضل منه واحسان، تتابعت عليهم النعم، وترادفت عليهم المنن، لله الحمد على ذلك، اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم والاهتمام في دينهم والقيام بفرائضهم والاستعداد للقاء ربهم، فالله يتم علينا وعليهم ويوزعنا شكر أنعمه، اذل الله لهم عدوهم وقذف في قلوبهم الرعب وزلزل أقدامهم، وانتقم منهم بجورهم وأخذهم بسوء أفعالهم، أخذهم الله في كل ناحية، وقطع الله لهم كل خيلة، هم في خزي وخسران، ورعب وخذلان، وذلك كله من حول الله وقوته لا منا، ولا من أفعالنا، إنما هو من وعد الله الذي لا يخلفه لأوليائه، وخزي من حاد الله ورسوله من أعدائه، أرسل عليهم جنوداً لا قبل لهم بها، وأظهر عورتهم وذلهم لأوليائه، وكل من استند اليهم من حزب الشيطان من أوليائهم لا شك فيه ولا ريب أن من اعتصم بغير الله تعالى ضل سعيه، ومن اتكل على غيره خسر دنياه وآخرته، لا عاصم لمن أراد الله هلاكه، ولا حيلة لمن أراد الله فتنته.

والكفرة اليوم قد تبين للناس ما هم عليه من تبديل الدين وعكس الأمور وايثار الضلال على الهدى، وايثار العناد والطغيان على العدل والإحسان، وايثار الاستنكاف والاستكبار على الاستسلام للأمر والانقياد للحكم، وايثار الفساد في الأرض على الاصلاح فيها، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من حسن الزاد وحسن الاستعداد للمعاد. وحملهم الغي والبغي على أن جعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً والكفر إيماناً، والإيمان كفراً والهدي ضلالاً، والضلال هدى، والعدل جوراً والجور عدلاً، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، فقد كشف الله لعباده المؤمنين تلبيسهم وأظهر كيدهم، الآن لا خفاء به قد وضح سبيله، وكذلك الباطل الا لمن سبقت عليه شقوته من الله، فقد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً، أعاذنا الله من الزيغ والزلل، وعصمنا من المحن والفتن.

كتبنا اليكم هذا الكتاب إعلاماً لكم بأن فضل الله علينا يتزايد، واحسانه لدينا يتضاعف ويتجدد، ولم نزل منه في زيادة وستر ورحمة ونصر ونعم أسبقها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظاهرة وباطنة حتى زادنا بذلك بصيرة وتبياناً، ورأينا مواهبه، لا يسعها شكرنا، وعجزت عن القيام بحقه قوانا، وقصرت على إحصاء ذلك كله عقولنا والسنتنا، منّ الله علينا بالاعتصام بدينه في زمن عمّ هوله، وشرب قلوبنا الحق رغبة في دينه واليقين بوعده ونصره مصدقين لا يضرنا من ناوأنا أو عادانا أو خالفنا أو خذلنا ما دامت أرواحنا في أجسادنا وما دامت السموات والأرض ونحن لذلك معتقدون، وعليه ثابتون لا نمله ولا نيأس منه حتى نلقى ربنا غير مبدلين ولا مغيرين.

واعلموا - وفقكم الله - أن المجسمين والمكارين وكل من نسب الى العلم أشد في الصد عن سبيل الله من ابليس اللعين، فلا تلتفتوا الى ما يقولون فإنه كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله، وما نسبوكم اليه من الخلاف لله والرسول، فذلك خب وغش للمسلمين وخيانة لله ورسوله، يأبى الله ورسوله أن يكون من تمسك بالحق واتبع سنة رسول الله صلعم وأناب الى الله مخالفاً لله ورسوله، بل المخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان.

فانتبهوا - وفقكم الله - لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك على الافتراء على الله ورسوله حتى عكسوا الحقائق وقلبوها، وحرفوا الكلام عن مواضعه، ونسبوا من دعا الى التوبة والتوحيد واتباع السنة الى الخلاف وسموه مخالفاً بغيهم، وسموا من اتبع الباطل وخطوات الشيطان من اتباع عادات الجهل والمداهنة وأكل الحرام وارتكاب الآثام والإصرار على الكبائر والفجور وأكل الدنيا بالدين وأكل أموال الناس بالباطل، وسموا هؤلاء كلهم مطيعين، وسموا اتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة افتراء على الله ورسوله، فلا تلتفتوا الي تلبيسهم ولا تنظروا الى تدليسهم فإنه ظهرت أباطيلهم وتعاضدهم على إخماد الدين، وتعاونهم على الاثم والعدوان، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، فاجتهدوا في تعليم ما يلزمكم من فرائضكم واشتغلوا بتعليم التوحيد فإنه أساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق التشبيه والتشريك والنقائص والآفات والحدود والجهات، ولا تجعلوه في مكان ولا في جهة، فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجهات، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن، فمن مات على هذا فهو مخلد في النار، ومن تعلم توحيده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإن مات على ذلك فهو من أهل الجنة، وتعلموا ما لا تصح الصلاة الا به مثل فاتحة الكتاب وسورة معها، وحافظوا على الصلوات في أوقاتها، واعمروا مساجدكم ومروا بها أولادكم وعبيدكم وإماءكم وكل من تعلق بكم، واجتنبوا المحارم وردوا المظالم وتحاللوا وتغافروا فيما بينكم يغفر الله لكم، وأصلحوا ذات بينكم ولا تفسدوا في الأرض، ولا تبذروا ولا تسرفوا ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تخونوا ولا تغدروا ولا تحسدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا وتولوا الأدبار عند لقاء العدو، فمن فعل ذلك فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

واياكم والغلول فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة، وأقسموها على موافقة الكتاب والسنة، ولا تغيبوا منها قليلاً ولا كثيراً، للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم بعد إخراج الخمس من رأس الغنيمة، والغنيمة لمن شهد الوقيعة.

واجتنبوا الخمر فإنها أم الفواحش ولا تشربوها ولا تسقوها ولا تعصروها ولا تبيعوها ولا تبتاعوها فإنها رجس من عمل الشيطان، وشاربها ملعون لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلعم أنه قال: لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه.

إن شاء الله نسأل الله تمام النعم التي أنعم بها علينا، والمزيد فيما به أحسن الينا، فمن كان على هذا فهو منا ومن حزبنا، وعند الصباح يحمد القوم السرى، أعانكم الله على طاعته، وأمدنا واياكم بمعونته، وزودنا واياكم بالنفوس، وختم لنا ولكم بالحسنى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٥)

رسالة المهدى (الرسالة المنظمة)[١]

عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م

(الدعوة الى الجهاد)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم
الى جماعة اهل التوحيد وفقهم الله لما يحبه ويرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله.

والذي نوصيكم به تقوى الله، والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، كتبنا هذا الكتاب بعد أن اتصلت بنا أخباركم وقيامكم في نصرة الحق واجتهادكم على إحياء السنة، وتآلفكم وتعاونكم على إظهار الحق واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسمين والمفسدين، فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه إذ منّ علينا بالاخوان على إظهار الدين، واحياء السنة، امتثالاً لقوله تعالى: "واذكروا اذ كنتم قليلاً فكثركم"، فنبه على أن كثرة الاخوان والأنصار منة منه عظيمة، لأن بأنصار الحق يظهر نور الحق، وجمال الدين، وبه يهدم الباطل والضلال حتى تنمحي آثاره ورسومه، وتبقى بعده أنوار الحق مشرقة، وأعلامه واضحة.

فلما كان الحق لا ينصر، والدين لا يظهر الا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله أمر المجاهدين، وبين فضلهم، وأخبر أن الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب أليم، فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، الى قوله: ذلك الفوز العظيم"، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريباً للأفهام، ليفهموا ما فيه، ويرغبوا فيما ذكر من درجات المجاهدين، وما أعد الله لهم، فسمى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء، لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه فاشترى منه ربه

---

١ - ابن تومرت، أعز ما يطلب، ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماله ونفسه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له، وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه وعلموه يقيناً، وحققوه باعوا أنفسهم من الله، إذ لا شيء أعز عندهم منها، فلما علم صدقهم وايمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل، قال الله تعالى: (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - الى قوله - : ذلك هو الفوز العظيم). ولهذا عظم الله الشهادة وجعل القتل في سبيل الله حياة، لئلا يظن الظان أنه ميت، قال تعالى في كتابه: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون - الى قوله -: ولا هم يحزنون) وقال تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم ولكن لا تشعرون)، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة أمقر بذلك أصحابه، وتمنى القتل في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل)، فكرر ذلك تعظيماً لأمر الشهادة، وفي فضل الشهادة كثير من الأخبار. فلما علم أصحابه فضل الشهادة سألوا الله عز وجل أن يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، وغيره، لتصديقهم بالكتاب، ويقينهم بالثواب.

فلما علموا أن وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، رجاء لثواب الله، ونصرة للدين، فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة، وبذلك وصفهم الله في كتابه فقال تعالى: (محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم - الى قوله: ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا) الآية، فقاتلوا الأعداء على دين الله، صابرين على البأساء والضراء، محتسبين ما أصابهم في سبيل الله بالأموال والأنفس في جنب الله، لعلمهم بأن ذلك كله في موازينهم، فصبروا على المكاره، وحملوا المشاق، حتى انجلت عنهم ظلمات الجهل والضلال، (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) فكل هول وشدة عشيهم قابلوه بالقوة والتوكل على الله، وكل ضرر وأذى مسهم قابلوه بالصبر والاحتساب، حتى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتح الله لهم، فجاءهم الفتح والنصر.

والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه، ولا تتبدل ولا تتغير، حتى يرث الله الارض ومن عليها، فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا، تنالوا عند الله من الأجر ما نالوا، فانهم انما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالاعمال الصالحة، ولزوم التقوى في السر والعلانية، فاقتفوا آثارهم، واسلكوا سبيلهم، وتأسوا بأعمالهم قد كانت لكم فيهم أسوة حسنة، فالجهاد على الدين، والصبر على الأذى، نعمة عظيمة، لا يؤدى شكرها، فعظموا ما عظم الله، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خص بها أهل التوحيد ومنّ بها عليهم، حتى أخرجوا من ديارهم، وأوذوا على دينهم، لاشك ولا ريب أن من تحمل ذلك وصبر فأجره عظيم عند الله تعالى لا جزاء له الا الجنة لقوله تعالى: (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الثواب)، فاذكروا هذا، واشكروا الله عليه كثيراً، واغتنموا الأجر والثواب في هذه الأيام قبل فواتها، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله حق جهاده، فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة له عند الله، فإنهم سعوا في هدم الدين، واماتة السنة، واستعباد الخلق، وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم وفساد بلادهم، وسفك دمائهم، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى والأرامل، وتمالوا كلهم على ذلك، وتعاونوا عليه، فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت، حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام، والرقيق من الثياب، والخيل المسومة، وغير ذلك مما علم ما علم من أباطيلهم وجورهم وفسادهم في الأرض، قد علمه الخاص والعام، واشتهر في سائر البلدان، وقد ظهر باطلهم للصغير والكبير، لا يحتاج الى بيان. ومن أعظم أباطيلهم أن من رأوه تاب الى الله، وأناب الى الخير، واشتغل بتعلم فرائضه، وما يلزمه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من توحيده، وغير ذلك مما يصلح به صلاته، وترك الفواحش والمحارم واشتغل بما ينفعه في آخرته ودنياه، فكل من رأوه على هذه الصفة رموه عن قوس العداوة بسهام الغل، عدوانا وظلما، وقالوا له ضللت وخرجت من الدين، نسبوه الى البيعة، ليسدوا بذلك باب التوبة، ويقطعوا طريق الآخرة، ويصدوا عن سبيل الله، وقد أهانوا كثيراً من الناس وعذبوهم على أديانهم، ومنهم من قتلوه على دينه بعد التعذيب، ليعتبر غيره حتى لا أحد يتوب الى الله، ولا يرجع اليه، قطعوا طريق الله وأبواب الخير والتوبة، ليبقى لهم السحت، ويدوم لهم الخير، أم يتقلبون فيه ويتنعمون، فحملهم ذلك على عناد الحق وانكاره بتعذيب الناس وقتلهم عليه.

ولم نسمع بهذه الأفعال، ولا نظن أنها تكون بعد الجبابرة والفراعنة الذين يعذبون الناس على الحق بأنواع العذاب، ويقتلونهم عليه، حتى جاء هؤلاء الكفرة، فإذا هم أشدهم طغياناً وعناداً، فهذا فعلهم بكل من حفظ دينه وتوحيده وأيقن بلقاء ربه ووعده، وحسبوا أن ذلك كله هدى، وزين لهم سوء أعمالهم، ورأوا أن جميع أفعالهم سنة ودين، وكل من خالف أفعالهم خارج عن الدين، ضال عندهم، فإذا رأوا مجسماً سفيهاً مضيعاً على الفجور والخمور مصراً، او قاطعاً للطريق سفاكاً، او عاصياً وفاجراً او متهاوناً بالدين، مستخفاً بالحق قربوه ورفعوه وأكرموه لفعله مثل أفعالهم، وسلوكه لسبيلهم، ونسبوه الى الهدى والسنة، وأعطوه السحت والخبيث ليتقوى به على قطع طريق الآخرة، وسفك دماء أهل التوحيد.

فهذه صفة المؤمن عندهم الذي تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتصم بدين الله، وهذا افتراء على الله، واستهزاء بآياته، وتلاعب بدينه، حجبهم الله عن الحق، وحال بينهم وبين الاقرار به، عصمنا الله من بليتهم، وسلمنا مما نزل بهم، وأعاذنا من فتنهم ومصيبتهم، حرمهم الله الآخرة، ووسع عليهم في الدنيا حتى افتتن كثير من حزب الشياطين، وجنوده من أبناء الدنيا المذبذبين، والبرابر المفسدين، والملبسين من الطلبة المكارين، وغيرهم من أولياء الشياطين، وأعوان الكفرة الملثمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الطوائف الثلاثة الذين شمروا وتجردوا لهدم الدين اماتته، أعني أهل التجسيم الملثمين، والبرابر المفسدين، والمكارين الملبسين من الطلبة، وهم شر الثلاثة، تسموا باسم العلم، ونسبوا أنفسهم الى السنة، وتزينوا بالفقه والدين، وتعلقوا بالكفرة، والخازوا الى جنبتهم، واستفرغوا مجهودهم في معونتهم، وفي طلب مرضاتهم، لما رأوا الدنيا في جنبتهم، وتركوا دينهم وراء ظهورهم، وأعانوهم على الباطل، فصوبوا لهم ضلالهم عن الطريق وحيدهم عن السبيل، وقالوا لهم أنهم على الحق المبين، والطريق المستقيم، أنتم أنصار الحق، وأوتاد الدين، فزادوهم ضلالاً على ضلالتهم، وعناداً على عنادهم، حتى ظنوا أنهم في الطريق المستقيم، وعلى الحق المبين، كما قالوا، واذا هم في ضلال وخسران، غرّوهم، ولبّسوا عليهم، ليتحيلوا بذلك على ما في أيديهم، وليصونوا بذلك دنياهم، فغرتهم الدنيا حتى جحدوا ما استيقنته أنفسهم من الحق، لينالوا بذلك الحظ العاجل، ويجمعوا به الحرام، (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون). فلولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عين الدجال بصفته لقلنا: إن هذا هو الدجال، وهؤلاء أتباعه، لما ظهر منهم من الميل الى الدنيا، وتبريهم من الدين، وانكارهم الحق، واتباعهم الباطل، ويقطعون الناس عن الحق، ويردونهم الى الباطل، لينالوا مرضاة الكفرة بسخط الله، وطاعتهم بمقت الله، فلبسوا على الناس بالزور والغرور، وظنوا أن الامر كما قالوا، وحسبوا أن ذلك هو الحق، واذا هو تلبيس وحيلة، يردونهم بها الى الباطل، وطاعة أهل التجسيم والفساد، والانحياز الى جنبتهم، لينالوا بذلك ويصلوا الى بغيتهم، وقالوا لهم: طاعتهم لازمة، والانقياد اليهم واجب عليكم مع علمهم بعناد الظلمة للحق، وخروجهم عن السبيل، وقالوا لهم: عليكم السمع والطاعة في كل ما أمركم به، مع علمهم بأنهم لا يأمرون الا بالباطل، والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم: تلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة، وافتراء على الله، فبغضوا اليهم أهل التوحيد، وحذروهم من الرجوع اليهم، وسلوك سبيلهم، ولبسوا عليهم بتبديل الكلام، وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقولوا علينا ما لم نقل تهجينا وتبغيضا للحق عند العوام، حتى لا يستمعوا اليه، ولا يقبلوه، وعدوا لهم جملا من الأبواب، ونسبوا ذلك كله الينا، ليقرروا به بغض الحق في قلوب الناس، ودلسوا عليهم بهذه الأبواب ليكون ذلك تنفيراً لهم عن سماعها فضلاً عن قبولها، فمنها أنهم قالوا: هذا رجل يكفر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين، ويمتنع من الصلاة على أهل القبلة، ويقول: ان من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات، ويردّ المطلقة ثلاثاً الى زوجها، والمناكر والفساد في الأرض والاعتداء على الناس في أديانهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٦)

رسالة الفصول. وإنها منسوبة في المجموع المنقول عنه إلى الوزير الأجل الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور كتبها عن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي إلى أهل بجاية يوصيهم بإقامة الحدود وحفظ الشرائع وإظهار الحق بلزوم الواجبات:

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره، وأمده بمعونته - إلى الطلبة الذين ببجاية - أدام الله كرامتهم، ووصل صونهم وحمايتهم - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه؛ ونصلي على محمد نبيه ورسوله. والحمد لله على ما أمد به هذه الدعوة العظيمة، والكلمة العلية الكريمة، من الاضواء والانوار، وقرن بعزائم أوليائها من الأخذ بحجز العباد من التهافت في النار، وأحكم بإيمانهم من معاهد الهدى التي من استمسك بها فقد فاز بعقبى الدار، وأبان بهم معالم السنة المستبينة الضوء الهادية المنار، التي من سلك جددها فقد امن من المثار، ووقف هممهم لديه من مراعاة امور الدين في النائي والداني من الاقطار؛ نحمده حمد من اهتدى الى أنه الموجود المطلق الذي لا يتقيد بالامكنة والاعصار، الواحد الفرد الصمد المنزه عن الشركاء والانظار، المتعالي عن صفات التخير والانتقال والعجز والافتقار، المحيط بجميع الموجودات احاطة لا تحدها حدة الاذهان. ولا تلقحها دقائق الافكار، لا إله الا هو لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار. ونصلي على محمد نبيه المنبعث من أكرم نجار، والمؤيد بالمعجزات التي دحضت حجج الكفار، وخرقت مستمر العادة للعلم أنها فعل الواحد القهار، وأنت على وفق الدعوى ليتبين بها صدقه على الاضرار، وحكمت في كل من لم يؤمن بها كل طريد الشبى ماضي الغرار؛ وعلى آله وصحبه السالكين في ذلك السنن والمجرين في ذلك المضمار، ونواصل الرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله تعالى لما ارتفع العلم بقبض العلماء الأخيار، وأعجب كل ذي رأي برايه من الصم البكم الرغام الأغمار،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقامت خطباؤهم بأفانين التضليل وضروب الاغترار، وقلبوا الحقائق فظهر من التبديل والتغيير ما أخفى دين الله تعالى الذي تكفل له بالإظهار، وانبسط في البسيطة من المناكر ما لا يحتاج الى إطالة في تعديده مع الوضوح والاشتهار، فجلى بضياء حكمه ما استولى على آفاقها من الظلم المشتدة الاعتكار، وأبان بمعجز علمه من العلم بالله تعالى ورسله وبما جاءت به رسله ما كان في طي الخفاء والاستتار، وعلم طرق العلم بها التعليم الذي انتفع به أولو التيقن والاستبصار، وضرح عن موارد الدين ما شملها من الشوائب والاكدار، وأمده بالطائفة المنصورة المفتوح لها بصريح الوحي وصحيح الاخبار، كل دان وشاصع من الامصار، الوارثين علمه والعاملين به والمتصرفين له ليبقى أمره العظيم على الدوام والاستمرار، الى قيام الساعة وانقضاء هذه الدار.

فإن كتابنا هذا اليكم - كتب الله لكم كل خير جزيل، وأعاتكم على امتثال أوامر التنزيل، وجعلهم جارين على حكم الكتاب والسنة في الدقيق من الأمور والجليل - من رباط الفتح - عمره الله - والطائفة المنصورة محفوفة من حفظ الله وكلاءته، ومكنوفة من صونه وحمايته، وممنوحة من إظهاره واعلائه، ومخصوصة من إرقائه وإسمائه، وممدة من إضاءة زندها وإبرائه، في تسنية مرامها وإسنائه، بما أنهضنا الله به الى احياء معالم السنة وإحكام أمراسها، وتثبيت أركان الدعوة على وثيق آساسها، وتطهير الأمة من أدرانها وأدناسها، وتعليمها كيف تستضيء بمشكاة الهداية وتعشو الى نبراسها، ليمشوا على السنن اللاحب، ويتقيدوا بالشرع المرتب الراتب، ويعملوا في أمر دينهم ودنياهم باللازم الواجب؛ فلا تلبسوا الهدى بالضلال، ولا يشوبون التحقيق بالابطال، ولا يخلطون العمل بالرفض، ولا يبعضون الايمان فيقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ليتخذوا بين الرشد والغي سبيلاً، وليروموا في الصحيح الثابت تغييراً وتبديلاً الى أن تخلص قلوبهم من الرين، ويكون عندهم العلم والعمل متلازمين، والباطن والظاهر متطابقين، والقول والفعل متعارضين، ولا متنافيين؛ والله المعين على إكمال هذا المقصد وإتمامه، والمليء بائتلاف جميع الجهات والاكناف على ما يؤثره من اتصاله وانتظامه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان هذا الأمر العظيم إنما جاء في حين الفترة، وشمول الحيرة، وارتفاع العلم وحلول الجهل، وانبساط الجور وانقباض العدل، وتملك الهمج الرعاع، واتباع الهوى المضل والشح المطاع، وقام به الامام المعصوم، المهدي المعلوم - رضي الله عنه - عند ما أزيد بحر الضلال وطمى، واعتلى سلطان الكفر واستمى، وتطاير شر الاشرار وارتمى، وتفرقت في انواع الاباطيل الآراء، وغيرت معالم السنة البدع والاهواء، والدين أجنبي غريب، لا مناسب له ولا قريب، ولا داعي له ولا مجيب، وقد قنع أهل الدنيا في معارفهم بمسود الصحائف، مسطور الزخارف، لاماتة المعارف، وتطمين العوارف، وجر المطارف، في صون التالد وجلب الطارف، فبصر وعلم، وثقف وقوم، وأتقن وأحكم، ونور ما أظلم، وأظهر ما استتر وأبهم، وأنجد في تعليم العلم وأتهم. ثم أورث علمه طائفته فبثوه في البلاد، وأفاضوا نوره على العباد، طوراً باللين وطوراً بالاشتداد، وحالاً بالسياسة وحالاً بالجهاد، وآونة بالمواعظ الحسنة وآونة بالسيوف الحداد، إلى أن ألقى الناس يد الاستسلام، وأظهروا الاجابة الى دعامة الإسلام؛ فمن آمن منهم بهذا الأمر العظيم عن علم ويقين، واخلاص مستبين، فهو يتقيد بقيوده، ويقف عند حدوده، ويجري على معروفه ومعهوده، ويبدو على ظواهره، ما أكنه في سرائره، ويلوح على اساريره، ما أسره في ضميره؛ ومن حجبه عن الايمان به والاخلاص له حجاب، وحصل في نفسه من الذي جاء به لبس وارتياب، فهو باقٍ في أحواله على المذهب الذميم، وعاكف في أعماله على الرسم القويم، وطائف بين أطلاله لا يبرح ولا يريم، ويفتتن بما كان ألفه ويهيم، ويزيح في تلك المسارح ما أمكنه ويسيم، فتراه يتخطى الحدود ويتعدادها، ويهمل الأوامر ولا يرعاها، ويغشى تلك المألوفات ولا يخشاها، ويساعد نفسه الامارة بالسوء ولا ينهاها، ويغفل مآلها فلا يخاف عقباها. ومن كانت هذه حاله فهو ممن لم يؤمن بالله ولا رسوله ولا بما جاءت به الرسل، ولا بالامام المهدي الذي قامت عليه البراهين واتضحت في أمره السبل، بل هو متمادٍ على كفره وتجسيمه، غير منتفع بتقويمه، ولا مستبصر بتعليمه.

ويحكم بما ناطه الله تعالى بنا من أمور عباده، ووسده الينا من نصر دينه وانجاده، وقلدنا إياه من الوقوف على حماية باطنه وظاهره في أغوار العالم وأنجاده، لم نزل نتعاهد أحوال الانام، ونصل تصفحها على الليالي والايام، ونقصد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا المقصـد بقـوة واعتزام، ونأخذ في الكشـف عنـه بمـواظبـة والتزام، متبعين في العمـل بالعلم أمـر الامام المعصـوم الـذي احتذى فيه حذو جده - عليـه السلام، راغبين اليـه تعـالى في اعظام الاجر واجزال المثـوبة على القيـام بهـذا المقام. لكن الناس مع مواظبتهم بالتذكير، وملازمتهم بالتنبيه والتبصير، لم يتركـوا تلك الافعال التي رسخت في الصدور، والملكات التي استقرت في القلوب، والحالات التي انطوت على ألفهـا إحنـاء الضلـوع، وأبوا إلا ارتطـاماً في الغـي وارتبـاكاً، وانكشـافاً في طواعية الشهوات وانهماكاً، وخلعاً لعذر النهي وانتهاكاً، وإجراء في مهـامة البطالة واستنـاناً، وتخليفـاً في جو الغـواية وطيراناً، واغفـالاً لمـا أحدق بهـم من أمر الله تعـالى ونسياناً. فنهضنا الى معاهدة التفقد بعزم قرعت له الظنـابيب، وجري فيه الى مـد القصـر عن شأوه الجرد السـراجيب، وجعلناه تعاهداً عـاماً في البعـد والقرب، ونظـراً شـاملاً ينتظم حاشيتي الشـرق والغـرب، لتأخذ الجهـات حقهـا مـن الضبط، وتتزن الجنبـات بميزان العدل والقسـط، وتستقيم البرية على قـانون الانتظام والربط، فتكـون العهـود محفـوظة، وسطـوات اللـه تعـالى بمخـالفي أمـره لمـراقبة ملحـوظة.

وأبتـدئ بأول مبـاني الإسلام فـآخذ النـاس ١ - بعلم التـوحيد الـذي هو أسـاس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي لا يثبـت عمل دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها؛ فلا سبب لمن لم يمتسـك بسببه، وقد بني وجوب العلم بالفـرائض على ٢ - وجوب العلم به، وهـو اثبـات الواحد وبقي ما سواه، بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها اطلاق اللفظ دون تحقيـق معناه، وذلك ان يعلم على وجهـه وحدة. ليكـون عن علم لا عن ضده. وعـن يقين لا عن شك وعن اخلاص لا عن شرك، وان يقوله مع العمل، ولا ينكل.

ويؤمـر الـذين يفهمـون اللسـان الغـربي ويتكلمون به ان يقـرؤوا التـوحيد بذلـك اللسان من اوله الى اخر القـول في المعجزات ويحفظـوه ويقصوه، ويلازموا قـراءته ويتعهـدوه ويؤمـر طلبـة الحضـر ومن في معناهم بقـراءة العقـائد وحفظهـا وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر. ويلـزم العامة ومن في الديار بقـراءة العقيدة التي اولها: "اعلم أرشدنا الله واياك" وحفظهـا وتفهمها. وأشمل في هذا الالزام الرجال والنساء والاحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف اذ لا يصـح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيـد، فمن لم يعرف المرسل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يصدق بالمرسل ولا بالرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة، فقد تعثر في اذيال الضلالة، فإن لم يبادر الى التخلص منها، والانفصال بالعلم عنها. فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في اراقة دمه لا محالة.

وآخذوا بإقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين. والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين، والناهية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين، ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحو من ديوان المؤمنين، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع " للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبدالمؤمن"

من الوظائف والقوانين، وتاركها ميت في عدد الاحياء، لخشاشة تقضى عند انقضاء امد الامهال والاملاء. فخذوا من قبلكم بإقامة الصلاة على ما شرعت، وأدائها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار يحفظ ام القران وسورة معها وما تيسر من القران لتتم صلاتهم ويكمل عملهم، ومن اضاع الصلاة واهملها ولم يبادر الى اداء ما فرض عليه منها فأجله للحين متاح وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب.

وخذوا بإيتاء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكها او التزر اليسير منها، فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع منها قدر العقال؛ فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة؛ فمن منع فريضة واحدة كمن منع الفرائض كلها؛ ومن منع عقالاً فما فوقه كمن منع الشرع كله.

وآمر بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعمليها؛ فيراق مسكرها، ويقطع منكرها؛ وليعمد الى من عمل المسكر الحرام عامداً، وشربه مدمناً عليه ومعاهداً، ولم ترعه الحدود، ولم تقيده القيود، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الادكار؛ فيمحى اثره، ويحذف خبره، فالخمر أم الكبائر وجماع الاثم وكاسفة شمس العقل، والبلاغة على كل قبيح من الفعل، والفاتحة كل مرتج من ابواب العصيان، وهي رجس من أعمال الشيطان.

وآمر بالكشف عن التلصص والجراية، والتولج في مكان من الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وأنواعها وضروبها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة والافعال المنافية للشريعة الصادرة على اهل الزراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضلين، ومن النساء المفسدات، المتفننات في طرق الغوايات، فاكشفوا عن هذه الاصناف وأثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حالة، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله، فيحكم كتاب الله -جل اسمه- عليه، وتطاع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فيه. وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، ويأكلون بالباطل أموالهم، وعن أهل العناد والتقاعس والاخلاد، والتثبط الذين إذا دعوا الى الجهاد، ونودوا الى الصلاح والشاد، صموا عن النداء، وتلوموا في إجابة الدعاء، وألقوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد؛ وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد والخبل والانقياد الى سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر؛ وعن اهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعلمون، والقائلين ما لا يفعلون. فإذا تعينوا على التحقيق فاليمض عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم.

وقد أنفذنا اليكم -وفق الله مقاصدكم، وعم بالتقوى معاهدكم- نسخة كتاب كريم، صدر عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم -رضي الله عنه- مشتمل على جوامع الكلم، ومنطق على رواتع الحكم، لم يغادر في المعنى الذي تضمنه متردما، ولم يوجد متأخرا عن الوقوف دون مقتضاه ولا متقدما، ولم يوسع متربصا في البدار ولا متلوما، فيه الملاذ والمعاد، وعليه الاعتماد والاستناد. واليه المرجع والمفزع. وأنتم تقفون منه على حكم الله تعالى في القوم الذين ذكرهم ممن لا دين له ولا امانة ولا عهد ولا ميثاق، المدعين للحق بالاقوال، مع التمادي على التضييع بالافعال، وإظهار الاستماع والقبول في الظاهر، واتباع الجهل والهوى في الين وتعملون ما جعل العمل عليه في أعداء الدين والعلم وما حكم به فيهم؛ ولا معدل لنا عن حكم سر البيت المتلو فيه آيات الله والحكمة، المستخرج الحكم من مشكاة النبوة ومرآة ومرآة العظمة، الذي انتظم به الامر على سنن الهدى، واستقام على نهج التقوى؛ فمن عانده او خالفه او ضاده او كابره او

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة والافعال المنافية للشريعة الصادرة على اهل الزراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضلين، ومن النساء المفسدات، المتفننات في طرق الغوايات، فاكشفوا عن هذه الاصناف وأثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حالة، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله، فيحكم كتاب الله -جل اسمه- عليه، وتطاع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فيه. وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، ويأكلون بالباطل أموالهم، وعن أهل العناد والتقاعس والاخلاد، والتثبط الذين إذا دعوا الى الجهاد، ونودوا الى الصلاح والشاد، صموا عن النداء، وتلوموا في إجابة الدعاء، وألقوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد؛ وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد والخبل والانقياد الى سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر؛ وعن اهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعلمون، والقائلين ما لا يفعلون. فإذا تعينوا على التحقيق فاليمض عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم.

وقد أنفذنا اليكم -وفق الله مقاصدكم، وعم بالتقوى معاهدكم- نسخة كتاب كريم، صدر عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم -رضي الله عنه- مشتمل على جوامع الكلم، ومنطق على رواتع الحكم، لم يغادر في المعنى الذي تضمنه متردما، ولم يوجد متأخرا عن الوقوف دون مقتضاه ولا متقدما، ولم يوسع متربصا في البدار ولا متلوما، فيه الملاذ والمعاد، وعليه الاعتماد والاستناد. واليه المرجع والمفزع. وأنتم تقفون منه على حكم الله تعالى في القوم الذين ذكرهم ممن لا دين له ولا امانة ولا عهد ولا ميثاق، المدعين للحق بالاقوال، مع التمادي على التضييع بالافعال، وإظهار الاستماع والقبول في الظاهر، واتباع الجهل والهوى في الين وتعملون ما جعل العمل عليه في أعداء الدين والعلم وما حكم به فيهم؛ ولا معدل لنا عن حكم سر البيت المتلو فيه آيات الله والحكمة، المستخرج الحكم من مشكاة النبوة ومرآة ومرآة العظمة، الذي انتظم به الامر على سنن الهدى، واستقام على نهج التقوى؛ فمن عانده او خالفه او ضاده او كابره او

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصاه او ناداه او جهله وأهمل أمره، فقد حاق به الردى؛ فالانقياد لما يقضي به واجب والاستمساك بأمره حتم، والرجوع اليه في امر الدين والدنيا فرض لان قضاءه وأمره هو قضاء ربه وأمره وإرادته وحكمه. وقد حكم -رضي الله عنه- هذا الحكم فيمن هاجر اليه اول الامر وأتاه عند طمو البحر واتصل به في سلطان الهرج ونزع اليه عند الابتلاء والمحنة. واضطرم نار الفتنة، لما أنس منهم النفاق وعلم فيهم فساد الباطن وشهد منهم مكابدة الدين، والدخول فيها من غير يقين، وفتح بابا جهادهم ومحو آثارهم وجعله أهم وأولى من جهاد الكفرة المجسمين. فكيف فيمن أتى بأخرة عند استواء شمس الهدى على الافاق، وإخفائها خيالات اهل العتو والاستكبار والمرود على الرفاق، ممن جاء مخافة البيض الرقاب. وأتى عند بلوغ النفس الى التراق، وخاف من يوم عصيب يكشف فيه عن ساق، فحينئذ اصحب في القيلد وأذعن في المساق، وفيهم من ليس عقده على الصحة والوثاق، ولا أفعاله مرضية المقصد ولا جارية على الوفاق، فإمضاء هذا الحكم فيهم، بعد تحقق تلك الاوصاف عليهم، أدخل في باب الوجوب والاستحقاق.

وإن هذا الامر العظيم، وان كان أوسع الايام عطفا، وأنالهم رفقا ولطفا، لا يصل من أوجب الدين قطيعته، ولا يحفظ من رتب الحق إذالته، ولا يرخي في الطول لمن استن في رعي حمى السنن، ولا يستمر على المهل لمن زاغ عن النهج والسنن؛ فتأملوا ما اشتمل عليه كتاب الامام المعصوم -رضي الله عنه- الذي هو هدى وتبيان، ونور وبرهان. واهتدوا بهدي من الهداية مخصوصة، واعتصموا بحبل من العصمة عليه منقولة منصوصة؛ فلا مطمع في الهداية الا منه، ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة الحقيقة الا عنه ومن لدنه. وها نحن نقصد قصده ونتحداه، ونجاهد على إمضاء ما انطوى عليه معناه؛ وعلى هذا الحكم مضى العمل في المواضع التي نحن بصدد منها بعد ان ميّزوا بمثواهم، وعرف المجرمون بسماهم، وتبين كل منهم بما احتقب، وشهد عليه بما اقترف وبما ارتكب؛ وقد فضح الله تعالى منهم جماعة تعينوا بصحيح الاعلام، فأخذوا بالنواصي، والاقدام، وجرعوا مصقر كأس الحمام، بشبى الذوابل وجد الحسام، وصيروا عبرة لأولي الاجتراء على ارتكاب المحارم والاقدام. فامضوا -وفقكم الله- في اقطاركم على هذا النظام، واحكموا في هذه الاصناف بمثل هذه الاحكام، واخذوا حذو هذه الافعال في طحر القذى عن طرف الاسلام؛ فمن تحقق عندكم بترك الصلاة، ومنع الزكاة، وإتيان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحرمات، والانهمال في المحظورات، من المفسدين والمفسدات، واستصحاب تلك الاحوال المقررات، او واحدة من الافعال المشروحة المبينات، من غير اخذ لهم بقول ذي هوى وغرض، ولا بشهادة يتعرض فيها من الظنة ادنى عرض، فإذا صح التبيين، وصدق التعيين، فيؤخذوا بما احتقبوا، وليسألوا بما كسبوا، وليقابلوا عن فعالهم مقابلة من لا تصرفه عن الحق الصوارف. ولا تعطفه عن امتثال امر الله العواطف، بل يمضي في إمضاء الحق بأشد العزائم، وليعمل فيه عمل من لا يتقي في الله لومة لائم، الى ان يستمر امر الله تعلى على إذ لالة، ويبدو محيا الحق سافرا عن جماله، ويستقيم البشر على الجدد المهيع، ولا يعدلون عن سبل الاستقامة على الصراط الشوى في المرعى والمشرع، والمقصد والمترع، بعون الله تعالى.

ولتقدموا طلبة امناء من قبلكم يعلمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحفظ ام القرآن وما تيسر معها من السور، ويأخذونهم بمداومة ذلك ومعاهدته وحفظه؛ وليكونوا من الذين يراقبون ويحافظون، ولا يراعون في حقوق الله تعالى ولا يداهنون. واحذروا المداهنة وحذروها فانها صارفة عن الحق، مزيغة عن نهج الصدق. وليكن جميع ما تأتونه وتدرونه، وتقدمونه في هذا المقصد وتؤخرونه، جاريا على حكم الامام المعصوم، المهدي المعلوم -رضي الله عنه- مستندا اليه ففعله هو الذي نقتدي به، ونستمسك بسببه، ونمضيه على وجهه، ونجريه على رسمه، فلا نجاة الا اتباعه ولا أمنة الا في الامتساك باقواله وافعاله - أعانكم الله على ما تقصدونه من ذلك وتتحرونه، ووفقكم فيما تأتونه من ذلك وتتولونه، فذلك بيده.

وليكن في هذه الاصناف القوم الذين يكسرون الدعوة ولا ينقادون الى ما يجب عليهم من الحكم، والقبائل التي تعادي عن نصح لهذا الامر العظيم، ووقف في استخراج حقوق الله وأبان خبايا اهل التلبيس حتى انهم ينصبون لهم المكايد. وليمض عليهم هذا الحكم فهم اعداء الله ورسوله. وليكن هدا القصد عاما شاملا منتظما للحاضر والبادي، وبالنائي والدانى، من الذكور والاناث والاحرار والعبيد وسائر أصناف الناس لا يختص قوما دون قوم ولا جهة دون اخرى. والله تعالى يوفقكم، ويتولى بمنه عونكم.

وكتب في الثالث من ربيع الاول سنة ست وخمسين وخمسمائة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٧)

وجه عبد المؤمن رسالة جامعة[١]، تبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدله، ونهجه مناهج الحق، الى الطلبة في اشبيلية والاندلس، خلدت مآثرة، وأوامره، ووصاياه الحكيمة وأراءه العلمية.

وهي من انشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية، فرأيت في جملة ما أثبته أنموذج معاليه، التي هي إحدى فوائد هذا الكتاب ولآليه

وهي بعد البسلمة والصلاة:
من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره، وأمد بمعونته، الى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ،،،

فالحمد لله، وهو اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي بعدله قامت السموات والارض وبه تقوم. وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم الذي بعثه الله للمؤمنين، ينيلهم به الروح والنعيم، ويريهم رحيقها المختوم.

وكتابنا هذا كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة، وجعلنا واياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه - من الحضرة العلية بتينملل - حرسها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: وقد وصلناها - والحمد لله - وجناح الرحمة

---

١ - ابن القطان، نظم الجمان، ١٥٠ - ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخفوض، وطرف المكاره مغضوض، وفيض العدل والبذل منتشر مستفيض، وشأن الظلم - باذن الله تعالى - مكفوف مقبوض، والحق أبلج لا كتابة ولا تعريض.

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدى رضي الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم. وشفاء شوق اليه لزم ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعاً ببركاته، ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته، وحرصاً على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه، ويعلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترتفع، ويذكر فيها اسمه، ولتنعم الجوارح بمشاهدة هذه المشاهد المنعمة، والمواسم المعظمة، وتتزود بالتطوف على معاهد ما عهدته العوارف المتممة، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى غرضه، وأمر يستخب المرء اليه طلب ذلك الخير ويستنهضه.

وقد تم - بحمد الله تعالى - هذا الوطر، واقتضى الاياب الى النظر في المصالح والرأي الجميل النظر، وتفجرت - بحمد الله تعالى - منابع الخير وفاضت، وعادت روابض الأمر الى أشرف حالاته وآضت، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت في غير هذا الزمن المذكور وغاضت، ونسأل الله تعالى عونه على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها، ووعت الأفئدة نفائسها، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائعها.

وان الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه، فالسعيد من لقي ربه مبرءا من اتباع الهوى سليماً، والشقي من أتي مليماً، باكتساب الكبائر ملوماً، "ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه، وكان الله عليماً حكيماً" والله سبحانه يهب الرحمة للمسترحمين، ويحب الرفق ويحل به كنفه الأمين، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين: "واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء، وبرأفته كشف عنهم العماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: انما يرحم الله من عباده الرحماء.

وقد اتصل بنا - وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقي الله تعالى ولا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخشاه، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار، وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار، يستحلون حرمات المسلمين من غير حلها، ويسارعون الى نقض عقد الشرع وحلها، ويعملون بالشدة والغلظة بطراً ورياء في غير محلها، ويبتدعون من وجوه المظالم ما تضعف شواهق الجبال عن حملها، ويستنبطون من فواحش الآثام ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها، ويتسببون الى قتل المسلمين فضلاً عن استباحة اموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها، ومزورات يضيفونها اليهم وينسبونها، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة، ويعيثون فيهم بكل غاضبة للقلوب منتزعة والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول: "من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة له صراخ عند العرش يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة؟" ولا يلتفتون الى عاقبة ولا ينظرون، ولا يمرون بأذانهم ما يفعل الله تعالى بأمثالهم ولا يحذرون، "يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون"، هيهات! هيهات! انهم ساء ما كانوا يفعلون. تالله ليأتيهم من العقاب الأليم في أقرب أمد ما يهدهم هدّا، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا، ويستأصلهم بصواعق الانتقام، فقد جاءوا شيئاً ادا.

أما علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم، ويوقعهم في مهاوى بلواهم ويلبسهم اردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم؟ أما علموا أن أمر المهدي رضي الله عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم؟ ألم يقل رسول الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم"؟ لقد آمنوا مكر الله جرأة عليه واقداماً، وأعمت الشهوات بصائرهم اذهاباً لنور الحق من نفوسهم واعداما، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص، لما خرج من حبالة مكره ولا تخلص، ولسارع اليه من اسرع عقابنا ما يمحو رسمه محو القنا، ويكتب يديه ما قدمتا من الخنى!

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم، المستغرقة لأنواع المآثم الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم، أن أولياءك الخائضين في غمرات أبحرها،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثيرين لأسباب منكرها، الصارمين لعلق الشريعة، القاطعين لأبهرها، يمدون أيديهم الى ضرب الناس بالسياط، ابلاغاً في الانتهاء بكثرتها واحاشا، ويتسببكون بذلك الى اخذ أموال الناس إيغاراً للصدور واحاشا، وذلك أمر معاذ الله ان يرضى به مؤمن بالله، أو يتجه اليه حق بنوع من الاتجاه، ما أبعد العدل - أصلحكم الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه!.

وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الضرب أو يستحقه، ممن يظلم الأمر الشرعي او يعقه، حدود معلومة، دون إفحاش ولا انتهاك، ومواقف مرسومة، تقابل كلا بمقتضى جرمه من أثيم أو أفاك.

ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات، وتحجير المراسي، وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وافكاً، وأدناها الى من تولاها دماراً وهلكاً وأكثرها في نفس الديانة عبثاً وفتكاً، فإنا لله وانا اليه راجعون! هل قام هذا الأمر العالي الا لقطع أسباب الظلم وعلقه؟ وتمهيد سبيل الحق وطرقه، واجراء العدل الى غاية شأوه وطلقه؟ اللهم انا نشهدك أن سبيلنا سبيلك، وانا نستعيذك مما استعاذك منه محمد رسولك، روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أعوذ بالله من المغرم والمأثم، تنبيهاً على ما في اغرام الناس من الظلم المظلم، ولئن نقل الينا - والله الشاهد - أن نوعاً من هذه الأنواع المحرمة، أو صنفاً من تلك الأصناف المظلمة، يتولاه أحد هنالك من البشر، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر، لنعاقبنه بمحو أثره، عقاباً يبقى عظة لمن اتعظ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ.

وان من ذلك الرأي الذميم والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع الى أوطانهم وعمارتها، والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها، يتسبب اليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة، ويستبطنون المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت، وان للمخزن جميع ما به أتيت! ويقرنون بهذا من الوعيد والاغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب اعظم مناله، وانها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة، ويا عجبا لكم - معشر الطلبة والشيوخ وكل المؤمنين - فانكم بذلك مطلوبون، وما حجتكم وما أنتم على حق كيف تتكيف هذه الكبائر وأنت للأمور هنالك رصد؟ أم كيف تجرى هذه الظلمات وقد قام للحق أود؟ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك؟ والحرمات تنتهك؟ ولا يمتعض لذلك منكم أحد، ليعاقبن كل من جنى وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى، وان وراء قولنا لتتبعا يبحث عن ذلك ويمحص، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص!.

ولاشك - والله أعلم - في أن أسباب تلك المنكرات، ودواعي تغير تلك الأحوال المتغيرات، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس، ويقولون ما لا يفعلون ذهاباً الى التدليس عليكم والالباس، ويجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلاً من العدل والقول الجميل والايناس، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها، وبعدكم عن مشاهدة الأمور ومعاينتها، والتحجب عن مطالعة الأمور داعية كبرى لفسادها واختلالها، وسبب قوي في انتقاضها وانحلالها، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطل واسترسالها، فلا تكلوا النظر فيها الى أحد سواكم، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب عما قصدكم من الخير ونواكم، وباشروا الاحتكاك هنالك مباشرة المتعهد المتفقد، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المتنقد، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال، كثير الاضطراب في الباطل والانتقال، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال، وتثبتوا - وفقكم الله - في الاحكام التي لابد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الأمور والاستقصاء، وتعهدوا الناس بالتحذير من اللدد في الخصام وبالغوا في الإيصاء.

ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي الى الهجوم عليها والاقتحام، ويخرج النصر عن التثبت في القضايا والأحكام، فاذهبوا فيها مذهباً وسطاً، واقصدوا الاعتدال مقصداً مقسطاً، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكماً، وشاوروا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لكم فيه رسماً، فليس كل مجتهد مصيباً برأيه، ولا كل هاجم على رأي منجحاً في سعيه، وبين طرفي الأحوال واسطة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميلة فيها معقد السياسة ومناطها، وخير الأمور - كما قال عليه الصلاة والسلام - أوساطها.

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسببين لتلك القبائح، الساعين في صد ما يرضاه الله تعالى من المصالح، وتعرفونا بهم بعد تثقيفهم لنشرد بهم من خلفهم، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم، وقد استخرنا الله في سد تلك الذريعة، وصد تلك الأفعال الشنيعة، فرأينا أن ترفعوا الينا أحكام المذنبين للكبائر، وتعلمونا بنبأ كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر، دون أن تقيموا الحد عليه، أو تبادروا بالعقاب اليه، ولا سبيل لكم الى قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وانظارهم، ومن هو معهم وداخل في مضمارهم، وكل من ترون أنه يستوجب القتل، ممن يريد المكر في أمر الله والختل، فعرفونا بجلية أمره وتصحيحه، وخاطبونا بميز أمره ومشروحه، لينفذ ما يوجبه الحق ويقتضيه، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه، فإياكم من خالفة أمرنا هذا في قتل أحد ممن ذكرناه كائناً من كان، كبر ذنبه عندكم أو هان، ولتبادروا الى اعلامنا بذنبه، بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه، ونجرى الحق في مجراه.

وانه أعملنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه، ولا يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه، يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء، ويعبث في ذلك بكل اقدام على الله تعالى واجتراء، ولا يتحفظ من مواقعة الزنا المحض، ومخالفة الواجب مع الفرض، وان في ذلك من اطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع، وافساد الأصل من السنة والفرع، ما لا يحل سماعه، ولا يستقر بنفس مؤمنة استطلاعه، فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئاً منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع. ولتقدموا للنظر في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته، وتتحققون ثقته وصيانته، فمن أبيح له البيع والابتياع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع، وتجرى السنة مجراها ويمتثل الأمر المطاع، وكذلك فيتوقعوا عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الارجاء حتى تخاطبونا بأصل أمرهن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكيفيته، وتعلمونا من ذلك بجليته، لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم، ويجرى اليه اقتصادكم.

والله في البحث على الخمور، وتقديم النظر في أمرها فهو من أهم الأمور ، فإنها مفتاح الشرور. ورأس الكبائر والفجور. وهي رابطة أهل الجرم، وجامعة أشتات الظلم، قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم: "الخمر جماع الاثم" فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشأنها: واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها، واعمدوا الى السبب الذي يؤدي الى التمكن منها فارعوه والحظوه، واطرحوا الاغفال لذلك والفظوه، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالئ الرقيب، ولا يكن منهم الا من الحلال والحرام، ويميز ويعرف ما يجوز، شربه وما لا يجوز، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك واقتصاره، فما حل منه أباحوه وما كان غير ذلك قطعوه أصلاً وفرعاً وأراقوه. "الحلال بين والحرام بيّن"، ولقضايا الشرع نظام، قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم. "ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام".

وان ممن يسعى في نوع من أنواع الفساد بالمسلمين في الاصدار والايراد هؤلاء الراقصين، الذين يردون بالكتب ويصدرون، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم، ويلزمون في زادهم من كل موضع وعلقهم وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها، وسوء رأيهم بذلك في المخازن وغيرها، وان من جملة ما حكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعاً، ويحلون بأقنية الناس حلولاً شنيعاً، يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى انهم لا يرضون في ضيافاتهم الا بأسمن الجزر، وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر، فسارعوا - وفقكم الله تعالى - الى حسم هذه العلة من أصلها، وبادروا الى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها. وتخيروا لرسائلكم ارسالاً وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالاً، وادفعوا اليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف، وبقطع شأنهم عن التكليف والالحاف، والا سموا لهم أياماً معروفة العدد، معلومة الأمد، لينتهوا بها الى مواقف رسائلهم،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف أحد الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم الى مسلم بمساءة أو مضرة، والله تعالى المستعان على دفع أسباب الجور، ونستعيذ به سبحانه من الجور.

وكذلك ذكر لنا - وفقكم الله تعالى - من التحكم في الأموال، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال، أن أولئك الذين ذكرت خدعهم ووصفت غرضهم الذميم ومنزعهم، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره، وشرح مكره، وتمتد أيديهم الى المخازن هنالك فيعيثون فيها ويتحكمون، ويجرؤون في التعدي عليها ملء شأوهم وأنفسهم يظلمون، فاتقوا الله تعالى فيها، فانها أمواله المخزونة في أرضه، وبادروا الى كف كل معتد وقبضه، ولا سبيل لكم أن تنفذوا منها قليلاً ولا كثيراً الا بعد استئذاننا وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك، وهذا أمر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين كافة، أمراً دائماً لازماً، سنته بالاستمرار مستظلة، وصحته بفضل الله لا تدخلها تعلة.

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة، وبكلمة الايمان مشرقة منيرة، فأمرنا بجميع فصول كتابنا هذا اليكم ولسواكم شامل، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبين عناده، ويكف العاجل والآجل مآله، ومعاده، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال، ويكف يده عما رسمناه في كافة الأحوال، فقد تعرض لأشد العقاب، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصده الانتقام به عن سوء منحاه، فاستصحبوا حدنا هذا استصحاباً مؤيداً، واتخذوه في كافة أحوالكم مستنداً ومعتمداً، وعلى كل من الى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد، الآخذة بالمذهب الرشيد، عون الأمير - أيده الله تعالى - على بسط العدد، وافاضته على الكل، ورفع لعبء ثقل، وكل: أن يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة، ويتجافوا عن مواقع الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة، وينقادوا للواجبات بدارا اليها واسراعا، ويكونوا في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألفاً واجتماعاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان هذا الأمر عندنا - وفقكم الله تعالى - أهم أمر وأوجبه، وأحق ما أدناه الحق وقربه، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدماً، وأنفذه بأمر الله تعالى انفاذاً ملتزماً، رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا، وها هي قد رفعت الأشكال رفعاً بيناً، وأرتكم فرط اهتبالنا حقاً مبيناً، فبادروا الى تلقيها بالامتثال والمسارعة، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة، واحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من الطلبة والعمال، وكافة المقدمين للأعمال، ولا تقدموا أمراً من الأمور على انفاذ جميع ما تضمنه، والاعتمال بكل ما شرحه وبينه، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه، وبما أمركم به على قواعده ومبانيه، بما يكون منكم في تلقيه، واتباع ما ينهيه اليكم ويلقيه، واقرأوه على الكافة أعالي المنابر، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر، واسمعوا به افصاحاً واعلاناً، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا، وأحسنوا ايصال أغراضه اليهم، فإن الله تعالى يجزى الاحسان احساناً.

فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير، وبلغتم حجته بواجب التبليغ والتقرير، فاكتبوا منه نسخاً الى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر، وكل كورة من تلك الكور، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه، وامتثال مضمنه على ما يحبه الله تعالى ويرتضيه، وحذروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم.

وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين اشفاق وحنان، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان. ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شأن لا يقاربه من فضل الله تعالى شان، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه، وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه، فلتتلقوا كل من استرعاكم الله أمره بكل طلاقة ويسر، ولتنشروا عليهم جناح الرحمة أكمل نشر، ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد، في العهد القريب أو البعيد في مضمار واحد من العدل محمولون، وأنكم عن كل من هنالك مسؤولون، ولقط الموحدين بيننا وبينهم جميعاً، يسلك بينهم من التناصف مسلكاً مشروعاً. وقد ألفت الكلمة بينهم، فبعضهم لبعض في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخير أسوة، وقد قال الله تعالى "انما المؤمنون اخوة"، فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً الى مرضاة الله تعالى واتياناً، وكونوا عباد الله اخواناً، وأحسنوا بهم - رعاكم الله - ظناً، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق وقولوا للناس حسنى. واستألفوا الناس بالتي هي أحسن، وأبدلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن، وانهجوا لهم من المبرات منهجاً يبدو به مضمركم الجميل ويتبين، وسروا بصالح عملكم وبشروا وسيروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - ولا تعسروا وسكنوا، ولا تنفروا.

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب لا يتأتى لكم جملة واحدة، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم، ويضمن النجاح التام لكم ولمن وراءكم، فعليكم بالمظافرة، والمناصرة، والمؤازرة، فهي سواعد السعد، قواعد الود، وشيم الكرام الحافظين العهد، وبها يعمر محل الرضى ونديه، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه.

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها، ونبهناكم تنبيهاً بالغاً، وللحال ما بعدها، جعلنا الله تعالى واياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته، وحفظ ما استرعاه الله تعالى، فكل راع مسئول عن رعيته.

وكان مما - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم واذكاركم، وايقاظكم للنظر في تلك المصالح واشعاركم، ما ألقيناه بحضرة مراكش - حرسها الله - من بعض تلك الأنواع، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع، كنوع القبالة، وما يجرى مجراها في وجوب الازالة والاحالة، فإن كنا لا نبحث عن ذلك، لتخيلنا أنه لا يجرؤ أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك، فلما كان الحث عما يجب، وزال عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب، اطلعنا على ذلك، فأنكرنا ما كان نكيراً، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذوراً بالشرع محظوراً، حتى تظهر ثوب الأمن من دنسه، وتجلى الوجه الخالص عن ملتبسه، واقتبس نور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحق من مقتبسه، وجرت الأمور على ما عهدناه عليه من الاعتدال والقوام، بحكم ما أحكمه الامام المهدي رضي الله تعالى عنه في القضايا والأحكام، واذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب، فكيف الأمر فيمن هو في حكم بعدٍ عنا واغتراب؟!.

فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظر أولي الألباب، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب، ولتذهبوا الى اظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٨)

الرسالة الموجهة[١] الى الطلبة في تلمسان، وقد حدد فيها طبيعة المرحلة وضرورة اعادة تنظيم المجتمع.

أما بعد فانا نحمد الله اليكم، الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله، والحمد لله الذي أحل هذا الأمر العزيز من عنايته بالمحل، وخصه بدعاء الخلق الى ركوب السبيل الواضحة والطريقة المثلى، وأقام كفلته وحملته لاذكار القلوب الساهية، وتنبيه النفوس اللاهية، بسور من آياته تتلى، وعبر من مجتلياته تعرض في أوقات الغفلة وتجلى، وخطم بخزائم حدوده، وضم الى حصر قيوده، من تبسّط على الاسترسال وتدلى، واستفاء بحكمته وبيانه، وحالي شده وليانه، من أعرض وفاء بجانبه وتولى، وأصحبه من تمشية المقاصد، وتصفية المصادر والموارد، بما يكون له عند كل معتمد، وفي كل مقتصد، ردءاً مكيناً وكفلا، وأودعه من عطفات الرضوان، ونفحات الرحمة والغفران، ما يضع عن القلوب من متوقع مؤبقات الذنوب آصراً شديداً وثقلا، والصلاة والسلام على ممد عبده ورسوله الذي وسم الله برسالته زماناً غفلا، وشرع به من الدين ما نهج لمن جار أو حار مسالك وسبلا، وجعله - صلى الله عليه وسلم - بين الحق والباطل حجزاً مضروباً وفصلا، وأتم به النعمة، وأعم به الرحمة، احساناً غمرا وعطاء جزلا، وتعريفاً أنه الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء رحمة وعلما وفضلا، وعلى آله وصحبه الذين تبدأوا بالهجرة والنصرة محلا عالياً والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، مطلع أنواره، ومتبع آثاره، يقرها فرعا فرعا وأصلاً أصلاً، ويقرها على مثل مثلا، وعلى شكل شكلا، القائم بأمر الله وقد تغشت البسيطة ضلالا منطبقا وجهلا، وأشربت المنفوس من خبط المشواء، وغلبة الاهواء، امراجا وخبلا، واعتاضت برفع العلم وطموس الحق من رقي هويا ومن علو سفلا، فانتحته البشرى التي لا تتوقف، ووعد الوحي الذي لا يخلّف، انه يملؤها قسطا وعدلا، ويجرى في أمره الى غاية هي ختم الوجود،

---

١ - مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرسالة الثانية عشرة، ٤٧ - ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانقراض أمد الدنيا المحدود، مخصوصا من التأييد، وسنيات التمكين والتمهيد، بالأخلق منها فالأخلق والأولى فالأولى.

فانا كتبناه اليكم - كتبكم الله ممن أحسن لقبول ما يعتمده، وتلقى ما يرده استعداده، واجاد لاعز المطالب، وأفضل المكاسب، انتجاعه وارتياده، وتدرب على عمل الخير، فألفه واعتاده، وارتاح لوارد التذكير، ووافد التصير، فقوم به معوجه وثقف منآده - من حضرة مراكش - حرسها الله - ونحن نحمد الله على دينه الذي رفع علمه، وجمع معاقده وعصمه، وأمد له ببركة هذا الأمر العزيز من متين العقود، ومكين العهود، مما سراه وألحمه، فلا خلال - والحمد لله - يعرو مبرمه، ولا نقض بعثور محكمه، ولا مائل عن مدرجه، عائج عن منهجه، الا صادرة التعديل وصدمه، فمدعو أقلع وأقصر، وعم كشف له الغطاء فأبصر وتبصر، ومريح شمر عن ساعد الجد وحسر، وراكب ردع لحاجه، وممتد في غلواء تنكبه عن السبيل وعاجه، ومنطو على دخيل داء قد نقل بعلاجه، كل يوفي قسطه، ويمضي عليه من ثواب أو عقاب ما أثبته الكتاب وخطه، وحدود له تتعدى، وحقوق لا يتجاوز بها الأمد المشروح والمدى، وكل بما أسر من سريره، أو احتقب من صغيرة وكبيرة، ملبس ومردى، لا هوادة يحتمل، ولا وسيلة سوى التقوى يدلي بها ويدل، ولا قربى بغير العمل الصالح توصل، وتبل ميزان القسط عدل وأمال، ورجح وأشال، وكال لكل ما اكتال، والله يعد من نفحات من رحمته يصيب بها من عباده من استنفحها، ويصل أبواب التوصل اليها من قرعها بالمناب واستفتحها، ويستقيل بها عثرات الزلة، وفترات الغفلة، ومن أعتق نفسه من ملكة الهوى وسرحها، اولئك الذين سقت لهم منا الحسنى، وانقادوا بزمام العقل، فما استمالت لهم دواعي النفس طرفا ولا استهوت منهم اذنا، وكلما ذهبت سنة بأجفائهم، أو عرض عارض في ميدانهم، قرعوا عليه من ندم سنا، واستشعروا لما أصابهم أسفا وحزنا، ثم تابوا الى القيئة، وتعلقوا بأهداب تلك الحالة الاولى وتلك الهيئة، وكانوا من التطلب لتلك الاذواق المستملاة، والمناظرة الحسنة المجتلاة، بين ذهاب وجيئة والله يلهم كلا الى ما قصد به مما هو حظه الا جمع، وركنه الأشد الأمنع، وعلق قضيته التي تهمل ولا تضيع.

وقد كنا - أعزكم الله بتقواه - عند ما أنسنا من فترات الاعمال،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحؤول الاحوال والاستئناس في أمر الله بالاهماك والانهمال، والتدرج في مناقل التغيير بما لان له مركب الاستهانة والاستبهال، رأينا ما لا يسع الاحتمال فيه، ولا يبرأ من درك التحرج في أرجاء تداركه وتلافيه، ولا يؤدى حق الاستحفاظ باقرار ما يبطله الحق وينفيه وان المماشاة في ذلك وهن لا يقبله الله في دينه ولا يرتضيه، واذا نصب الله معالم الهدى، ولم يخلق الامة عبثاً ولا تركهم سدى، بل جعل كلا بما وجه اليه من أمر ونهي مكلفا متعبداً، وأقام لهم فيما يأتونه ويذرونه رسما لا يحيل ولا يستحيل مذللا بسلوكه معبدا، فما هم والتخلي مع الأهواء ومخالفة الافئدة الهوى والرضا لهم بما رضوا من الاقامة بدار المضيعة والندا. وأمر الله لا يدع، وحكمه يكف ويقرع، وله - جل جلاله - قومة بدينه يزع بهم ما يزع، يسوون ويعدلون، ويقضون بالحق وبه يعدلون، وما زلنا نعرض الذكرى بينة، ونهدى الكلمة لينة، وندعو الى سبيل الله بمقتضى المدعاة الواجبة المتعينة، وننتظر بالمسوف ارعواء عن الغي، وانثناء عن مدارج الملل واللي، وتحولا من القلب الميت الى القلب الحي، النفوس بزمام هوها منقادة، وعلى ما ألفته قدما من أسوأ عادة، تنحط في شعب حياتها، وتطغى وقد أرخى لها الاغترار من شكيم مراحها، وتترك لايثار الفساد جانب صلاحها، وتصم أسماعها وقد قرعتها بما شاء التذكير أقوال انصاحها، فتقضي أمر الله أن تقوم بحقه واستدعى عهده الوفاء به في خلقه، وحمل هذه السائمة الهائمة، على سبيل الاعتدال وطرقه، وأبطأها مركب الطاعة على ما لابد فيه من عنف الأخذ أو رفقه، فتحركت بواعث الاعتزام، واستقلت باستعانة الله دواعي الاستغرام، وأخلص له - جل جلاله - مجرد القصد والالمام، واستوبق بما استقبل وتوجيه ما أمل تجديد مراسم الايمان، ومعالم الاسلام، وان تورد موارد الشرع صافية النطاق رزق الجمام.

ولما انقسم الناس في المراد من اصلاح فسادهم وتقويم منآدهم الى من استأثر بالمشاهدة عيانه، والى من يعد من المباشرة مكانه، وكان لكل من مساواة الحظ، وتقسم التفات اللحظ، ما يتوجه اليه بيانه، ويثنيه الى ما يقصده من هذا الغرض وينتحيه زمام التناول وعنانه، أودعت أغراض هذا المقصد الكريم، ومناجي الدعاء الى الصراط المستقيم، الكتب الواصلة اليكم والى سواهم من أهل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقطار بما تضمنته من الأحوال، وضرب الاشكال والامثال، وتبين متروك الحرام ومأتى الحلال وتنزيل القضايا الشرعية منازلها من الاحكام والاعمال، وتعريف مواقع الثواب لأهل الثواب، ومواقع النكال لأهل النكال، بما استوفى فيه الاداء، وتقصى الابلاغ والانهاء، ووقف عند غايته الركض والاجراء، وخفت بذلك عن كاهل الامانة وتقلد أمر الديانة .والاثقال والاعباء، وأقيمت الحجة، وأوضحت المحجة، فلا متردم من القول يستلحق فيه الدرك والاستثناء، أو يحاول فيه التعقب والاستفحاص والاستقصاء.

ولما قضيت تلك الوظيفة بحالها، وسقطت عهدة احتمالها، أقبلنا الاشتغال على من الينا وحوالينا من الموحدين، وجميع القبائل لنأخذهم بمآخذ ذلكم التعديل، ونحملهم على نهج تلكم السبيل، وتساوى بين من بعد ودنا في الفعل والقيل، وتمضي سطور تلكم الاحكام على مساوقة الغرض لها والتنزيل، وتعدم بسيف الحق آثار أهل التغيير والتبديل، ولما حللنا هذه الحضرة - حرسها الله - وهذا الغرض المبارك يتمكن مع مطالعة الأحوال سببه، ويتقعد مدهبه، ويتطور في كيفية مآله، وموقف بحاله، نسبه ونصبه، ابتدأنا بالنظر في أحوال الموحدين واحضار الجميع منهم بهذه الحضرة - عمرها الله - واستوفدناهم قبيلا قبيلا وشعبا شعبا، وقد تأكد العزم على القيام بأمر الله واعادته على ادلاله واحياء دراسه واقامة عموده، ونفي الخبث عن ارجائه وتصفيته من الشرب وانشائه خلقا جديداً، ولا يكون ذلك الا باخلاص المقصد واظهار الفعل وامضاء الحكم وترك التلفت الى الاقوال ووسائل الالسنة، فشد ما ارتهنت بما لا وفاء عنده ولا ثمرة له . والتحق بهذا الأصل استدعاء جمل من كل قبيل من المصامدة وغيرهم ليقع العمل في الجميع وتصفى الموارد وترحض الادناس، اذ كان الفساد قد خالط النفوس ومازج القلوب ووقع به الاستئناس، وألفته الاهواء وحجت المناصحة فيه الاسماع، ونسي كل ربه فأنساه نفسه وسقط رعي الحرمات وتنوسيت الذمم لأهلها والسوابق لأربابها، وفي اثناء هذا الاستدعاء أقبل أهل التوحيد على الاشتغال بنفوسهم والعكوف على قراءة توحيدهم، وملازمة وظائفهم، وافصحت نصب الحال عن أمور من مثلها يأخذ الفطن حرزه ويستحضر اشفاقه ويتوقع يومه وعندها ويتراءى الناظر مكان سقطاته، وموضع فرطاته، وتتخشى له منسيات ذاكرته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تزل القبائل ترد أفواجاً وتفد أقواماً، وخلال الثلوم باكتمالهم أخذوا بالقراءة والتعلم ومدارسة التوحيد وتحفظ ما تقام الصلاة به من القرآن، وكان لهذا الأخذ من كل طبقة وصنف عمل علت به الأصوات وعظم الأثر وقد ظهر في مبادئ هذا المنازع وانقراض هذه المقدمات ما شخصت له الأبصار، وجد فيه الاعتبار، وخاص منه النفوس الخوف المقلق والحذار، وتوقع ظهور آية تفرق بين المحقق والمبطل، وتميز الخبيث من الطيب، وتلبس كلا رداء سريرته، وجلباب طويته، وما ذاك ببعيد عن أعرض عن الحق واتبع هواه، وأخل بعده الذي عاهد عليه، واستبطن غير ما أظهر، ولله في هذا الأمر العزيز اسار مخبوءة وودائع مكتومة، يمحص الله بها المؤمن ويمحق الكافر.

ولما تكاملت أعداد الواصلين، وقد غصت بهم السبل، وعضل بهم الفضاء، افتتح باب العمل، واستعين الله تعالى، وابتدى بتطوير الناس على طبقات ثلاث يعرف بها كل واحد قدره، ويقف بها عند حده، ويعلم أين هو من مضماره، وتأخره أو بداره، فالطبقة الأولى هم السابقون الأولون الذين بايعوا الامام المهدي - رضي الله عنه - وصحبوه، وغزوا معه، وصلّوا خلفه، والذين شاهدوا البحيرة وباؤوا بفضلها، واشتملوا ببردة شرفها، وارتقوا الى ذروة الحظوة بها، وشهد لهم بالفضل الذي لا يوازى والرتبة التي لا تعادل، ويتلو هذه الطبقة من آمن بهذا الأمر، ودخل في هذا الحزب، وانضوى الى هذا الشعب من بعد البحيرة الى فتح وهران، والطبقة الثالثة من فتح وهران الى هلم جرا، وجرى - وفقكم الله - هذا التطوير على نظام أحكم فيه الوصف، ورتب فيه الوضع، وروعيت فيه الزلف والقرب والمنازل المعلومة والرتب، والتفت الى أحوال أهل الثبوت والنكوص، ومن تقاصر عن الكمال بالحظ المنقوص، على تحرير من النظر ووزن من العدل، عرف الناس بسيماهم، ووقف بهم عند غاياتهم، وعلم كل مركزه، واحتل بمحطه، ووجد نفسه حيث وضعها العمل وأهلها السعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٩)
المصحف العثماني بقرطبة[١]

رجع: وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني، وهو متداول بين أهل الأندلس، قالوا ثم آل أمره إلى الموحدين، ثم إلى بني مرين، قال الخطيب ابن مرزوق في كتابه "المسند الصحيح الحسن" ما ملخصه: وكان السلطان ابو الحسن لا يسافر إلا ومعه المصحف الكريم العثماني، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم، ومقام كبير، وكيف لا؟ قال ابن بشكوال: أخرج هذا المصحف من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الأعظم، ليلة السبت حادي عشر شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الأمصار: مكة، والبصرة، والكوفة، والشام. وما قيل إن فيه دم عثمان هو بعيد، وإن يكن أحدها فلعلّه الشامي، قاله ابن عبد الملك.

قال أبو القاسم التجيبي السبي: أما الشامي فهو باقٍ بمقصورة جامع بني أمية بدمشق المحروسة، وعاينته هناك سنة ٦٥٧، كما عاينت المكي بقية اليهودية، وهي قبة التراب، قلت: عاينتهما مع الذي بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها، قال النخعي: لعله الكوفي أو البصري. وأقول: اختيرت الذي بالمدينة والذي نقل من الأندلس فألقيت خطهما سواء، وما توهموا أنه خطه بيمينه فليس بصحيح، فلم يخط عثمان واحداً منها، وإنما جمع عليها بعضاً من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدني، ونص ما على ظهره: هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي، وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على كتب المصحف، انتهى.

---

١ - المقري، نفح الطيب، ١/ ٦٠٥ - ٦١٥.

؛ السلاوي، الاستقصا، ٢/ ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتنى به عبد المؤمن بن علي، ولم يزل الموحدون يحملونه في اسفارهم متبركين به، إلى أن حمله المعتضد، وهو السعيد علي بن المأمون أبي العلاء إدريس ابن المنصور، حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥، فقتل قريباً من تلمسان، وقدم ابنه ابراهيم، ثم قتل، ووقع النهب في الخزائن، واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر، ونهب المصحف، ولم يعلم مستقره، وقيل: إنه في خزانة ملوك تلمسان، قلت: لم يزل هذا المصحف في الخزانة إلى ان افتتحها إمامنا أبو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧، فظفر به وحصل عنده إلى أن اصيب في وقعة طريف، وحصل في بلاد برتقال، وأعمل الحيلة في استخلاصه، ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد أحد تجار أزمور، واستمر بقاؤه في الخزانة؛ انتهى باختصار.

واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء، كما ذكره ابن رشيد في رحلته، ولا بأس أن أذكر كلامه بجملته، والرسالة في شأن المصحف لما فيها من الفائدة، ونص محل الحاجة منه: أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه، قال: أنشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ابن كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عياش لأبيه رحمهم الله تعالى مما نظمه، وقد أمر أمير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف:

ونفلته من كل ملك ذخيرة ... كانهم كانوا برسم مكاسبه
فإن ورث الاملاك شرقاً ومغرباً ... فكم قد اخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشاً جعلته ... أمام قيناه في الوغى وقواضبه
والبسته الياقوت والدر حلية ... وغيرك قد رواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الأمر في وصوله إلى الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن، وما أبدى في ذلك من الأمور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر، حسبما أطرفنا به الوزير الأجل ابو زكرياء يحي بن احمد بن يحي بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله تعالى وشكره، مما استفاده وافاده لنا مما لم نسمع به قبل، عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور، مما تضمنه من وصف قصة المصحف، فقال: وصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قمراً الأندلس النيران، وأميراها المتخيران، السيدان الأجلان أبو سعيد وأبو يعقوب ايدهما الله، وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وهو الإمام الذي لم يختلف فيه مختلف، وما زال ينقله خلف عن سلف، قد حفظ شخصه على كثرة المتناولين، وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين، وله من غرائب الأنباء ومتقدم الإشعار بما آل إليه أمره من الإيماء ما ملئت به الطروس، وتحفظه من أهل الأندلس الرائس والمرؤوس، فتلقي عند وصوله بالإجلال والإعظام، وبودر إليه بما يجب من التبجيل والإكرام، وعكف عليه أطول العكوف والتزم أشد الالتزام، وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لأولي الالباب، وبلاغ في الإغراب والإعجاب، وذلك أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير المؤمنين، أدام الله له عوائد النصر والتمكين، كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره الكريم، وحركته إليه دواعي خلقه العظيم، وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية، وسجاياه الحسنة الرضية، في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم، ووطئه الموصل بحرمته للتقديم، فتوقع أهل يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه، ويستوحشوا لفقدان اضاءته في افقهم وإشراقه، فتوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه، فأوصله الله اليه تحفة سنية، وهدية هنية، وتحية من عنده مباركة زكية، دون أن يكدرها من البشر اكتساب، أو يتقدمها استدعاء او اجتلاب، بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله الى مستحقه، والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه، ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه، وعضدت مخايل برقه سواكب ودقه، وكان ذلك من كرامات سيدنا مولانا الخليفة معدوداً، وإلى امره الذي هو أمر الله مردوداً، وجمع عند ذلك بحضرة مراكش - حرسها الله تعالى - سائر الأبناء الكرام، والسادة الأعلام، بدور الآفاق، وكواكب الإشراق، وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة وذوو الاستحقاق، فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيراً الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة، والتئام خطوطها على مركز الدائرة، ووصول المتقدم ذكره، المشهور في جميع المعمور أمره، وهو هذا:

دراري من نور الهدى تتوقد ... مطالعها فوق المجرة اسعد

وانهار جود كلما امسك الحيا ... يمد بها طامي الغوارب مزبد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآساد حرب غابها شجر القنا ... ولا لبدة الا العجاج الملبد

مساعير في الهيجا مسارع للندى ... بأيديهم يحمى الهجير ويبرد

تشب بهم نار ان للحرب والقرى ... ويجري بهم سيلان جيش وعسجد

ويستمطرون البرق والبرق عندهم ... سيوف على أفق العداة تجرد

اذا عن سجف الساريات مضاؤها ... فماذا الذي يغني الحديد المسرد

ويسترشدون النجم والنجم عندهم ... نصول الى حب القلوب تسدد

تزاحم في جو السماء كأنما ... عواملها في الأفق صرح ممرد

تخازر الحاظ الكواكب دونها ... ويفرق منها المرزمان وفرقد

ألم ترها في الافق خافقة الحشا ... كما تطرف العينان والقلب يزاد

وليس احمرار الفجر من اثر السنا ... ولكنه ذاك النجيع المورد

وما انبسطت كف الثريا فدافعت ... ولكنها في الحرب شلو مقدد

وحط سهيلاً ذعره عن سميه ... فاضحى على أفق البسيطة يرعد

ولما رأى نسر وقوع اليفه ... تطاير من خوف فما زال يجهد

أهاب بأقصى الخافقين فنظمت ... وهيب جمع المخفقين فبددوا

واضفى على الدنيا ملابس رحمة ... نضارتها في كل حين تجدد

واخضل ارجاء الربى فكأنما ... عليها من النبت النضير زبرجد

فمن طرب ما اصبح البرق باسماً ... ومن فرح ما أضحت المزن ترعد

وغنى على أفنان كل أراكة ... غذاها حيا النعمى حمام مغرد

وكبر ذو نطق وسبح صامت ... وكاد به المعدوم يحيا ويوجد

وابرز للأذهان ما كان غائباً ... فسيان فيها مطلق ومقيد

سلام على المهدي، أما قضاؤه ... فحتم، وأما أمره فمؤكد

إمام الورى عم البسيطة عدله ... على حين وجه الارض بالجور أربد

بصير رأى الدنيا بعين جلية ... فلم يغنه الا المقام الممجد

ولما مضى والامر لله وحده ... وبلغ مأمول وانجز موعد

تردى أمير المؤمنين رداءه ... وقام بأمر الله والناس هجد

بعزمة شيحان الفؤاد مصمم ... يقوم به اقصى الوجود ويقعد

مشيئته ما شاءه الله، إنه ... إذا هم فالحكم الإلهي يسعد

كتائبه مشفوعة بملائك ... ترادفها في كل حال وترفد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما ذاك إلا نية خلصت لـــــــه ... فليس له فيما سوى الله مقصـــد

إذا خطبت راياته وسط محفـــــل ... ترى قمم الاعداء في الترب تسجد

وإن نطقت بالعمل فيهم سيوفـــه ... أقر بأمر الله من كان يجحـــد

معيد علوم الدين بعد ارتفاعها ... ومبدي علوم لم تكن قبل تعهـــد

وباسط انوار الهداية في الـورى ... وقدضم قرص الشمس في الغرب ملحد

وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها ... يغان بأكنان الضلال ويغمـــد

فما زال يجلو عن مطالعها الصدا ... ويبرزها بيضاء والجو أســـود

جزى الله عن هذا الانام خليفـــة ... به شربوا ماء الحياة فخلـــدوا

وحياة ما دامت محاسن ذكـــره ... على مدرج الأيام تتلى وتنشـــد

بمصحف عثمان الشهيد وجمعـــه ... تبين ان الحق بالحق يعضـــد

تحامته أيدي الروم بعد انتسافه ... وقد كاد لولا سعده يتبـــدد

فما هو إلا أن تمرس صـــارخ ... بدعوته العليا فصين المبـــدد

وجاء ولي الثار يرغب نصـــره ... فلثباه منه عزمه المتجـــرد

رأى أثر المسفوح في صفحاتـــه ... فقام لأخذ الثار منه مؤيـــد

وشبهه بالبدر وقت خسوفـــه ... فلله تشبيه له الشرع يشهـــد

زمان ارتفاع العلم كان خسوفـــه ... وقد عاد بالمهدي والعود احمـــد

اتتك أمير المؤمنين الوكـــة ... من الحزم الاقصى لامرك تمهـــد

سيوف بني عيلان قامت شهيـــرة ... لدعوتك العلياء تهدي وترشـــد

وطافت ببيت الله فاشتد شوقـــه ... إليك ولبى منه حجر ومسجـــد

وحج اليك الركن والمرو والصفـا ... فأنت لذاك الحج حج ومقصـــد

مشاعرها الاجسام والروح أمركـــم ... ومنكم لها يرضى البقاء المخلـد

فلله حج واعتمـــار وزورة ... اتتنا ولم يبرحك بالغرب مشهـــد

ولله سبع نيرات تقارنـــت ... بها فئة الإسلام تحمى وتسعـــد

إذا لم يكن الا فناءك عصمـــة ... فماذا الذي يرجو الفمي المبعـد

فدم للورى غيثاً وعزاً ورحمـــة ... فقربك في الدارين منج ومسعـــد

وزادت بك الاعياد حسناً وبهجـة ... كأنك للاعياد زي مجـــــدد

ولا زلت للأيام تبلي جديدهـــا ... وعمرك في ريعانه ليس ينفـــد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم، ووصل سعودهم، لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور، واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير، شرعوا في انتخاب كسوته، وأخذوا في اختيار حليته، وتأنقوا في استعمال احفظته، وبالغوا في استجادة أصونته، فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين، ممن كان بحضرتهم العلية، أو سائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة، أو ينسب الى الحذق في صناعة، إلا أحضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة، وأشكال مبتدعة، وضمنوها من غرائب الحركات، وخفي إمداد الأسباب للمسببات، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، واستفرغوا فيه جهد قوتهم، والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم، وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم، وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم، فسلكوا من عمل هذه الأمثلة كل شعب، ورأبوا من منتشرها كل شعب، وأشرفوا عند تحقيقها وإبراز دقيقها على كل صعب، فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تيأس عن مطلبها، والخواطر تكر راجعةً عن خفي مذهبها، حتى أطلع الله خليفته في خلقه، وأمينه المرتضى لإقامة حقه، على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها، وتخلصت أشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها، ألقوا ذلك - أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته ويسره - الى المهندسين والصناع فقبلوه أحسن القبول، وتصوروه بأذهانهم فرأوه على مطابقة المأمول، فوقفهم حسن تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم، وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - وسيأتي بعد هذا إشارة الى تفصيل تلك الحركات المستغربة، والأشكال المونقة المعجبة، إن شاء الله تعالى -؛ مما صنع للمصحف العظيم من الأصونة الغريبة، والأحفظة العجيبة، أنه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه، لا يشبه بعضها بعضاً، قد أجري فيه من ألوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الأول مثال، ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال؛ وله مفاصل تجتمع اليها أجزاؤه وتلتئم، وتتناسق عندها عجائبه وتنتظم، قد أسلست للتحرك أعطافها، وأحكم انشاؤها على البغية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانعطافها. ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في افراده، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده، وتظن العز الأقعس، والملك الأنفس، في ادخاره واعداده، وتسمي الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنفه واتحاده، فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلألؤه واتقاده، وأشبهه الروض المزخرف غب سماء أقلعت عن إمداده، وأتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر، آخذاً بمجامع القلب والبصر، مستولياً بصورته الغريبة على جميع الصور، يدهش العقول بهاء، ويحير الألباب رواء، ويكاد يعشي الناظر تألقاً وضياء، فحين تمت خصاله، واستركبت أوصاله، وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله، رأوا - أدام الله تأييدهم، وأعلى كلمتهم - مما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات، والإشراف على جميع الثنيات، أن يتلطف في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طوراً متصلاً، وطوراً منفصلاً، ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلاً، وتارة للعموم متجملاً، إذ معارج الناس في الاستبصار تختلف، وكل له مقام إليه ينتهي وعنده يقف، فعمل فيه على شاكلة هذا المقصد، وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد، وكسي المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الأخضر، ذي حلية خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر، ورتب ترتيباً يتأتى معه أن يكسى بالصوان الأكبر، فيلتئم به التئاماً يغطي على العين من هذا الأثر، وكمل ذلك كله على اجمل الصفات وأحسنها، وأبدع المذاهب وأتقنها، وصنع له محمل غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك، ويشتد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك، مغشىً كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع، لم تعمل قط في زمان من الأزمان، ولا انتهت قط إلى أيسره نوافذ الأذهان، مدار بصنعة قد أجريت في صفائح الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال، ويشاركه في أكثر الأحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على أنوارها، والصدور على محفوظ أفكارها، مكعب الشكل سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التتميم في أوصاله والتكميل، جارٍ مجرى المحمل في التزيين والتجميل، وله في أحد غواربه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باب ركبت عليه دفتان قد أحكم إرتاجهما، ويسر بعد الإبهام انفراجهما، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه، ما دبرت الحركات الهندسية، وتلقيت تلك التنبيهات القدسية، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية، وذلك أن بأسفل هاتين الدفتين فيصلاً فيه موضع قد أعد له مفتاح لطيف يدخل فيه، فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه وأديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته، وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتي بها من مؤخر الكرسي زحفاً إلى مقدمه، فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد، وترتبت هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر، فإذا ادير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها أولاً انفتح الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره، فإذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضاً من تلقائه، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح، كالذي كان في حال خروجه، وصحت هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي، وهي مما يدق وصفها، ويصعب ذكرها، أظهرتها بركات هذا الأمر السعيد، وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة، أدام الله تعالى أمرهم وأعز نصرهم.

وفي خلال الاشتغال بهذه الأعمال التي هي غرر الدهر، وفرائد العمر، أمروا - أدام الله تعالى تأييدهم - ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش - حرسها الله تعالى - فبدئ ببنيانه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور، على أكمل الوجوه، وأغرب الصنائع، وأفسح المساحة، وأبعد البناء والنجارة، وفيه من شمسيات الزجاج وحركات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه، فكيف في هذا الأمر اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلاً عن بنائه؟ وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور، ونهضوا - أدام الله سبحانه تأييدهم - عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والروضة المعظمة، بمدينة تينملل أدام الله رفعتها، فأقاموا بها بقية شعبان المكرم، وأكثر شهر رمضان المعظم، وحملوا في صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الإمام المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت الموصوف، إذ كان قد صنع له غرفة في أعلاه، وأحكمت فيه إحكاماً كمل به معناه، واجتمع في مشكاته فعاد النور إلى مبتداه، وختم القرآن العزيز في مسجد الإمام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها، وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب.

ثم قال ابن رشيد - بعد إيراد ما تقدم - ما صورته: نجزت الرسالة في المصحف العظيم، والحمد لله رب العالمين، انتهى محل الحاجة منه.

المقرى، نفح الطيب، ١/ ٦٠٥ - ٦١٥.

السلاوي، الاستقصا، ٢/ ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

١ - ابن الابار "عبد الله محمد بن بكر القضاعي ت ٦٥٨"، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، العربية للطباعة/ القاهرة ١٩٦٢، حزيران.

٢ - ابن الابار "عبد الله محمد بن بكر القضاعي ت ٦٥٨"، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار، ط روحي المجريط، ط السعادة/ مصر ١٩٥٥.

٣ - ابن الابار "عبد الله محمد بن بكر القضاعي ت ٦٥٨"، المعجم، القاهرة، ١٩٦٣.

٤ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، الكامل في التاريخ، ط ليدن، ١٨٦٧.

٥ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، الكامل ١٣ جزءا، دار صادر، بيروت ١٩٦٥.

٦ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، الكامل ١٠ أجزاء، الدار العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٧ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، الكامل ٩ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٨ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، الكامل ١٢ جزءا، ط القاهرة، ١٣٠٢ هـ.

٩ - ابن الاثير "علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠"، التاريخ الباهر في الدولة الاتابيكية بالموصل، المؤرخون الشرقيون.
القاهرة، ١٣٠٢ هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- ابن اياس "محمد بن أحمد بن اياس الحنفي"، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط بولاق وط محمد مصطفى/ القاهرة ١٩٦٠.

١١- الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد الحسني) ت ٥٥٦ هـ، صفة المغرب والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط ليدن، ١٨١٦.

١٢- الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد الحسني) ت ٥٥٦ هـ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، نشرة دوزى دى فويه ١٨٦٤.

١٣- ابن ابي اصيبعه "موفق الدين ابي العباس أحمد بن قاسم الخزرجي" ت ٦٧٧، عيون الانباء في طبقات الاحياء، ط بيروت/ ١٩٦٥.

١٤- بوجندار الرباطي محمد بن مصطفى، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، ط الجريدة الرسمية، الرباط، ١٩٢٦.

١٥- ابن بطوطه أبي عبدالله احمد بن عبدالله "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الابصار، ط القاهرة، ١٩٣٤، بيروت ١٩٦٥.

١٦- ابن بلكين "الامير عبد الله، التبيان، تحقيق بروفنسال، ط القاهرة، ١٩٥٥.

١٧- أبو الحسن بن سعيد المغربي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعه، ط القاهرة ١٩٤٥/ تحقيق الابياري.

١٨- ابن حجر "احمد بن علي"، فتح البارى بشرح صحيح البخارى تهذيب التهذيب، ط الباب الحلبي/ مصر ١٩٥٩، ط المعارف الهند/ ١٢٢٧ هـ.

١٩- ابن حجر "احمد بن علي"، لسان الميزان، ط دار الفكر، بيروت ١٩٧١.

٢٠- ابن حيان "أبو مروان بن خلف"،ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م المقتبس من انباء أهل الاندلس، ط الرباط/ ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١- الحميدي أبو عبد الله محمد الأزدى، ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، جذوة المقتبس في ذكر الاندلس، ط المصرية للتأليف/ ١٩٦٦.

٢٢- ابن بشكوال "خلف بن عبد الملك ابن مسعود" ت ٥٧٨ هـ، الصلة، القاهرة، ١٩٥٠، ١٩٦٦.

٢٣- البكرى "ابو عبد الله بن عبد العزيز"، المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب، ت ٤٨٧ هـ، نشره دى سلان، الجزائر ١٩١١.

٢٤- البيذق "ابو بكر الصنهاجي"، الانساب في معرفة الاصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.

٢٥- البيذق "ابو بكر الصنهاجي"، اخبار المهدى ابن تومرت تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨.

٢٦- البيذق "ابو بكر الصنهاجي"،نهاية القرن السادس البيذق، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

٢٧- البيذق "ابو بكر الصنهاجي"، اخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، ط الرباط، ١٩٧١، دار المنصور للطباعة.

٢٨- أبو بحر صفوان ادريس المرسي، زاد المسافر وثمرة محيا الادب السامر، ط بيروت ١٩٣٩/ تحقيق عبد القادر محداد.

٢٩- ابن بسام "ابو الحسن علي الشنتريني" ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧م، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط القاهرة، ١٢٥٨ هـ.

٣٠- ابن تومرت "محمد بن عبد الله"،ت ٥٢٤هـ/١١٢٩م، أغز ما يطلب، نشره جّ ر لوسباتي، الجزائر، ١٩٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١- ابن تومرت "محمد بن عبد الله"، أغز ما يطلب، الجزائر، ١٩٨٥، تحقيق الطالبي.

٣٢- التيجاني "ابو محمد عبد الله بن أحمد" ت ٧١٧ هـ، ١١٢٧م، رحلة التيجاني/ تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ط تونس، ١٩٨١، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

٣٣- ابن تغرى بردى "أبو المحاسن يوسف"،ت ٨٧٤هـ/١٤٧٢م، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية، ١٩٦٥م.

٣٤- ابن جبير "محمد بن أحمد بن جبير البلنسي" ت ٦١٤، رحلة ابن جبير، ط دار الصياد ودار بيروت، ١٩٦٤.

٣٥- الجزناءى "ابو الحسن علي"، زهرة الأسى في بناء مدينة فاس، ط الجزائر، ١٩٢٢، نشر ألفرد بيل.

٣٦- ابن تيمية تقي الدين أحمد عبدالحليم ت ٧٢٨/ ١٣٢٧م، مجموعة فتاوى ابن تيمية، ط المعارف الرباط/ط بيروت دار المعرفة جمع وترتيب عبدالرحمن قاسم، ١٩٦٥.

٣٧- ابن تيمية ت ٧٢٨، منهاج السنة، القاهرة دار الفكر العربي، د.ت.

٣٨- الحميرى "محمد بن عبد المنعم" ت ٩٠٠ هـ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط دار العلم للطباعة ١٩٧٥، مكتبة لبنان، بيروت.

٣٩- ابن حوقل أبي القاسم محمد بن حوقل ت ٢٦٧هـ، صورة الارض، بيروت منشورات مكتبة الحياة، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٠- ابن الخطيب "لسان الدين محمد" الوزير الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، ط القاهرة، ١٩٥٥.

٤١- ابن الخطيب "لسان الدين محمد" الوزير الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشرة ليفي بروفنسال، ط بيروت، ١٩٥٦.

٤٢- ابن الخطيب "لسان الدين محمد" الوزير الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، القسم الثالث من أعمال الاعلام، "تاريخ المغربي العربي في العصر الوسيط"، تحقيق وتعليق د. أحمد العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، ط الدار البيضاء، ١٩٦٤، دار الكتاب.

٤٣- ابن الخطيب "لسان الدين محمد" الوزير الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، رقم الحلل، تونس، ١٣١٦ هـ.

٤٤- ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد"،ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط بيروت ١٩٦١.

٤٥- ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد"، المقدمة، لجنة التبيان العربي ١٩٧٨.

٤٦- ابن خلكان، "شمس الدين ابو العباس أحمد"،ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وفيات الاعيان، وأنباء أبناء الزمان، ط القاهرة، ١٩٤٨.

٤٧- ابن خاقان "ابو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي" ت ٥٣٥ هـ، ١١٤٠م، قلائد العقيان، ط فارس، ١٩٦٦.

٤٨- البخارى أبوعبدالله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م، صحيح البخارى، ط بيروت، دار الجيل ١٩٧٠، القاهرة ١٩١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩- ابن ابي دينار "ابو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني القيرواني" ت ١١١٠، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد تمام، ط تونس، ١٩٦٧.

٥٠- ابن دحيه "ابو الخطاب عمر ابن الحسن علي بن محمد البلنسي الاندلسي" ت ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥م، المطرب من اشعار اهل المغرب، ط القاهرة، ١٩٥٤.

٥١- الدباغ "ابو زيد محمد بن عبد الرحمن الانصارى" ت ٦٥٦، معالم الاعيان في معرفة القيروان، تحقيق ابراهيم شبوخ، ط الخانجي، مصر، ١٩٦٨.

٥٢- الذهبي "ابو عبد الله شمس الدين محمد الدمشقي" ت ٧٤٨، العبر في خبر من عبر، تحقيق صلاح المنجد، أربعة أجزاء، ط الكويت، ١٩٦٢.

٥٣- الذهبي "ابو عبد الله شمس الدين محمد الدمشقي" ت ٧٤٨، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٥٣- الذهبي "ابو عبد الله شمس الدين محمد الدمشقي" ت ٧٤٨، تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، ١٩٥٥.

٥٤- الزبير "أحمد بن ابراهيم" ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٠٨م، صلة الصلة، نشر ليفي بروفنسال، الجزائر، ١٩٢٧.

٥٥- الزهري "محمد بن أبي بكر بن عبد الله"، الجغرافية، تحقيق د. محمد صادق، ط دمشق، ١٩٦٨.

٥٦- الزركشي "أبي عبد الله محمد بن ابراهيم" ت القرن التاسع، تاريخ الدولتين: الموحدية والحفصية، تحقيق ماخور، المكتبة العتيقة، جامع الزيتونة.

٥٧- ابن ابي زرع "أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي" ت منتصف القرن الثامن للهجرة، الانيس المطرب بروض القرطاس، نشره روتنبرغ، البسالة، ١٨٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٨- ابن ابي زرع "أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي" ت منتصف القرن الثامن للهجرة، الانيس المطرب بروض القرطاس، نشره روتنبرغ، جزءان، ط فلالي النشر المغربية ١٩٣٦.

٥٩- ابن ابي زرع "أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي" ت منتصف القرن الثامن للهجرة، الانيس المطرب بروض القرطاس، نشره روتنبرغ، ط دار منصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٧.

٦٠- السراج الوزير "محمد بن م٤حمد ابن الاندلسي"، ت ١١٤٩هـ/١٧٢٦م، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب، ط تونس، ١٩٧٠.

٦١- السيوطي "جلال الدين ابي بكر" ت ٩١١، الجامع الصغير، شرح عبد الرؤوف مناوى، الفيض القدير، ط القاهرة، ١٩٣٨.

٦٢- ابن الساعي، الجامع المختصر، تحقيق مصطفى جواد، الكاثوليكية، ١٩٣٤.

٦٣- ابن الساعي، تاريخ الخلفاء، التجارية الكبرى مصر، ١٩٥٢.

٦٤- السبكي "ابو النصر عبد الوهاب ابن علي" ت ٧٧١، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، الباب الحلبي، القاهرة ١٩٦٤.

٦٥- ابن سعيد "نور الدين ابو الحسن علي" ت ٧٧١، بسط الارض في الطول والعرض، تطوان، ١٩٥٨.

٦٦- إبن المغربي "أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد" ت ٦٨٥، المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف/ جزءان، ط القاهرة، ١٩٥٢.

٦٧- الشماع (أحمد)، الادلة البينه النورانيه عن مفاخر الدولة الحفصية، ط/ المغرب، تونس ١٩٣٦، نشر عثمان الكعاك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٨- الشهرستاني "أبي الفتح محمد عبد الكريم الملل والنحل، ط الحلي القاهرة، ١٩٦٧.

٦٩- الشاطبي ابراهيم بن موسى بن محمد ت ٧٩٠"الاعتصام. محمد رشيد رضا القاهرة دار الفكر المصرية. دون تاريخ.

٧٠- الشوكاني محمد علي، نيل الاوطار،ت ١٢٥٥هـ/١٨٣٤م، الباب الحلبي/ مصر ١٩٦١.

٧١- الشيرازي ابو اسحاق الشافعي. ت ٤٧٦، طبقات الفقهاء، تحقيق حامد عباس، الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠.

٧٢- أبو شامه محمد عبدالرحمن اسماعيل، الروضتين/ مجموعة تواريخ الحروب الصليبية، المؤرخون الشرقيون/ القاهرة، ١٢٨٧هـ.

٧٣- ابن صاحب الصلاة "عبد الله بن محمد بن أحمد"، ت٥٩٤هـ/١١٩٨م، المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدي بالموحدين، تحقيق/ عبد الهادي النازي، ط بيروت، ١٩٦٤.

٧٤- ابن صاعد احمد بن صاعد التغلبي الاندلس، ت ٤٦٢/١٠٦٩، طبقات الامم/ ط الحيدريه النجف ١٩٦٧م بيروت، الاب لويس شيخو ط الكاثوليكية ١٩١٢م.

٧٥- الاصبهاني "ابو نعم احمد بن عبد الله" ت ٤٣٠ هـ، حلية الاولياء، وطبقات الاصفياء، الخانجي، مصر ١٩٣٦.

٧٦- الضبي "أحمد بن يحي بن أحمد بن عميره الضبي"، ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس، ط دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

٧٧- ابن ابي ضياف، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس، وعهد الامان تحقيق نخبة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار/ ثمانية أجزاء، ط تونس، ١٩٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٨- ابن طباطبا محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي، ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، الفخرى في الآداب السلطانية، الريحانية مصر، الحلبي القاهرة ١٩٣٧.

٧٩- ابن عذارى "أبو العباس أحمد المراكشي" ت ٧١٢ هـ/ ١٣١٢م، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، والقسم الثالث خاص بالموحدين. تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س كولان "باسم البيان المغرب في أخبار المغرب"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

٨٠- ابن عذارى "ابو العباس أحمد المراكشي" ت ٧١٢ هـ/ ١٣١٢م، القسم الموحدى، نشره امبروسي هيورسي ميرنداه ومحمد بن تاويت، تطوان، ١٩٦٠.

٨١- العماد الاصفهاني "علي بن الحسين بن محمد الاموي" ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م، جريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العرسي، الجيلاني ابن الحاج/ ثلاثة أجزاء، ط تونس، ١٩٧٣.

٨٢- ابي العباس بن قنفذ القسطيني، أنس الفقير وعز الحقير/ تحقيق القاضي،ط الرباط، ١٩٦٥.

٨٣- عبد الملك المراكشي "ابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري الازدى ٦٢٤ هـ-٧٠٣ هـ/ ١٣٠٤م، الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق محمد بن شريفه واحسان عباس، جزءان، ط بيروت، ١٩٦٤.

٨٤- العبدرى "ابو عبد الله محمد التبحيبي"، الرحلة المغربية، ط الرباط، ١٩٦٨.

٨٥- ابن العبرى "غريغورى ابو الفرج"، ت ٦٨٥هـ/١٢٦٨م، مختصر تاريخ الدول، ط بيروت، ١٨٩١.

٨٦- عمارة اليمني، ت ٥٦٩ هـ، تاريخ اليمن، ط لندن، ١٨٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٧- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت ١١٤٩/٥٤٤م، ترتيب المدارك وتغريب المسالك لمعرفة مذهب مالك/ تحقيق ابن تاويت، الرباط، ١٩٦٥م.

٨٨- العمرى "شهاب الدين ابن فضل الله" ت ٧٤٢ هـ، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط تونس، ١٩٢٤.

٨٩- ابن العماد "عبد الحي بن احمد الحنبلي"، ت ١٠٨٩، شذرات الذهب، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ.

٩٠- العياشي، الرحلة العياشية، مصورة بالافست، الرباط دار المغرب، ١٩٧٧.

٩١- الغبريني "احمد بن محمد بن عبد الله" ت ٧٠٤ هـ، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، ط الجزائر، ١٩٧٠، الشركة الوطنية للتوزيع.

٩٢- الغرناطي "الشريف ابو محمد"، رفع الحجب المستوره في محاسن المقصوره، القاهرة، ١٣٤٤ هـ.

٩٣- ابو الفداء "اسماعيل عماد الدين" ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

٩٤- ابن غليون محمد بن خليل، التذكار، اللجنة الليبيه العليا وزارة الاعلام، ١٩٦٦م.

٩٥- الغزالي أبوحامد محمد بن محمد ت١١١١/٥٠٥م، احياء علوم الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

٩٦- ابن الفرضي "ابو الوليد عبد الله بن محمد يوسف الازدى"، ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م،تاريخ علماء الاندلس، مصر للتأليف، ١٩٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٧- ابن فرحون "برهان الدين ابن ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني المكي"، ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، ط ابن شقرون، مصر ١٣٥١ هـ.

٩٨- القشتالي "أحمد بن ابراهيم" ت ٦٦٧ هـ، تحفة المغرب في بلاد المغرب/ تحقيق فرناند ودى لاجرانخا، مدريد، ١٩٧١.

٩٩- ابن القطان "ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي الكتاني" ت ٦٢٨ هـ، نظم الجمان/ تحقيق محمد علي مكي، الرباط كلية الاداب والعلوم الانسانية/ جامعة محمد الخامس، ١٩٦٥.

١٠٠- القفطي "جمال الدين" ت ٦٤٦ هـ/١٢١٨م، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، ١٣٢٦م.

١٠١- القلقشندي "أبو العباس أحمد علي" ت ٨٢١ هـ، صبح الاعشا في صناعة الانشا، القاهرة، ١٩٦٣.

١٠٢- ابن القاضي أحمد بن محمد بن احمد، جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس، ط فاس ١٣٥٩/١٩٤٠م.

١٠٣- القسطيني "ابو العباس أحمد بن الحسن بن الخطيب ابن قنفذ ت ٨١٠ هـ، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية/ تحقيق الشاذلي النفير، التركي آل نجيبه، تونس، ١٩٦٨.

١٠٤- ابن القلانسي "ابو يعلى حمزه" ت ٥٥٥ هـ، ذيل تاريخ دمشق، ط الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٨.

١٠٥- ابن كثير "الحافظ ابو الفداء اسماعيل" ت ٧٧٤ هـ، البداية والنهاية، النصر، الرياض، المعارف بيروت، ١٩٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٦- ابن الكردبوس "أبو مروان عبد الملك" ت ق السادس الهجري، قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء/ تحقيق العبادى، ١٩٦٦.

١٠٧- ابن الكردبوس "أبو مروان عبد الملك" ت ق السادس الهجري، تاريخ الاندلس/ تحقيق العبادى/ مدريد، ١٩٧١.

١٠٨- المراكشي "محي الدين عبد الواحد ابن علي" ت ٦٣٠ هـ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب/ تحقيق محمد سعيد العريان، ط الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩.

١٠٩- المقرى "أحمد بن محمد التلمساني" ت ١٠٤١ هـ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب/ تحقيق محي الدين عبد المجيد، القاهرة، ١٩٤٩.

١١٠- المقرى "أحمد بن محمد التلمساني" ت ١٠٤١ هـ، أزهار الرياض في اخبار عياض ثلاثة أجزاء، القاهرة، ١٩٣٩.

١١١- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تونس، ١٣٢٩.

١١٢- مجهول، الحلل الموشية في ذكار الاخبار المراكشية، تحقيق/ د. سهيل زكار وعبد القادر زمانه، ط دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ١٩٧٩.

١١٣- مجهول، مفاخر البربر/ تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣٤.

١١٤- مجهول، اعمال الفرنجه وحجاج، بيت المقدس وترجمه الدكتور حسن حبش، وزارة المعارف/ السعودية دار الفكر، ١٩٧٨.

١١٥- مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، الاسكندرية، ١٩٥٨.

١١٦- مجهول، من تاريخ الاندلس في عهد الطوائف، نشر ليفي بروفنسال باريز ١٩٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٧- الميداني أبوالفضل احمد بن محمد بن محمد، مجمع الامثال، ط القاهرة، ١٩٥٢، ط بيروت العلمية ١٩٨٨م.

١١٨- المقدسي "شمس الدين ابو عبد الله" ت ٩٢٧ هـ/ ١٥٢١م، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، القاهرة، ١٩٠٠، خياط بيروت.

١١٩- المسعودى علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٢٩ هـ.

١٢٠- مسلم "الامام مسلم ابو السن مسلم حجاج"، صحيح مسلم بشرح النووى، المصرية، القاهرة، ١٣٤٩ هـ.

١٢١- ابن منقذ "اسامه" الاعتبار، حرره فيليب حسن بيروت الدار المتحدة، ١٩٨١م.

١٢٢- محمود مكي، وثائق مرابطية جديدة، مدريد، ١٩٥٩، معهد الدراسات الاسلامية، دون تاريخ.

١٢٣- ليفي بروفنسال، مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، ١٩٤١، معهد العلوم العلمية المغربية، دون تاريخ.

١٢٤- المراكشي عبد الواحد، دولة الموحدين "من كتاب المعجب في تلخيص اخبار المغرب" اختيار وتقديم د. احمد بدر، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي/ دمشق ١٩٧٨.

١٢٥-الماوردي "ابو الحسن علي بن محمد"، الاحكام السلطانية، الحلبي، مصر، ١٩٦٦.

١٢٦- المقريزى "تقي الدين ابي العباس احمد" ت ٨٤٥ هـ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الخلفا، القاهرة، ١٩٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٧- المقريزى "تقي الدين ابي العباس احمد" ت ٨٤٥ هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك/ تحقيق الشيال، القاهرة، ١٩٣٦.

١٢٨- ابوعبدالله بن يزيد القزومي ابن ماجه ت ٢٧٣هـ سنه ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

١٢٩- ابن منظور، أبي الفضل محمد بن مكرم ت ٧١١هـ، لسان العرب، بيروت دار صادر ١٩٥٥.

١٣٠- الهرغي "ابراهيم بن موسى بن محمد" ت ٧١٤، الانساب في معرفة الاصحاب نشره ليفي بروفنسال، ١٩٢٨.

١٣١- الناصرى "السلاوى الشيخ ابو العباس احمد بن خالد" ت ١٣١٥ هـ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى/ تحقيق ولدى المؤلف جعفر ومحمد، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

١٣٢- النسائي "أحمد بن شعيب"، السنن، دار الحديث، حمص ١٩٧٤.

١٣٣- النباهي "ابو الحسن بن الحسن المالقي الاندلسي، تاريخ قضاة الاندلس "المرقبة العليا"، ط بيروت، تحقيق بروفنسال ١٩٤٨م.

١٣٤- النويرى "احمد بن عبد الوهاب" ت ٧٣٢ هـ، تهذيب الاسماء واللغات، القاهرة، د.ت.

١٣٥- النويرى "احمد بن عبد الوهاب" ت ٧٣٢ هـ، تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط/ من كتاب نهاية الارب في فنون الادب (افريقية والمغرب والاندلس صقيلية واقريطش) تحقيق مصطفى ابو ضيف، المغرب، جامعة محمد الاول، بوجده، ١٩٧٦.

١٣٦- النووى "ابو زكريا محي الدين" ت ٦٧٦، تهذيب الاسماء واللغات، المنيريه، مصر، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٧- ابن واصل "جمال الدين" ت ٦٩٧، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، ط الشال/ جمال/ القاهرة ١٩٥٣.

١٣٨- الونشريسي أبي العباس احمد بن يحي"، ١٥٠٨/٩١٤م المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاتدلس والمغرب، فاس الشافعه. دون تاريخ.

١٣٩- أبو يعقوب يوسف الشاذلي، التشوف الى رجال التصوف، ط الرباط، ١٩٥٨.

١٤٠- اليعقوبي "أحمد بن يعقوب بن جعفر"، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م، تقويم البلدان، ليدن، ١٨٩١.

١٤١- يحي ابن خلدون، بغية الرواد/ تحقيق الفرد بل، الجزائر، ١٩٠٤.

١٤٢- ياقوت الحموى "شهاب الدين ابو عبد الله الحموى" ت ٦٢٦، معجم البلدان، دار الصياد، بيروت، ١٩٦٠، ١٩٧٧.

١٤٣- ياقوت الحموى "شهاب الدين ابو عبد الله الحموى" ت ٦٢٦، معجم الأدباء، القاهرة، ١٩١١.

١٤٤- أبو يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، ط مدريد تحقيق حسين مؤنس ١٩٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع

١ - أحمد "د. مصطفى ابو ضيف" أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢.

٢ - أحمد "د. مصطفى ابو ضيف" القبائل العربية في المغرب في عصرى الموحدين والمرابطين، الجزائر، ١٩٨٢، ديوان المطبوعات الجامعية.

٣ - أشباخ "يوسف"، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين/ ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨.

٤ - الالفي "ابراهيم"، تاريخ الادب العربي "في الادب المغربي والاندلسي"، تطوان، ١٩٥٥.

٥ - بالنشايا "انخل جنثالث"، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥.

٦ - الخالدي "د. محمود عبد المجيد"، معالم الخلافة في الفكر الاسلامي، الجيل، مكتبة المحتسب، ١٩٨٤.

٧ - ابراهيم أنيس واخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية/ القاهرة ١٩٧٢ اشراف حسن عطيه ومحمد شوقي (الطبعة الثانية).

٨ - بوربيه "رشيد"، ابن تومرت/ ترجمة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨٢، ديوان المطبوعات الجامعية.

٩ - بل ألفرد، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوى، بيروت، ١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- بنعبد الله "عبد العزيز بن عبد الله"، تاريخ الحضارة المغربية جزءان، دار السلاحي للتأليف، والترجمة والنشر.

١١- بنعبد الله "عبد العزيز بن عبد الله"، المعجم التاريخي "أهم الاحداث، الاعلام، الاماكن، الدار البيضاء، دار السلاحي.

١٢- بنعبد الله "عبد العزيز بن عبد الله"، مظاهر الحضارة المغربية، الدار البيضاء، ١٩٥٧.

١٣- الزيدى، "ابو عبد الله محمد بن محمد احمد بن عبد الله" تاريخ دول الاسلام في المغرب الاقصى "جغرافية المغرب، الادارسه، المرابطون، الموحدون، بنو مرين، الوطاسيون حتى ولاية السلطان محمد الخامس، ١٣٥٦ هـ.

١٤- باشا "نجاة"، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري حتى الثامن الهجري، تونس، ١٩٧٦/ كلية الاداب والعلوم الانسانية، منشورات الجامعة التونسية.

١٥- بركلمان "كارل"، تاريخ الشعوب الاسلامية الامبراطورية الاسلامية وانحلالها نقله الى العربية د. نبيه فارس ومنير بعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٦٨.

١٦- "روجي لي"، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ترجمة د. أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٢.

١٧- الجيلاني "عبد القادر بن محمد"، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، ١٩٥٤.

١٨- جوليان "شارل أندريه"، تاريخ افريقية الشمالية/ ترجمة محمد والي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩- حسن عبد الوهاب، النقود العربية، تونس، ١٩٦٤.

٢٠- حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨.

٢١- حجي "د. عبد الحسن علي"، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه ٩٢-٨٩٧ هـ، الاولى/ دار الاعتصام ١٩٨٢.

٢٢- حماده "محمد ماهر"، الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقية ٦٤-٨٩٧ هـ، منشورات مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٠.

٢٣- خلف الله "د. ابتسام مرعي"، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي ٥٢٤-٦٣٦ هـ، دار المعارف ١٩٨٥.

٢٤- حركات ابراهيم المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، ١٩٦٥.

٢٥- ديور "محمد علي"، المغرب الكبير، القاهرة، ١٩٦٢.

٢٦- دوزى، ملحق القواميس العربية، دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٩٨٤.

٢٧- أبو رميلة " د. هشام"، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية بالاندلس، ١٩٨٤.

٢٨- الرسل، الاناجيل الاربعة، الكاثوليكية/ بيروت، ١٩٦٨.

٢٩- زامباور "المستشرق"، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي أخرجه د. زكي محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي/ بيروت، لبنان. د.ت.

٣٠- زغلول "د. سعد"، حركات التجديد في المغرب الاسلامي، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣١- زغلـــول "د. سعـــد"، الاثر المغـــربي في المجتمـــع الاسكنـــدرى، ١٩٧٩.

٣٢- ســالم "د. سعيـد عبد العزيز"، تاريخ المغـرب الكبير، دار النهضـة العـربية/ بيروت، ١٩٨١.

٣٣- ســالم "د. سعيـد عبـد العــزيز"، تاريخ الاسكنـدرية وحضــارتها في العصــر الاسلامي، الاسكندرية، ١٩٦١.

٣٤- سالم "د. سعيد عبد العزيز"، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.

٣٥- ســالم "د. سعيـد عبـد العــزيز"، تخطيـط الاسكنـدرية وعمــرانها في العصــر الاسلامي، بيروت، ١٩٦٤.

٣٦- سليمـان نجم، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، اشـراف ادكتور محمد حتامله.

٣٧- سيسالم عصام سالم، جزر الاندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

٣٨- الشيـال "جمـال الدين"، اعلام الاسكنـدرية في العصـر الاسلامـي، القاهرة ، ١٩٦٥.

٣٩- د. محمد عبدالهادي شعيرة"، المرابطون في تاريخهم السيـاسي، القاهرة، مطبعة الحديثه.

٤٠- الشــرباصي " د. أحمــد"، المعجــم الاقتصــادي الاسلامــي، دار الجيــل، ١٩٨١.القاهرة، مطبعة الحديثه.

٤١- الثعـالبي "محمـود حسن الحجـوى"، الفكر السامي في تاريخ الفقـه الاسلامـي، المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٢- طارو وجان جيروم، ازهار البساتين في اخبار المغرب والاندلس على عهد المرابطين والموحدين/ ترجمة وتعليق، احمد بن فريج، ومحمد الفاسي، الرباط، ١٢٤٩ هـ.

٤٣- العبادى "د. احمد المختار"، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر/ الاسكندرية ١٩٦٨، ١٩٨٢.

٤٤- العبادى "د. احمد المختار"، في تاريخ المغرب والاندلس، بيروت، ١٩٦٨.

٤٥- العبادى "د. احمد المختار"، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، بيروت، ١٩٦٩.

٤٦- عاشور "د. سعيد عبد الفتاح"، الحرب الصليبية جـ١، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨.

٤٧- عباس "ابراهيم"، الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، فاس، ١٣٥٥ هـ.

٤٨- عبد العزيز بن ابراهيم، مظاهر الحضارة المغربية، الرباط، ١٩٧٣.

٤٩- عبد العواد "حسن علي حسن"، الحياة الادارية والاجتماعية في المغرب الاقصى في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ١٩٧٣.

٥٠- عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في القرن السادس الهجري في المغرب الاسلامي، ط الشروف ١٩٨٣.

٥١- علام "د. عبد الله"، الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف بمصر، ١٩٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٢- علام "د. عبد الله"، الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤.

٥٣- عنان "محمد عبد الله"، عصر المرابطين والموحدين في الاندلس، القسم الاول لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤.

٥٤- عنان "محمد عبد الله"، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين/ القسم الثاني، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤.

٥٥- عنان "محمد عبد الله"، دولة الاسلام في الاندلس "القسم الاول والثالث من العصر الثالث"، القاهرة/ الطبعة الاولى ١٩٦٤.

٥٦- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الادب العربي، بيروت، ١٩٥٧، الرباط.

٥٧- عبد الله كنون، مدخل الى تاريخ المغرب، تطوان ١٩٥٥.

٥٨- عبد الله كنون، عقيدة المرشدة.

٥٩- الغنائي "مراجع عقيله"، قيام دولة الموحدين، ط الاولى/ المكتبة الوطنية بنغازى/ ليبيا، ١٩٧١.

٦٠- الغنائي "مراجع عقيله"، سقوط دولة الموحدين، ط اولى/ منشورات جامعة بنغازى، ١٩٧٥.

٦١- الفقي "د. عصام الدين عبد الرؤوف"، تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة النهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.

٦٢- فكرى "د كتور أحمد"، قرطبه في العصر الاسلامي تاريخ الحضارة، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، د.ت.

٦٣- كرد "محمد علي"، الاسلام والحضارة الغربية، القاهرة، ١٩٧٩ لجنة التأليف والترجمة والنشر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٤- الكعاك "عثمان"، المراكز الثقافية في المغرب، القاهرة، ١٩٥٦.
٦٥- لبيولد "تورلس بالباب"، الفن المرابطي والموحدى ترجمة سيد غازى، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٦.
٦٦- ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس. ترجمة عبد العزيز سالم، ومحمد صالح الدين حلمي، القاهرة، ١٩٧٥.
٦٧- لويس ارشيبالدلويس، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط، النهضة المغربية، فرنكلين، القاهرة.
٦٨- لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجازم، ١٩٥٠.
٦٩- مانويل "جوميث مورينو"، الفن الاسلامي في اسبانيا ترجمة احمد لطفي السميع وسيد محمود، وعبد العزيز سالم، العربية للترجمة والنشر، ١٩٦٨.
٧٠- مؤنس "د. حسين"، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار ومطابع المستقبل بالفجاله، القاهرة. ١٩٨٠.

٧١- موسى "عز الدين عمر أحمد"، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الطبعة الاولى، دار الشروق، ١٩٨٢.
٧٢- المنوفي محمد، العلوم والفنون والاداب على عهد الموحدين، تطوان، ١٩٥٠، بيروت ١٩٦٨، ١٩٥٢.

٧٣- محمد "عبد النبي محمد"، مسكوكات المرابطين، والموحدين في شمال افريقية والاندلس، أم القرى، ١٤٠٠ هـ.
٧٤- محمد رواس قلعجي، صادق قنيبي، معجم الفقهاء، دار النفاش، بيروت، ١٩٨٥.
٧٥- مؤسسة آل البيت، الفهارس التحليلية للاقتصاد الاسلامي، مكتبة صالح كامل، ١٩٨٠.

٧٦- مخائيل آمارى، المكتبة الصقلية، المثنى بغداد، لايبرزغ ١٨٥٧.
٧٧- عبدالعزيز المجذوب، الصراع المذهبي في افريقية الى قيام الدولة الزيديه ط الدار التونسيه ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوريات

١ - عبد العزيز بن ابراهيم، مجلة البينة، العدد السابع. مظاهر الحضارة المغربية، الرباط، ١٩٥٧.

٢ - عبد العزيز بن ابراهيم، تطور الفن عند الموحدين العدد التاسع، مجلة البينة السنة الاولى ١٩٦٣.

٣ - الجراوى، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، السنة الاولى، الرباط، ١٩٧٤.

٤ - الجراوى، الموحدون والوحدة الاسلامية، مجلة التربية الوطنية بالمملكة المغربية ١٩٦٢.

٥ - سالم د. سيد عبد العزيز، مقال دائرة معارف الشعب المهدى بن تومرت، ١٩٦٠.

٦ - أجه عبد الله عبد العزيز، البحرية المغربية والقرصنة العددين الثالث والرابع، ١٩٥٧.

٧ - العبادى د. أحمد، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وأهميتها في تاريخ الموحدين والمرابطين، العدد الخامس، مجلة تطوان، ١٩٦٠.

٨ - سالم عبد العزيز، المساجد والقصور في الاندلس، سلسلة أقرأ، القاهرة، ١٩٧٨، العدد ١٩٠.

٩ - د. سالم عبد العزيز، المناهل، العدد السادس، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط، السنة الثالثة ١٩٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- د. سالم عبد العزيز، المختار من عالم الفكر العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها قصور الموحدين والمرابطين "دراسات اسلامية"، وزارة الاعلام الكويتية ١٩٨٤.

١١- د. سالم عبد العزيز، مجلة مدريد للدراسات الاسلامية، نصوص عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين المجلد الثالث، ١٩٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

References

المـــراجع باللغـــة الانجليـــزية

1 - O Callaghan F.J., Ahistory of medieval ages, 1975 Copy write New Yourk.

2 - B, meaking, B, The moorish Empire, London, 1899, New Yourk.

3 - Barbour, N, Morocco, London, 1965.

4 - S.P Scott, History of moorish Empire, Vol,11, Philadelphia and London, 1904.

5 - S,painter,Ahistory of the middle ages, New Yourk, 1954.

6 - Tout, TheEmpire and the papacy, 1945.

7 - Chapman, Ahistory of Spain, New Yourk, 1931.

8 - King, The knights Hospitllers in the Holy land, 1960.

The Al mohade History in medieval muslim government in Barbary untill the sixth of Hijri

ترجم هـذا الكتـاب أمين توفيـق الطبيبي بعنـوان النظـم الاسلاميـة في المغـرب في القرون الوسطى. ليبيا، تونس ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Role of Mu'men bin Ali Al-Komi in Propagating Ibn Tomart's Thought and Establishing the State of Al-Muwahhideen in the Islamic Maghrib "Maghrib and Andalusia"

By : Hussein Abdel-Rahim Suleiman Mustafa

Supervised by: Professor Dr. Mohammed Abdo Hatamleh

This study talks about the role of Abdel Mumin Bin Ali in spreading the idea of Iben Tomart and the foundation of Al - Mohades in the muslim west. This idea began at the end of the Moravides state which became weak and disbandid after the death of her leader Youssef Ben Tashfeen when his son took over in the year 500H./ 1106Bc., as the christian kings began their ambition in Andalosia, destroying the state outskirts. At the same time conflict was escalated between the Abasenians and the Fatimites in the muslim East. The pope Orban II had the opportunity and urged the Christians to start the crusade campaigns against the muslims, and were able to occupy Jerusalem and to found a number of crusade emirates.

During this period, the idea of Ibn Tomart was unification and the change of rule systems through political and intellectual means based on the Holy Koran and the Sunna which was rooted in the west and tried to unify all muslims in one powerful state able to stand against the crusade danger in the east and west.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The banner of the idea was raised after Ibn Tomart by her sincere follower Abdel Mumin who rooted the idea in the Far west after the decline of the Moravides state in the year s41H./ 1156Bc. He unified the west and liberated the African ports from the crusade Cisilian Norman reign, then he defeated the rejecting Arab tribes such as Hilal tribe, zugbah, Al-Athbaj and Bani Saleem. When things settled in the west, he turned to Andalosia complying to the request of her delegates who riquested his help to overcome the disputes of her leaders there, and to liberate the Andalosia ports from the European crusade occupation, he was able to unite Andalosia in the year 557H. / 1161Bc. He and his followers spread the principle of Al Mohades there.

Then Abdel Mu'min began changing military, cultural, social and economical systems and destroyed the economical obstacles as taxes, fines, bribes, he also encouraged agriculture, industry and commerci and he applied (Al - Karaj), and organized the gathering of (Al-zaka), Al - A'Shar as well.

٤٣٢٢٧١

He reorganized society dividing it into three classes according to the priority in embracing the idea of Al Mohades and adopted the doctrine of unification.

He organized the state administrative by and divided it into districts among his sons limiting the reign within his family, he estublished the post of ministry, judges, office, and mail which was conveying messages and instructions throughout the state. He was also keen on the implementation of legitimate rules.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

He formed a professional infantry army, and a trade and military fleet which enabled him to defend the states coust, and to control the mediterranean.

This fleet cut off the crusade supplies in the muslim East which helped the victory of the Ayyubides over them.

He enacted an intellectual system based on the unification doctrine supported by the two legislative resources both. The Kora'n and the sunna as an understructural system for an intellectual and cultural out going. He implemented obigatory education for both males and females founding schools and institutes to turn out technical and preaching graduates.

He offered scholurships and louns for students and started scientific councils under his presidency. He also rewarded scientists and learned people which caused the flourishing of Arts and scieuces.

Abdel mu'min Iben Ali raised the banner of (Al - Jihad) in all fields, he remained so till his death in the year 558H./ 1162Bc. while preparing to proceed to Andolosia again leaving atrace which will never be erased.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit